إشراقات

ديوان
عفيف الدين التلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

www.alkottob.com

ديـــوان

عفيف الدين التلمساني

عفيف الدين التلمساني (٦١٠-٦٩٠هـ) هو واحد من كبار الشعراء المتصوفة القادمين من المغرب العربي إلى المشرق، ومن أكثرهم إثارة للجدل، تنقل بين مصر والشام وتعرف إلى كبار المتصوفين، يقول عنه القاضي شهاب الدين بن الفضل: «لم يأت إلا بما خفّ على القلوب، وبرئ من العيوب، رقّ شعره فكاد أن يُشرب، ودقّ فلا غرو للقضب أن ترقص وللحمام أن يطرب»، وابن العماد يقول: «وأما شعره ففي الذروة العليا من البلاغة».

ويعتبر ديوان التلمساني أشهر وأهم مؤلفاته التي تنوعت في مجالي التصوف واللغة. وقد برع التلمساني في تقديم شروح لعدد من نصوص الصوفية الرمزية والكشف عن أسرارها كمواقف النفري وتائية ابن الفارض وغيرها، وعلى هذه الأفكار نفسها يقوم شعر التلمساني الذي كفّره إمام السنة ابن تيمية وكان من أشد الطاعنين في التلمساني، فأضاف بذلك جدلا على جدل، فيما يخص أفكار التلمساني وشعره كليهما.

هذا هو ديوان عفيف الدين التلمساني بتحقيق وتقديم الدكتور يوسف زيدان الكاتب والباحث المتخصص في التراث العربي والمخطوطات، والذي قدم له شروحا وتحليلات وافية، كما وضع مقدمة تتناول حياة الرجل وتفند آراء كل من مؤيديه ومعارضيه، وتكشف عن مؤلفاته الأخرى وأهم وأبرز نقاط تميزه كمتصوف وشاعر ينبغي معرفته لكل مهتم بهذا السياق.

www.alkottob.com

ديوان
عفيف الدين التلمساني

www.alkottob.com

ديوان
عفيف الدين التلمساني

الجزء الأول

دراسة وتحقيق
يوسف زيدان

دار الشروق

www.alkottob.com

الإهـداء

إلى أســتـاذ التــصـوف، وشـيــخ الكل

الدكتـور أبوالوفا التـفتازانى، رحـمه الله

يوسـف زيـدان

www.alkottob.com

المحتـويـات

الإهـداء ٥
تمهيد ٧
عفيف الدين التلمساني (حياته ـ مؤلفاته) ١١
منهج تحقيق الديوان ٤١
الديوان ٦١
قافية الهمزة ٦٣
قافية الباء ٧٣
قافية التاء ١٣١
قافية الثاء ١٤١
قافية الجيم ١٤٧
قافية الحاء ١٥٥
قافية الخاء ١٧١
قافية الدال ١٧٨
قافية الذال ٢٤٣
أعمال د. يوسف زيدان ٢٤٩

www.alkottob.com

تمهيد

بدأت معرفتى بالعفيف التِّلمسانى وديوانه الشعرى منذ سنوات، وكانت هذه المعرفة ناجمة عن دهشتين! الدهشة الأولى من ذلك الهجوم الشديد الذى شنَّه تقى الدين بن تيمية على عفيف الدين التلمسانى، ناعتا إياه بأقذع الصفات، حتى بلغ به الأمر أن دعاه: الفاجر التلمسانى!

والدهشة الأخرى، كانت عند مطالعتى لمخطوطة ديوان التلمسانى المحفوظة بمكتبة الاسكوريال، فقد توقفت طويلا عند تلك المعانى الرقراقة التى تنساب فى شعره، وعند هذه المحبة الروحية التى تتأجج بصدق بين كلمات أبياته، حتى إن كثيرا من أشعار الصوفية المشهورين تتواضع عن بلوغ هذه المكانة الرفيعة لشعر التلمسانى، فلا تصل إلى روعة تعبيره ودقة تصويره المفعم بالإيحاءات والنِّكات الذوقية.. وهنا بدا لى التلمسانى بشكل مخالف لما صوَّره ابن تيمية.

وعقب الحصول على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية بموضوع يدور حول فلسفة الجيلى الصوفية وتحقيق قصيدته النادرات العينية، أردت أن يكون (ديوان التلمسانى وتصوفه) موضوعا لرسالتى للدكتوراه.. لكن الحق تعالى شاء لى أن تكون رسالة الدكتوراه حول الإمام عبد القادر الجيلانى: طريقته وديوانه.. فشرعت بعد الانتهاء منها فى تحقيق ديوان التلمسانى، إحياءً لأمنية قديمة، وإيمانا بضرورة خروج هذا الديوان إلى النور.

والحقيقة، فقد نال شعر الصوفية قسطا وافرا من إهمال دارسى التصوف ـ لوقوعه فى دائرة الأدب ـ ومن إهمال دارسى الأدب.. لوقوعه فى دائرة التصوف!

www.alkottob.com

وبين الدائرتين، بقى شعر الصوفية على ما فيه من روعة، بعيداً عن الأعين التى مهما بحثت فى زوايا المكتبة العربية، فلن تجد إلا أقل القليل من دواوين الشعر الصوفى. فالمحقق منها لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة، والدراسات الجادة حولها لا يزيد عددها على أصابع اليد الأخرى.

.. ويأتى هذا الديوان الذى نقدمه اليوم، كخطوة على طريق التعرف لشعر الصوفية؛ هذا التعرف الذى يعد مدخلا مهما لفهم آفاق التجربة الصوفية وما تحمله من عمق لا نجده فى أية تجارب وجدانية أخرى. ويعد ـ من جهة أخرى ـ مدخلا لإثراء الحس الأدبى الشعرى عند الشعراء المعاصرين الذين وقفوا دون حدود التصوف، فلم يتملكوا هذه الطاقات الشعورية الهائلة التى تنفجر فى قلب الشاعر الصوفى. وسوف تكون لنا قبل الولوج فى النص المحقق للديوان وقفتان: الأولى حول عفيف الدين التِّلمسانى وتفاصيل حياته وتصوفه، والأخرى حول المنهج النقدى المتبع فى تحقيق الديوان. فهاتان الوقفتان أمرٌ لا غنى عنه، لقراءة شعر التِّلمسانى قراءةً صحيحة. ومن الواجب أن أسجل آيات شكرى للعروضى السكندرى الكبير، الشاعر (محجوب موسى) لمراجعاته القيمة على النص المحقق للديوان قبل طباعته أول مرة، قبل قرابة عشرين عاماً.

* * *

وكان هذا الجزء (الأول) من ديوان التلمسانى، قد نُشر أول مرة سنة ١٩٨٩ ثم تقاعست الدار التى نشرته عن إصدار الجزء الثانى المتمِّم له. وأعيدُ نشر الكتاب، مصوراً، ببيروت قبل سنوات بعيدة.. ولما طال الأمرُ، ضاع منى الجزء الثانى وصار أمره بدداً. ولعل هذه الطبعة التى بين أيدينا، تحدونى لإنهاء الجزء الثانى، ثانيةً، لتكتمل النشرة المحققة لأشعار التلمسانى، البديعة.

يوسف زيدان

الإسكندرية فى أوائل ٢٠٠٨

www.alkottob.com

عفيف الدين التلمسانى

حياته

على الرغم من اختلاف المصادر التاريخية حول تفاصيل حياة شاعرنا، فإن هذه المصادر اتفقت على أن اسمه، أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدى، المعروف بعفيف الدين التلمسانى.

وعن (تلمسان) التى ينتسب إليها الشاعر، يقول ياقوت الحموى: تلمْسان ـ بكسرتين وسكون الميم ـ مدينتان متجاورتان بالمغرب، إحداهما قديمة، وَالأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، يسكن فيها الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، ويزعم بعضهم أن المدينة القديمة منها، هى البلد التى أقام بها الخضر ـ عليه السلام ـ الجدار المذكور فى القرآن[1]. وتقع تلمسان اليوم على الحدود الغربية للجزائر[2].

وتذكر بعض المصادر القديمة أنه (الكوفى التلمسانى) وهى نسبة خاطئة تناقلتها هذه المصادر[3]. فالصحيح أنه (الكومى) وذلك نسبة إلى قبيلة (كومة) وهى قبيلة عربية صغيرة، منازلها بساحل البحر من أعمال تلمسان[4].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان (دار صادر ـ بيروت) المجلد الثانى ص ٤٤.

(٢) فى هامش النجوم الزاهرة (دار الكتب ٧/ ٢٩) جاء: تلمسان قاعدة مملكة المغرب الأوسط فى القرون الوسطى، كانت تشمل الجزائر بحدودها الحالية اليوم، ودار ملك بنى عبد الواد ـ من قبائل البربر ـ وظلت إلى أواخر القرن الثامن من الهجرة. وهى الآن مدينة عظيمة ببلاد الجزائر. على بعد ٦٨ ميلا من وهران، وهى محطة عظيمة للقوافل بين الجزائر ومراكش، عدد سكانها قريب من أربعين ألفا منهم خمسة آلاف أوروبى [انظر صبح الأعشى ٥/ ١٤٩، ٧/ ٣٨٥ ـ معجم لبينكوت الإنجليزى للبلدان].

(٣) انظر على سبيل المثال: فوات الوفيات ٢/ ٧٢. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٩.

(٤) الأعلام للزركلى ٣/ ١٩٣ ـ تاريخ الأدب العربى لفروخ ٣/ ٦٥٦.

www.alkottob.com

وكان مولد التلمسانى سنة ٦١٠ هجرية، وهو أصح التواريخ، ولم يشذ عنه إلا بعض المعاصرين من العرب والمستشرقين، فنجد بروكلمان[١] وعمر فروخ[٢] يذكران لمولد التلمسانى سنة ٦١٣ هجرية، ونجد كرنكوف[٣] يجعلها سنة ٦١٦ هجرية.. وهى جميعا تواريخ غير صحيحة؛ لما سنذكره عند حديثنا عن وفاة العفيف التلمسانى.

وفى ربوع تلمسان نشأ العفيف، وهناك تلقى بذور التصوف وطريق الصوفية، ثم رحل عن بلاده وطاف فى ديار المسلمين باحثا عن شيخه، حتى لقيه ببلاد الروم.. وكان هذا الشيخ هو تلميذ ابن عربى الأشهر: صدر الدين القونوى[٤]، المتوفى ٦٧٢ هجرية.

وكان لقاء التلمسانى بصدر الدين القونوى تحولا خطيرا فى مساره الروحى، فقد تعرف من خلال شيخه القونوى على عالم فسيح، هو عالم (ابن عربى) الذى تعمق بالتجربة الصوفية حتى اخترق الفقه والفلسفة وعلم الكلام، وغيرها من علوم هذه الحقبة، ليقدم فى النهاية نمطا مميزا من التصوف الجارف الذى تجلت آفاقه فى مؤلفات ابن عربى، وفى اتجاهات مدرسته من بعده.

وعلى هذا النحو، عرف التلمسانى تصوف ابن عربى.. ومن هنا نقول بأن كرنكوف قد أخطأ فى قوله «نستطيع أن نقول دون أن نخشى الزلل: إن عفيف الدين كان تلميذا وفيا لابن عربى[٥]، ذلك أن التلمسانى لم يلتق بابن

---

(١) Brockelmann: Geahchte der Arabihen Litteratut (Suppl) Leiden 1938 p.458.

(٢) د. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى [دار العلم للملايين ـ بيروت] ٣/ ٦٥٦.

(٣) كرنكوف: دائرة المعارف الإسلامية [الترجمة العربية] ٥/ ٤٦٢.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على الرومى القونوى، صدر الدين: صوفى مشارك فى بعض العلوم، أخذ عن ابن عربى، توفى بقونية.. من مؤلفاته: إعجاز البيان، الفكوك على الفصوص، النصوص، مفتاح أقفال القلوب (انظر: معجم المؤلفين ٩/ ٤٣ ـ طبقات ابن الملقن (مخطوط) ـ طبقات الشافعية ٥/ ١٩ ـ الوافى بالوفيات ٢/ ٢٠٠ ـ مفتاح السعادة ٢/ ٢١١ ـ كشف الظنون ـ ١٢، ٤٥٥، ٥٣٧، ٨٨٩، ٩٠٠، ١٠٣٤، ١٢٨٨، ١٤٩٠، ١٧٥٨. ١٧٦٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ ـ إيضاح المكنون ١/ ٣٣٥، ٢/ ٤١/، ٥٢٣، ٥٩٨ ـ الأعلام ٦/ ٢٥٤).

(٥) كرنكوف: المرجع السابق ص ٤٦٣.

www.alkottob.com

عربى، وإنما عرفه عن طريق القونوى، شيخ التلمسانى وتلميذ ابن عربى.

ويبدو أن الرابطة بين التلمسانى والقونوى كانت وطيدة، فقد لازمه طويلا، وأخذ من تصوفه الكثير، وصحبه فى رحلاته الطويلة التى كان أهمها الرحلة لبلاد مصر.

فى مصر، نزل التلمسانى وشيخه بخانقاه (سعيد السعداء) وهى دويرة الصوفية المعروفة بالخانقاه الصلاحية، يقول عنها المقريزى: هى أول خانقاه عملت بديار مصر، يلقب شيخها بلقب (شيخ الشيوخ) كان الفاطميون قد أسسوها، ثم أوقفها صلاح الدين الأيوبى على الصوفية.. وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم، وكانت لهم هيئة فاضلة[1].

وفى مصر التقى التلمسانى بصوفى لا يقل عن ابن عربى مكانة وخطراً، هو الصوفى الأندلسى: محمد عبد الحق بن سبعين، المتوفى ٦٦٩ هجرية[2]. ويروى المناوى فى طبقاته عن هذا اللقاء فيقول[3]: لما قدم شيخه القونوى رسولا إلى مصر، اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمسانى مع شيخه القونوى، قالوا لابن سبعين، كيف وجدت القونوى فى علم التوحيد؟ قال: إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمسانى[4].

---

(١) المقريزى: الخطط.. (طبعة دار الشعب) المجلد الثالث ص ٤٠١.

(٢) بخصوص ابن سبعين وتصوفه، يمكن الرجوع إلى البحث القيم الذى وضعه أستاذنا الدكتور/ أبو الوفا التفتازانى بعنوان: ابن سبعين وفلسفته الصوفية (دار الكتاب اللبنانى).

(٣) راجع هذه القصة فى طبقات المناوى (مخطوط) وفى شذرات الذهب ٥/ ٤١٢.

(٤) يقول الدكتور التفتازانى فى تعليقه على لقاء ابن سبعين بالتلمسانى: لعل إعجاب ابن سبعين بالعفيف التلمسانى راجع إلى أنه كان مثله قائلا بمذهب الوحدة المطلقة، وقد أشار لذلك المناوى فى طبقاته بقوله: «والعفيف من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة [الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية ورقة ٣٤٧ ب] والمعروف أن ابن سبعين قائل أيضا بهذا المذهب [نفس المرجع. ورقة ٣٤٧] ولعل التلمسانى تأثر بابن سبعين فى هذا الشأن، وقد قرنهما ابن تيمية معا فى إحدى رسائله. مشيرا إلى التشابه التام بين مذهبيهما.. ومن ثم كان التلمسانى أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن عربى فى مذهب الوحدة (ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص ٨١).

www.alkottob.com

وفى مصر، طاب المقام للتلمسانى حينا من الدهر، فظل مقيما عند صاحبه شمس الدين الأيكى ـ شيخ الشيوخ ـ حتى رزق بولده: شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف، المولود بالقاهرة فى عاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٦١ هجرية.. وما لبث أن رحل التلمسانى بأسرته إلى دمشق، ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة.

فى دمشق، نال التلمسانى شهرة واسعة كواحد من أهل الطريق الصوفى، واعتقد الناس فى علمه وفضله وزهده. يقول ابن شاكر: وكان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة.. حضر الأسعد بن السديد النصرانى إلى دمشق بصحبة السلطان الملك المنصور، فقال له يوما: «يا عفيف الدين، أريد منك أن تعمل لى أوراقا بمصروف الخزانة وحاصلها».. وطلبها منه مرة ومرة حتى قال له: «أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول لى نعم، ولا تأتى بها».. وأغلظ له فى القول! فغضب العفيف وقال له: «لمن تقول هذا الكلام.. يا خنزير، ما هذا إلا لعجز المسلمين، ولو بصقوا عليك لأغرقوك» ثم شق ثيابه وقام يهم بالدخول على السلطان، فقام الناس إلى الأسعد بن السديد وقالوا: «هذا ما هو كاتب، وهذا الشيخ عفيف الدين التلمسانى، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس، ومتى دخل إلى السلطان آذاك» فسألهم رده وقال له: يا مولانا، ما بقيت أطلب منك لا أوراقا ولا غيرها[١].

وفى دمشق، نشأ الشاب الظريف[٢]، وأنشد أشعاره التى طار ذكرها فى الآفاق، ونال من محبة الناس شيئًا كثيرا.. يقول القاضى شهاب الدين بن الفضل فى حقه[٣]:

---

(١) ابن شاكر: فوات الوفيات ٢/ ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر ترجمته فى: ذيل مرآة الزمان (مخطوط) تاريخ الإسلام للذهبى، الوافى بالوفيات ٣/ ١٢٩ ـ فوات الوفيات ٣/ ٣٧٢ ـ النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١ ـ كشف الظنون ٣٦٧، ٧٩٤، ١٧٨٦ إيضاح المكنون ١/ ٤٨٦ ـ الأعلام ٧/ ٢١ ـ معجم المؤلفين ١٠/ ٥٣.

Brockelmann 458-Aklwoardt 14-Deslan: Catalague.. 559.

(٣) ابن شاكر: فوات الوفيات ٣/ ٣٧٢، ٣٧٣.

www.alkottob.com

«نسيمٌ سرى، ونعيمٌ جرى، وطيف لا أخف موقعا منه فى الكرى، لم يأت إلا بما خفَّ على القلوب. وبرئ من العيوب، رقَّ شعره فكاد أن يشرب، ودقَّ فلا غرو للقضْب أن ترقص وللحمام أن يطرب، لزم طريقة دخل فيها بلا استئذان، وولج القلوب ولم يقرع به الآذان، وكان لأهل عصره بشعره افتتان، وخاصة أهل دمشق، فإنه فى غمائم حياضهم رُبِّى، وفى كمائم رياضهم حَبَا، حتى تدفق نهره وأينع زهره، وقد أدركت جماعة من خلطائه لا يروون له شعراً إلا وهم يعظمونه كالمشاعر.. ولا يقدمون عليه سابقًا حتى ولا امرؤ القيس.

ومن رقيق أشعار الشاب الظريف[1] قوله [من الكامل].

لاَ تُخْفِ مَا فَعَلَتْ بِكَ الأَشْوَاقُ
وَاشْرَحْ هَوَاكَ فَكُلُّنَا عُشَّاقُ

فَعَسَى يُعِينُكَ مَنْ شَكَوْتَ لَهُ الهَوَى
فِى حَمْلِهِ فَالْعَاشِقُونَ رِفَاقُ

لاَ تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مُغْرَمٍ
فَتَكَتْ بِهِ الوَجَنَاتُ والأَحْدَاقُ

وَاصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الحَبِيبِ فَرُبَّمَا
عَادَ الوِصَالُ وَلِلهَوَى أَخْلاَقُ

وقوله [من الطويل]

بِلاَ غِيبَةٍ لِلبَدْرِ، وَجْهُكَ أَجْمَلُ
وَمَا أَنَا فِيمَا قُلْتُهُ مُتَجَمِّلُ

(١) بالإضافة إلى النسخ المخطوطة لديوان الشاب الظريف، توجد عدة طبعات للديوان منها: طبعة حجر بالقاهرة ١٢٧٤ هجرية (بنفقة لطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية) طبعة بيروت ١٨٨٥ (تحرير سليم الأنسى، المطبعة الأدبية) طبعة بيروت ١٣١٠ هجرية (تحقيق شاكر هادى ـ المطبعة الأدبية) طبعة النجف ١٣٨٧ هجرية (مطبعة النجف).

www.alkottob.com

وَلاَ عَـيْبَ عِنْدِى فِـيكَ لَوْلاَ صِـيَـانَةٌ

لَـدَيْكَ بِـهَـا كُلُّ امْـرِئٍ يَتَـبَـذَّلُ

لِحَـاظُكَ أَسْـيَـافٌ ذُكُـورٌ فَـمَـالَهَـا

كَـمَـا زَعَـمُـوا، مِـثْلَ الأَرَامِلَ تَغْـزِلُ

وَمَـا بَالُ بُـرْهَانِ الـعِـذَارِ مُـسَـلِّمًـا

وَيَـلْزَمُـهُ دَوْرٌ وَفِـيـهِ تَسَلْسُلُ[1]

وَعَـهْـدِى أَنَّ الشَّـمْسَ بِالصَّـحْـوِ آذَنَتْ

فَـمَـا بَالُ سُكْرِى مِنْ مُـحَـيَّـاكَ يُقْـبِلُ

كَـأَنَّـكَ لَمْ تُـخْلَقْ لِـغَـيْـرِ نَوَاظِرِ

تُسَـهِّـدُهَا وَجْـدًا وَقَـلْبًـا تُـعَلِّلُ

حَـبِـيـبِى لِـيَـهْنَ الـحُـسْنُ أَنَّـكَ حُـزْتَهُ

وَيَـهْـنَ فُـؤَادِى أَنَّـهُ لَـكَ مَـنْـزِلُ

ويقول الشاب الظريف [من البسيط]:

لِلـعَـاشِـقِـينَ بِأَحْكَامِ الغَـرَامِ رِضَـا

فَـلاَ تَكُنْ فِى الـهَـوَى بِـالعَـذْلِ مُـعْـتَـرِضَـا

رُوحِى الـفِـدَاءُ لأَحْـبَـابِى وَإِنْ نَقَـضُـوا

عَـهْـدَ الوَفِىِّ الَّذِى لِـلعَـهْـدِ مَـانَقَـضَـا

قِفْ وَاسْـتَـمِعْ سِـيـرَةَ الصَّبِّ الَّذِى قَـتَلُوا

فَـمَـاتَ فِـى حُـبِّـهِمْ لَـمْ يَبْلُغِ الـغَـرَضَـا

---

(١) البرهان والدور والتسلسل من مصطلحات علم الكلام التى يضيق المقام هنا عن شرحها.. راجع بصددها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى).

www.alkottob.com

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الوَصْلَ فَامْتَنَعُوا

فَرَامَ صَبْرًا فَأَعْيَا نَيْلُهُ فَقَضَى

وفى دمشق، سنة ٦٨٨ هجرية.. توفى الشاب الظريف الذى ملأ حياة من حوله بهجة، ولم يكن قد بلغ من العمر غير سبعة وعشرين عاما، قضاها فى لهو الصبا وجهلة الفتوة. وقد رثا العفيف التلمسانى ولده فى أبيات ذكر فيها محمد شمس الدين (الشاب الظريف) وأخا له اسمه محمد أيضا، كان قد توفى قبل ذلك بقليل.. يقول العفيف [من المنسرح].

مَالِى[1] بِفَقْدِ المُحَمَّدَيْنِ يَدُ

مَضَى أَخِى ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَدُ

يَا نَارَ قَلْبِى وَأَيْنَ قَلْبِى أَوْ

يَاكَبِدِى لَوْ يَكُونُ لِى كَبِدُ

يَابَائِعَ المَوْتِ مُشْتَرِيهِ أَنَا

فَالصَّبْرُ مَالاَ يُصَابُ وَالجَلَدُ

أَيْنَ البَنَانُ الَّتِى إِذَا كَتَبَتْ

وَعَايَنَ النَّاسُ خَطَّهَا سَجَدُوا

أَيْنَ الثَّنَايَا الَّتِى إِذَا ابْتَسَمَتْ

أَوْ نَطَقَتْ لاَحَ لُؤْلُؤٌ نَضَدُ

مَا فَقَدَتْكَ الإِخْوَانُ يَاوَلَدِى

وَإِنَّمَا شَمْسُ أُنْسِهِمْ فَقَدُوا

---

(١) حرصنا هنا على ذكر هذه الأبيات، لأنها لم ترد فى نسخ ديوان التلمسانى المخطوطة.. وقد نقلناها من ترجمات الشاب الظريف، خاصة: الوافى، فوات الوفيات!

www.alkottob.com

مَحَمَّدٌ يَا مُحَمَّدٌ عَدَدًا

وَمَا لِمَا لَيْسَ يَنْتَهِي عَدَدُ

ومن هذه المرثية:

مَاذَا عَلَى الغَاسِلِيَن إذ قَرُبَ

الأَمْلاَكُ مِنْهُ لَوَ أَنَّهُمْ بَعُدُوا

قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُهُ العُلُومَ إلَى

الفِرْدَوْسِ وَالنَّعْشُ فَوْقَهُ الجَسَدُ

أَبْكَيْتَ خَالاَتِكَ الضَّوَاحِكَ مِنْ

قَبْلُ وَمَا مِنْ صِفَاتِكَ النَّكَدُ

بِى كِبَرٌ مَسَّنِى وَأُمُّكَ قَدْ

شَاخَتْ فَمِنْ أَيْنَ لِى يُرَى وَلَدُ

وَهَبْهُ قَدْ كَانَ لِى فَمِثْلُكَ لا

يُرْجَى وَأَيْنَ الزَّمَانُ وَالأَمَدُ

ومنها:

يَالَيْتَنِى لَمْ أَكُنْ أَبًا لَكَ أَوْ

يَالَيْتَ مَاكُنْتَ أَنْتَ لِى وَلَدُ

وعندما توفى الشاب الظريف، كان والده العفيف قد بلغ من العمر قرابة الثامنة والسبعين.. ويبدو أن العفيف التلمسانى كان صادقا فى قوله بالبيت الثالث من هذه المرثية، إنه يرحب بالموت بعد نفاد صبره حزنا على ولده، فهو لم يتم بعدها عامين! فقد انتقل إلى جوار ربه فى خامس رجب، سنة ٦٩٠ هجرية.

www.alkottob.com

وكان التلمسانى قد بلغ من العمر ـ بشهادة معاصريه ـ ثمانين سنة، ولذلك فقد عددنا تاريخ مولده (سنة ٦١٠ هجرية) هو التاريخ الصحيح. . وقد زاره الشيخ برهان الدين الكتبى فى اليوم الذى مات فيه، وسأله عن حاله، فقال التلمسانى: بخير، من عرف الله كيف يخافه؟ والله مذ عرفته ما خفته. . وأنا فرحان بلقائه[1].

* * *

موقف ابن تيمية

لا شك فى أن وقائع حياة التلمسانى، وأفكاره الصوفية التى عبَّر عنها فى ديوانه، يطرحان الملامح الرئيسية لشخصية الرجل وتصوفه. . لكننا آثرنا قبل تحديد هذه الملامح ومناقشتها، أن نتوقف عند الجبهة المعارضة للتلمسانى؛ إذ تسهم هذه المعارضات بشكل ما، فى التعرف الأتم على الاتجاه الصوفى عند عفيف الدين التلمسانى.

وإذا كان الصوفية يترفقون بشاعرهم العفيف، فإن مدرسة ابن تيمية قد عصفت بالرجل وأفكاره. وكان ابن تيمية هو أشد الطاعنين فى التلمسانى، بل كان التلمسانى أشد المطعونين من ابن تيمية على الإطلاق. . ولنترك لابن تيمية الحديث، فنراه يقول ما نصه:

«وأما الفاجر التلمسانى، فهو أخبث القوم وأعمقهم فى الكفر! فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربى، ولا يفرق بين المطلق والمعيَّن كما يفرق الرومى[1]، ولكن عنده ما ثَمَّ غير ولا سوى بوجه من الوجوه، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبا، فإذا انكشف حجابه رأى أن ما ثم غير يبين له الأمر، ولهذا كان يستحلُّ جميع المحرَّمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شىء واحد، ليس فى ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم! وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٥/ ٤١٣.

(٢) يشير إلى: صدر الدين القونوى. . أستاذ التلمسانى.

www.alkottob.com

التوحيد فى كلامنا! وكان يقول أنا ما أمسك شريعة واحدة! وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى! وشرح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذى له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء، وشعره فى صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل (لحم خنزير فى طبق صينى) وصنف للنصيرية عقيدة، وحقيقة أمرهم: أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه.. وأما ابن سبعين، فإنه فى البدو[1] والإحاطة[2]، يقول أيضًا بوحدة الوجود وإنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض فى آخر نظم السلوك[3]، لكن لم يصرح: هل يقول بمثل قول التلمسانى أو قول الرومى أو قول ابن عربى، وهو إلى كلام التلمسانى أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذى ما كفره أحد قط مثل التلمسانى[4].

وقد أوردنا نص ابن تيمية بتمامه، حتى يتيح ذلك استجلاء قدر الطعن الذى يوجهه ابن تيمية للتلمسانى.. ولنا على النص بضع ملاحظات، لعلها تزيد الأمر وضوحا:

أولاً: إن ابن تيمية اعتمد فى نقده للتلمسانى وتكفيره له، على بعض الروايات التى بحسب تعبيره: حكاها الثقات.. فهل تكفى الحكايات لتكفير رجل من المسلمين؟ وأين استشهادات ابن تيمية بنصوص التلمسانى؟؛ فقد كانت عادته أن يورد من نصوص مؤلفات المتهمين شيئًا يبرر حكمه عليهم، لكنه لم يفعل ذلك مع التلمسانى.

ثانيا: كان ابن تيمية معاصرًا للتلمسانى، فقد ولد سنة ٦٦١ وتوفى ٧٢٨ هجرية.. وقد تعلمنا أن نأخذ شهادات المعاصرين بالكثير من الحذر، لما تنطوى عليه أحيانا من ملابسات قد تحجب الصواب عن أعينهم.

---

(١) يقصد كتاب ابن سبعين: بد العارف (حققه جورج كتورة، ونشرته دار الأندلس، دار الكندى ـ بيروت).

(٢) يقصد: كتاب الإحاطة الوجودية (حققه د/ عبد الرحمن بدوى، ونشر بمجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ـ مدريد، المجلد الخامس ١٩٥٨ العدد ١/ ٢).

(٣) يقصد: تائية ابن الفارض الكبرى.

(٤) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل (طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت) الرسالة الأولى، المجلد الأول ص ١٨٤، ١٨٥.

www.alkottob.com

ثالثا: جمع ابن تيمية كل صوفية عصره في سلة واحدة، وقذف بهم إلى قعر الجحيم. . ولعل ذلك يرجع لاعتقاده الذى صرّح به حين قال عقب هجومه عليهم «وكثيرا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء، أكبر أسباب ظهور التتار واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب الذى يزعم أنه هو الله[1]» وهكذا كان فكر ابن تيمية مأزوما بهموم عصره. . وإلا، فهاهم الذين هاجمهم تمر عليهم مئات السنين ولا يظهر الدجال الأعور الكذاب، وهاهم التتار ينحسرون من العالم الإسلامى فى حياة التلمسانى، ولم يكن التلمسانى قد توفى بعد، حين أعلن (غازان) إسلامه، ولم يلبث أن دخل المغول الإسلام، ولم تلبث المدن الإسلامية التى تعرضت للخراب أن نهضت وانتعشت[2]. فلا عبرة باعتبار ابن تيمية أن مَن هاجمهم كانوا سبب اندراس الإسلام.

أخيرا: انتهى ابن تيمية إلى نوع من الذوق الصوفى فى أخريات حياته، وظهر ذلك فى مؤلفاته المتأخرة. . ولو كان عمره قد طال عدة سنوات. . لكان قد أعاد النظر فيمن أخرجهم من دائرة الإسلام. ولعله كان سينتهى بصددهم إلى رأى آخر!

ولا نحب أن يتبادر إلى الأذهان أننا ندافع هنا عن التلمسانى على حساب ابن تيمية، فلقد خدم الأخير الإسلام بجهوده وكتاباته بأكثر مما خدمه التلمسانى بأشعاره التى مهما بلغت من روعة، فإنها تظل دوما: خطابًا للخاصة من أهل المحبة.

والحقيقة، فإننا مع تسليمنا بمكانة العفيف التلمسانى الشعرية، وعدِّنا إياه واحدا من أروع شعراء الصوفية، فإننا لا نميل إلى عدِّه من شيوخ التصوف الكبار. . فهو قد خاض من التجربة الصوفية ما يؤهله لاستشفاف المعانى الذوقية التى يعانيها أهل الطريق الصوفى، لكن هذه التجربة لم تصل به إلى الذروة التى يمكن معها إدراجه

---

(١) ابن تيمية: المرجع السابع ص ١٨٦.

(٢) د/ السيد الباز العريبى: المغول (دارالنهضة العربية ـ بيروت) مقدمة الكتاب. . ويلاحظ فى الملحق الثانى للكتاب (ص٣٦٠ وما بعدها) أن رسالة إيلخان تكدار ملك المغول بفارس، إلى السلطان قلاوون، بخصوص إسلام الملك المغولى. . مؤرخة بسنة ٦٨١ هجرية.

www.alkottob.com

ضمن كبار أولياء التصوف، الذين يمكن أن يقتدى بهم المريد. . وذلك للأسباب التى سوف نذكرها فى خاتمة هذا الديوان، حيث نتعرض لتقييم شعر التلمسانى وتصوفه!

أما الآن، فلنستكمل حديثنا عن الرجل بذكر مؤلفاته:

مؤلفاته

يقول ابن شاكر فى ترجمته للعفيف التلمسانى «. . وله فى كل علم تصنيف»[1] وهى إشارة جزافية لا بد أن تؤخذ بالكثير من الحذر؛ إذ يتضح من البحث وراء مؤلفات التلمسانى، أنه لم يكن على قدر من التنوع فى التأليف كما قد يُفهم من عبارة ابن شاكر، بل تقتصر معظم مؤلفاته على مجال التصوف. . والأكثر من ذلك أن هذه المؤلفات كانت فى أغلب الأحوال شروحا على نصوص صوفية كتبها كبار رجال التصوف السابقين على التلمسانى.

ومن استعراض مؤلفات التلمسانى يبدو أنه كان شغوفا بهذه النصوص الصوفية ذات الطابع الرمزى، فقد عكف على العديد منها محاولا تحديد المعانى المتوارية خلف الرمز الصوفى، ومُظهرا تلك الحقائق كما يراها أهل الطريق الصوفى. فإذا كانت مؤلفات التلمسانى الشارحة ذات قيمة تفسيرية كبيرة لآراء السابقين، فإنها أيضا تعبر عن موقفه الخاص باعتباره واحدا من مشايخ أهل الطريق.

ولما كانت جميع مؤلفات التلمسانى مخطوطة لم تطبع، فإن استعراضنا لها سوف يكون مذيلا بذكر النسخ الخطية لهذه المؤلفات التى لم تلق بعدُ العناية الكافية:

---

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ٢/ ٧٢.

www.alkottob.com

(١) شرح منازل السائرين

يعتبر كتاب (منازل السائرين إلى الحق عز شأنه) من أقل الكتابات الصوفية حجما، وأكثرها قيمة! فهو فى صفحاته التى لا تصل إلى الخمسين، يتناول معظم الموضوعات الصوفية خلال عرض مركز يعتمد على كثافة المصطلح الصوفى، ويتعمد إظهار الأصول الشرعية من القرآن الكريم بإيراد الآيات التى تنطلق منها المفاهيم الصوفية. وتنقسم المنازل إلى أقسام وأبواب على النحو التالى:

[١] قسم البداية: ويضم أبواب [التوبة ـ المحاسبة ـ الإنابة ـ التفكر ـ التذكر ـ الاعتصام ـ الفرار ـ الرياضة ـ السماع].

[٢] قسم الأبواب: ويضم [الحزن ـ الخوف ـ الإشفاق ـ الخشوع ـ الإخبات ـ الزهد ـ الورع ـ التبتل ـ الرجاء ـ الرغبة].

[٣] قسم المعاملات: ويضم [الرعاية ـ المراقبة ـ الحرمة ـ الإخلاص ـ التهذيب ـ الاستقامة ـ التوكل ـ الثقة ـ التسليم].

[٤] قسم الأخلاق: ويضم [الصبر ـ الرضا ـ الشكر ـ الحياء ـ الصدق ـ الإيثار ـ الخلق ـ التواضع ـ الفتوة ـ الانبساط].

[٥] قسم الأصول: ويضم [القصد ـ العزم ـ الإرادة ـ الأدب ـ اليقين ـ الأنس ـ الذكر ـ الفقر ـ الغنى ـ المراد].

[٦] قسم الأدوية: ويضم [الإحسان ـ العلم ـ الحكمة ـ البصيرة ـ الفراسة ـ التعظيم ـ الإلهام ـ السكينة ـ الطمأنينة ـ الهمة].

www.alkottob.com

[٧] قسم الأحوال: ويضم [المحبة ـ الغيرة ـ الشوق ـ القلق ـ العطش ـ الوجد ـ الدهش ـ الهيمان ـ البرق ـ الذوق].

[٨] قسم الولايات: ويضم [اللحظ ـ الوقت ـ الصفاء ـ السرور ـ السر ـ النَفَس ـ الغربة ـ الغرق ـ الغيبة ـ التمكن].

[٩] قسم الحقائق: ويضم [المكاشفة ـ المشاهدة ـ المعاينة ـ الحياة ـ القبض ـ البسط ـ السكر ـ الصحو ـ الاتصال ـ الانفصال].

[١٠] قسم النهايات: ويضم [المعرفة ـ الفناء ـ البقاء ـ التحقيق ـ التلبيس ـ الوجود ـ التجريد ـ التفريد ـ الجمع والتوحيد].

وتنتهى هذه الموسوعة الصوفية المركزة بثلاثة أبيات شعرية [من السريع]. تقول:

مَا وَحَّدَ الوَاحِدَ مِنْ وَاحِدْ
إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ
تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ
عِبَارَةٌ أَبْطَلَهَا الوَاحِدُ
تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ
وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لَاحِدُ[١]

ومؤلف منازل السائرين، شيخ الإسلام: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن على.. المعروف بالهروى الأنصارى (٣٩٦ ـ ٤٨١ هجرية[٢]) أثار بهذا الكتاب

---

(١) منازل السائرين (طبعة الحلبى ١٣٨٦ هـ) ص ٤٨.

(٢) بخصوص الهروى الأنصارى. ترجماته ومؤلفاته. يمكن الرجوع إلى: دمية القصر ٢/ ٨٨٨ ـ طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧ ـ تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٥٤ ـ المنتظم ٩/ ٤٤ ـ الكامل ١٠/ ١٦٨ ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٦٥ ـ نفحات الأنس ٢١٢ ـ دول الإسلام ٢/ ١٠ ـ سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣ ـ العبر ٣/ ٢٩٧ ـ البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥ ـ النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٧ ـ طبقات المفسرين للسيوطى ٢٥ ـ طبقات المفسرين للداودى ١/ ٢٤٩ ـ طبقات المفسرين للأدفوى ٣٥ ب ـ تاريخ الخميسى ٢/ ٣٦٠ ـ كشف الظنون ١/ ٥٦، ٤٢٠، ٨٢٨، ٢/ ١٨٢٨، ١٨٣٦ ـ إيضاح المكنون ١/ ٣١٠، ٢/ ١١٨ ـ هدية =

www.alkottob.com

شجون العديد من الصوفية فتناولوه بالشرح، كما أثار حفيظة غير الصوفية فوقفوا منه موقف الذى لا يخلو من النقد[١].

وكان من البدهى أن تظهر فى شرح التلمسانى على منازل السائرين، تلك النزعة الصوفية العميقة التى نجدها عند تلامذة ابن عربى. ولعل مقارنة شرح التلمسانى للمنازل، مع شرح ابن القيم (مدارج السالكين) توضح لنا هذه الفروق بين مدرستين للتصوف، فمدرسة ابن عربى توغل فى أعماق المصطلح وباطن الرؤية الصوفية، بينما تقف المدرسة التى ينتمى ابن القيم إليها عند ظاهر الشريعة وحدود اللفظ ودلالاته العامة. . ومن مخطوطات شرح التلمسانى:

ـ نسخة بمكتبة السليمانية باستانبول (قسم ينى جامع) برقم ٧٠٦، كتبت بتاريخ ٧٣٥ هـ، تقع فى ٣٥٨ ورقة.

ـ نسخة بالسليمانية [قسم نفيس باشا] رقم ٤٢٤ تقع فى ٣٥١ ورقة.

ـ نسخة بمكتبة كوپريلى زاده باستانبول، برقم ٧٨٥، وهى نسخة مقابلة ومصححة كتبت سنة ٧٢٤ هجرية[٢].

ـ نسخة ذكرها بروكلمان برقم S. U. S. 433 [٣].

(٢) شرح المواقف

يمثل كتاب(المواقف) لأبى عبد الله محمد بن عبد الجبار النِّفَّرى[٤]، نمطا خاصا من أنماط التعبير الصوفى، يزيد فى غموضه وإبهامه عن (منازل السائرين) بمراحل

= العارفين ١/ ٤٥٢، ٤٥٣ ـ معجم المؤلفين ٦/ ١٣٣ ـ

Ethe: Crundriss der iran Philol 2,282- Ahlwardt 111,12- Brockelmann 1,773
Zhukowski: Wastacnia Zamietki 79 Ency. of Islam 11,318

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء، مجلد ١٨ ص ٥٠٩

(٢) انظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوپريلى (إعداد: د. رمضان ششن، جواد أيزكى، جميل إقبكار ـ منشورات المركز الإسلامى باستانبول).

(٣) Brockalmann: Gieschte der Arabishen Letiratir (Suppl). Leiden 1937, 145816

(٤) لا تكاد المراجع تذكرعن النفرى سوى بعض المعلومات عن وفاته (٣٥٤ هـ) وبلدته (النفر من أعمال =

www.alkottob.com

عديدة، ويختلف عنه من حيث المضمون والغاية . . فإذا كانت المنازل تستعير المصطلح الصوفى لترسم حدود التجربة الروحية وآفاقها الرحيبة، فإن المواقف تنفذ فى أعماق المثول بين يدى الله بعد المرور بدرجات سلم الترقى الروحى المعروف بالأحوال والمقامات، فلا تستعير المصطلح الصوفى بدلالاته المعروفة. وإنما تنحت لغة خاصة بها، لغة ذات طابع سحرى لا نراه إلا فى (المخاطبات) للنِّفَّرى أيضا، وفى رسالة بعنوان (الغوثية) تتأرجح نسبتها بين الإمام الجيلانى ومحيى الدين بن عربى، كنا قد رجحنا نسبتها إلى الإمام الجيلانى[1] . . وتشترك هذه النصوص الثلاثة (المواقف، المخاطبات، الغوثية) فى أنها «خطاب فهوانى» يتنزل على مسامع قلب الصوفى بعد عروجه الروحى لأعتاب الحضرة الإلهية.

وتتألف (المواقف) من سبعة وسبعين موقفا، تبدأ بموقف «العز» الذى تقول الفقرة الأولى منه: **أَوْقَفَنى فى العزِّ وقَال لى: لا يَسْتُقل به منْ دُونى شَىْء، وَلاَ يَصْلُحُ منْ دُونى لشَىْءْ، وأَنَا العزِيزُ الَّذى لاَ تُسْتَطَاعُ مُجَاوَرتُهُ وَلاَ تُرَامُ مُدَاوَمَتُهُ، أَظْهَرْتُ وأنا أَظْهَرُ منْهُ، فَمَا يُدْرِكُنى قُرْبُهُ ولاَ يَهْتَدى إلىَّ وُجُودُهُ؛ وأَخْفَيْتُ البَاطنَ وَأَنَا أَخْفَى منْهُ فَمَا يَقُومُ عَلىَّ دَلِيلُهُ وَلاَ يَصِحُ إلىَّ سبيلُهُ!**[2].

وكان لا بد للتلمسانى، وهو الشغوف بغرائب المعانى ودقائق الإشارات، أن يتوق لشرح هذه المواقف التى حفظ لنا الزمان من شرحه عليها، هذه النسخ المخطوطة:

- نسخة بالسليمانية [قسم أسعد أفندى] برقم ١٩٣٦ تقع فى ٦٩٢ صفحة، كتبت بتاريخ ٧٤٣ هجرية.
- نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٣٧٢ تقع فى ٢٠٠ ورقة، بدون تاريخ.

= الكوفة) أما تفاصيل حياته فلا تزال غامضة. انظر: كشف الظنون ٢/ ١٨٩١ ـ الأعلام ٧/ ٥٥ معجم المؤلفين ١٠/ ١٢٥: . . وأيضا:

Arbrry: Ency. of Islan, Art (NIFFARI) Btockelmann:Giesch 1,200

(١) الجيلانى: ديوان عبد القادر الجيلانى (تحقيق يوسف زيدان ـ مؤسسة أخبار اليوم) مقالة الغوثية.

(٢) النفرى: المواقف والمخاطبات (تحقيق جون آربرى) موقف العز.

www.alkottob.com

ـ نسخة بالسليمانية [قسم شهيد على باشا] برقم ١٤٣٣ تقع فى ٣٤٩ ورقة.

ـ نسخة بمكتبة سليم أغا [قسم هود جاى] برقم ٤٨٧ تقع فى ٤٣٨ صفحة.

ـ نسخة بمكتبة كوپريلى زاده، برقم ٧٤٤/ ٢ تقع فى ٢٥٩ ورقة، كتبت بخط نسخى مشكول سنة ٦٩٥ هجرية.

ـ نسخة ذكرها بروكلمان برقم (S. O. S. 200'358).

ـ نسخة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢١٥/ ن ح (الكتبخانة الخديوية).

(٣) شرح تائية ابن الفارض

تعدُّ تائية ابن الفارض الكبرى المعروفة باسم (نظم السلوك) واحدة من أشهر قصائد الشعر الصوفى، إن لم تكن أشهرها على الإطلاق.. فبرغم شهرة ابن الفارض وديوانه الشعرى[١]، فإن (التائية الكبرى) حظيت دوما بشهرة خاصة، باعتبارها التصوير الأتم للتصوف. ليس عند ابن الفارض وحده، وإنما عند صوفية الحقبة التى عاش فيها هذا الشاعر الصوفى المصرى الكبير.

وتقع هذه القصيدة فى ٧٦١ بيتا (من بحر الطويل) يقول البيت الأول منها:

سَقَتْنِى حُمَيَّا الحُبِّ رَاحَةُ مُقْلَتِى
وَكَأسِى مُحَيَّا مَنْ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ[٢]

ونظرا لعمق المعانى الصوفية التى أوردها ابن الفارض عبر أبيات التائية الكبرى، فقد أشفق بعض الشراح من الخوض فى بيان مقاصدها. يقول البورينى فى مقدمة شرحه لديوان ابن الفارض: «وقد استوفيت شرح كلامه واستوعبت نظام بيانه،

---

(١) دونما إسهاب فى ذكر القائمة الطويلة من المراجع الخاصة بابن الفارض وديوانه الصوفى، يمكن الإشارة إلى كتابين للدكتور/ محمد مصطفى حلمى، هما أفضل ما كُتب فى ذلك:
ـ ابن الفارض سلطان العاشقين (الهيئة المصرية العامة ـ أعلام العرب).
ـ ابن الفارض، والحب الإلهى (دار المعارف بمصر).

(٢) ابن الفارض: الديوان تحقيق (د/ عبد الخالق محمود) ص ٨٣.

www.alkottob.com

ما عدا التائية الكبرى، فإنى أوضحت فى عدم شرحها عذرا، لكونها فى بيان الدقائق الصوفية وفى إيضاح الرقائق المعنوية[1]». وهذا الإشفاق نجده أيضا عند العلمى الذى شرح الديوان، وأحجم عن التائية[2].

لكن الكثيرين من المتصوفة تناولوا القصيدة بالشرح والتأويل، فإذا كان أهل اللغة يشفقون من ذلك، فإن أهل التصوف يجدون بين أبياتها مستراحا لأفكارهم ومتنفسا لأحوالهم.. ولذا حظيت القصيدة بهذه الشروح:

- شرح الكاسانى الفرغانى، المتوفى ٦٦٩ هجرية.. بعنوان: منتهى المدارك.
- شرح عبد الرازق القاشانى، المتوفى ٧٣٠ هجرية.. بعنوان: كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر.
- شرح السراج الهندى، المتوفى ٧٧٣ هجرية.
- شرح شمس الدين البساطى المالكى.
- شرح جلال الدين القزوينى الشافعى.
- شرح داود القيصرى، المتوفى ٧٥١ هجرية.
- شرح صدرالدين الأصفهانى، المتوفى ٨٣٦ هجرية.
- شرح ابن حجر العسقلانى، المتوفى ٨٥٢ هجرية.
- شرح علوان الحموى الهيتى، المتوفى ٩٢٢ هجرية.. بعنوان: مدد الفائض والكشف العارض.
- شرح عبد الرؤوف المناوى، المتوفى ١٠٢٢ هجرية.
- شرح أمير بادشاه، كتبه سنة ١٠٣٤ هجرية.
- شرح إسماعيل الأنقروى المولوى، المتوفى ١٠٤٢ هجرية[3].

---

(١) البورينى: مقدمة شرح الديوان ص ١٩.

(٢) انظر النابلسى: كشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض ١/ ٤.

(٣) انظر: كشف الظنون ٢/ ٨٦ـ ابن الفارض والحب الإلهى ص ٩٤.

www.alkottob.com

وإلى جانب هذه الشروح يأتى شرح عفيف الدين التلمسانى، لتنتظم جميعا فى عقد واحد يعبر عن عناية الصوفية بهذه التائية الكبرى، كما يعبر عن المحاولة الدائبة لإظهار غوامض أفكار ابن الفارض وبيان المواطن العميقة المعنى فى قصيدته.. ومن شرح العفيف التلمسانى، نجد المخطوطات التالية:

ـ نسخة بالسليمانية (قسم شهيد على) برقم ١٢٧٥.

ـ نسخة بدار الكتب المصرية (قسم طلعت) برقم ١٣٢٨/ تصوف.

ـ نسخة بدار الكتب المصرية (قسم حليم) برقم ١/ فلسفة.

ـ نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٢٤١٥/ و

ـ نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ١٦٨/ م.

ـ نسخة بدار الكتب المصرية (رصيد عام) برقم ٩٠١/ حكمة وفلسفة.

وأخيراً، فمن لطائف ما يروى من التائية الكبرى، ما ذكره سبط ابن الفارض فى مقدمته للديوان حين يقول: إن شيخا من معاصرى ابن الفارض جاء يستأذنه فى شرح القصيدة، فسأله ابن الفارض: فى كم مجلد يقع شرحك؟ قال الشيخ: فى مجلدين.. فابتسم ابن الفارض وقال: لو شئت لشرحت كل بيت فى مجلدين[1].

(٤) شرح فصوص الحكم

يبدو أن العفيف التلمسانى كان يتعقب كل الكتابات الصوفية الغامضة بالشرح والتأويل.. فها هو يقف أمام واحد من أكثر كتابات الشيخ الأكبر (محيى الدين بن عربى المتوفى ٦٣٨)[2] تعقيدا وإيغالا فى الرمزية، فيتناوله بالشرح والتأويل.

---

(١) سبط ابن الفارض: ديباجة الديوان (تحقيق د/ عبد الخالق محمود) ص ٢٧.

(٢) انظر ترجماته فى: الذيل على الروضتين ١٧٠ ـ نفخ الطيب ٧/ ٩٠، ١٦١ ـ الوافى ٤/ ١٧٣ ـ البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦ ـ فوات الوفيات ٢/ ٢٤١ ـ لسان الميزان ٥/ ٣١١ ـ النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩ ـ مرآة الجنان ٤/ ١٠٠ ـ ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨ ـ شذرات الذهب ٥/ ١٩٠ ـ طبقات المفسرين للسيوطى ٣٨ ـ كشف الظنون (عدة مواضع تبدأ من ص ١٤ إلى ص ٢٠١٢) ـ إيضاح المكنون (عدة مواضع =

www.alkottob.com

ـ نسخة بمكتبة بايزيد (قسم ولى الدين) برقم ١٧٥١ ، تقع فى ٢٨٨ ورقة، كتبت بتاريخ ٩٠٥ هجرية .

ـ نسخة بالسليمانية (قسم حاجى محمد) برقم ٢٦٥٤ ، عدد صفحاتها ٢٩٦ .

ـ نسخة بمكتبة سليم أغا، برقم ٥١١ ، عدد صفحاتها ٣٤٠ .

ـ نسخة بدار الكتب المصرية، برقم ٣٩٠/ ن ح (الكتبخانة الخديوية) .

(٥) شرح القصيدة العينية

وهو شرح على قصيدة الشيخ الرئيس أبى على(ابن سينا)[١] التى تتناول موضوع النفس الإنسانية تناولا صوفيا قريب الصلة بمذهب أفلاطون وفلاسفة الإسكندرية . وتقع عينية ابن سينا فى عشرين بيتا (من بحر الكامل) يقول مطلعها :

هَبَطَتْ إلَيْكَ مِنَ الـمَـحَلِّ الأَرْفَعِ
وَرْقَـاءُ ذَاتُ تَـعَـزُّزٍ وَتَـمَـنُّعِ[٢]

وكما هو الحال فى المؤلفات الأربعة السابقة، حظيت القصيدة العينية باهتمام الشراح، حتى إن شروحها لا تكاد تقع تحت الحصر! ففى دار الكتب المصرية وحدها عشرات المخطوطات من الشروح المختلفة لهذه القصيدة[٣] .

وقد جعل العفيف التلمسانى لشرحه على القصيدة عنوان (الكشف والبيان فى معرفة علم الإنسان) وهو العنوان الذى أربك بعض المفهرسين ـ كالبغدادى[٤] ـ فذكروا (الكشف والبيان) و(شرح القصيدة العينية) وكأنهما مؤلفان مستقلان . ومن مخطوطات الكتاب :

---

(١) بخصوص ابن سينا يمكن الرجوع إلى : الكتاب الذهبى للمهرجان الألفى لابن سينا، تصدير د/ أحمد أمين ـ ترجمة ابن سينا لتلميذه ابن زيلة . طبعة حجر (حيدر آباد ـ الهند) .

(٢) ابن سينا : الديوان (تحقيق د/ حسين محفوظ ـ طهران) ص ١٩ .

(٣) من شراح العينية : محيى الدين بن عربى ـ الشاهرودى البسطامى ـ عبد الرءوف المناوى ـ مصطفى بن حسام الدين . . وغيرهم الكثير .

(٤) البغدادى : هدية العارفين ١/ ٤٠٠ .

www.alkottob.com

ـ نسختان ذكرهما بروكلمان برقمى S.S 455' 35 .

ـ نسخة بالظاهرية، برقم ٦٦٤٨ عام، عنوانها (كتاب الكشف والبيان فى علم معرفة الإنسان، شرح عينية ابن سينا) وهى مجهولة المؤلف!

ـ نسخة بدارالكتب المصرية برقم ٢٤١٥، وعنوانها (كتاب الكشف والبيان . .) يليها (الدر النفيس فى شرح قصيدة الشيخ الرئيس) وقد نسبتها الفهارس إلى الشيخ على الشاه رودى .

(٦) شرح الأسماء الحسنى

اعتاد كبار المتصوفة وضع الشروح على الأسماء الحسنى، التى ورد فى شأنها قوله صلى الله عليه وسلم (لله تعالى تسعة وتسعون اسما، من أحصاها دخل الجنة)[١] ومن البدهى أن شروح المتصوفة لهذه الأسماء الإلهية تختلف عن شروح غيرهم، فهم ـ خاصة المتأخرين منهم ـ مولعون بتناول آثار تجليات هذه الأسماء فى الكون، على النحو الذى يعطيه مشهد الوحدة . . حيث لا موجود سوى الله، وحيث كل الكون آثار لتجليات أسمائه وصفاته تعالى .

وعلى الرغم من ورود (شرح أسماء الله الحسنى) كواحد من مؤلفات التلمسانى عند معظم المترجمين والمفهرسين له[٢]، إلا أننا لم نجد غير نسخة خطية وحيدة من هذا الكتاب، محفوظة بالسليمانية (قسم لالولى) تحت رقم ١٥٥٦، وهى نسخة كتبت بتاريخ ٧٩٤ هجرية : تقع فى ٢٥٤ ورقة .

(٧) رسالة فى علم العروض

ليس من المستغرب أن يكتب التلمسانى، وهو الشاعر الكبير، هذه الرسالة فى

---

(١) أخرجه البخارى فى التوحيد ١٢ وشروط الإيمان ١٨ ـ والترمذى فى الدعوات ٨٣ ـ وابن حنبل فى المسند ٢/ ٢٥٨، ٢٦٧، ٣١٤، ٤٢٧، ٤٩٩، ٥٠٣، ٥١٦ .

(٢) انظر : هدية العارفين ١/ ٤٠٠ ـ الأعلام ٣/ ١٩٣ ـ معجم المؤلفين ٤/ ٢٧٠ ـ كشف الظنون ٨٠٢ ـ إيضاح المكنون ٢/ ٢٣٢ ـ تاريخ الأدب العربى د/ عمر فروخ ٣/ ٦٥٦ .

www.alkottob.com

علم العروض . . لكن الغريب أن كرنكوف فى مقالته على التلمسانى بدائرة المعارف الإسلامية، يقول إنها : الأثر الوحيد الباقى من مؤلفات التلمسانى[1] .

وقد أشار كرنكوف إلى نسخة مخطوطة من هذه الرسالة العروضية، محفوظة ببرلين تحت رقم ٧١٢٨ .

* * *

ويذكر بروكلمان للتلمسانى مؤلفا بعنوان (المقامات) مشيرا إلى نسختين مخطوطتين منه بالموصل ـ تحت رقمى ١٣٦ ، ٢٣٦ ـ[2] وهما على الأرجح نسختان من شرح التلمسانى على مواقف النفرى .

وفى دار الكتب المصرية، مخطوطة محفوظة تحت رقم ٥١١ شعر/ طلعت، وهى عبارة عن شرح لقصيدة البردة ـ ناقص من أوله ـ مكتوب عليها أنها لابن العفيف التلمسانى . . وهى نسبة تدور حولها شكوك كثيرة؛ إذ إن مؤلف البردة (محمد بن سعيد الصنهاجى الدلاصى، المعروف بالبوصيرى)[3] توفى على أرجح التواريخ، سنة ٦٩٤ هجرية، أى بعد وفاة التلمسانى بسنوات قليلة، ولا نعتقد أن شهرة البوصيرى السكندري كانت آنذاك قد وصلت إلى التلمسانى نزيل دمشق، ولم تكن قصيدته (من البسيط) التى يقول مطلعها :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذَى سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

نقول، لم تكن هذه القصيدة قد بلغت من الشهرة آنذاك ما يؤهلها لشرح

---

(١) كرنكوف : مادة التلمسانى بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٥/ ٤٦٣ .

(٢) Brockelmann 4583.

(٣) انظر ترجمة البوصيرى فى الوافى ٣/ ١٠٥ ـ شذرات الذهب ٥/ ٤٣٢ ـ كشف الظنون ١٣٣١ ، ١٣٤٩ ـ هدية العارفين ٢/ ١٣٨ ـ معجم المؤلفين ١٠/ ٢٨ ـ مادة (بوصيرى) بدائرة المعارف الإسلامية ـ Brockl ... 472.

كما يمكن الرجوع إلى بحث الأستاذ عبد العليم القبانى : الإمام البوصيرى (الإسكندرية ١٩٦٥م .

www.alkottob.com

التلمسانى، خاصة أنها لا تتميز بتلك الخصائص التى نجدها فى الأعمال التى شرحها التلمسانى.. أعنى، لا تتميز بالغموض! وبالإضافة لذلك، فإننا لا نجد واحدا من المفهرسين والمترجمين للتلمسانى يذكر له هذا الشرح على البردة.

وبعد.. فإن للعفيف التلمسانى، بالإضافة إلى ما ذكرناه من مؤلفات، ديوانه الشعرى.

الديوان

يعتبر ديوان التلمسانى هو أكثر أعماله تعبيرا عن شخصيته، وآفاق تصوفه. فإذا كانت سائر مؤلفات التلمسانى - باستثناء رسالته فى العروض - هى شروح على ماكتبه السابقون عليه، فإن هذا الديوان هو المؤلف المستقل الذى لم يتقيد فيه العفيف بعبارة غيره، بل انطلق بحسه الشعرى المرهف، ليعبر عما يراه هو من حقائق المحبة، وغيرها من ملامح الطريق الصوفى.

والديوان هو أشهر مؤلفات التلمسانى على الإطلاق، ولا توجد شكوك فى نسبته له؛ إذ ذكره معظم المترجمين والمفهرسين للتلمسانى[1]، واقتبس منه المؤرخون أبياتا كثيرة، نالت شهرة واسعة فى حياة التلمسانى وبعد وفاته.. وإن تضاربت حول جودتها الآراء!

---

(١) هناك ترجمات للتلمسانى، وإشارات لديوانه، بالمصادر الآتية:
البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٣٢٦ - تاريخ الإسلام للذهبى (المجلد الأخير) - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٨/ ٢٩ - المنهل الصافى لابن تغرى بردى (المجلد السادس) - فوات الوفيات ١/ ١٧٨ - مرآة الجنان للذهبى ٤/ ٢١٦ - أعيان الشيعة للعاملى ٣٥/ ٣٦٠ - النهر الماد من البحر لأبى حيان الأندلسى ٣/ ٤٤٨ - العبر فى خبر من غبر للذهبى ٥/ ٣٦٧ - نفحات الأنس لعبد الرحمن جامى ص ٦٦٧ - آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ٣/ ١٣٠ - الأعلام للزركلى ٣/ ١٩٣ - هدية العارفين للبغدادى ١/ ٤٠٠ - إيضاح المكنون للبغدادى ٢/ ٤٣٢ - كشف الظنون لحاجى خليفة ٢٢٦، ٨٠٢، ١٠٣٤، ١٨٢٩، ١٨٩١، - معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤/ ٢٧٠ - تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ ٣/ ٦٥٦ - Ahlwardt 42 - مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٤ - تاريخ ابن خلدون ٢/ ٤١٦ - مجموعة الرسائل لابن تيمية ١/ ٦٧ - الفلاكة والمفلوكون (مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٣٤ أدب/ تيمور، ص ٧٢) الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية (مخطوط دار الكتب رقم ٢٦٠/ تاريخ ورقة ٢٣١ب).
Balencia: History dela Litterture Arabiga294 Brockelmann458

www.alkottob.com

ومن الآراء المتضاربة حول شعر التلمسانى، قول الدكتور عمر فروخ: أما شعره فسهل ينوء أحيانا بالضعف[١]. . فى حين يقول ابن العماد: وأما شعره ففى الذروة العليا من البلاغة[٢]. . ويقول ابن شاكر: وشعره جيد إلى الغاية[٣]. . وهو ما نجده أيضا عن ابن تغرى بردى حين يصف التلمسانى بأنه: من الشعراء المجيدين[٤]. عموما، فإن إصدار الحكم على جودة الشعر غالبا ما يخضع لمعايير مختلفة، وذلك ـ كما يقول الآمدى[٥] ـ لاختلاف أذواق الناس وقدر قبولهم لشاعر دون آخر. . لذا، فإن قيمة شعر التلمسانى لن تظهر لنا، إلا بعد مطالعة ديوانه؛ وبعد تحديد موقع هذه المطالعة من أذواقنا.

وديوان التلمسانى ـ فى معظمه ـ يدور حول تلك الأفكار الصوفية التى ظهرت عند ابن عربى وابن سبعين، وأتباعهما. . وقد كانت لنا وقفات هامشية كثيرة فى تحقيق الديوان، لإيضاح مراد التلمسانى من هذه الدقائق الصوفية التى قد يغيب مفهومها عن القارئ البعيد عن ميدان التصوف. لكننا هنا نود الوقوف عند أهم فكرتين فى الديوان، إذ أوقف العفيف التلمسانى أغلب أشعاره على تصويرهما. . وهما: الوحدة، المحبة.

الوحـدة

تكررت إشارات التلمسانى إلى فكرة الوحدة بمفهومها الصوفى. . وهذه الفكرة تقول ـ ببساطة شديدة ـ إنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى، وإنه إذا قرن وجود المخلوقات بالوجود الإلهى، تلاشى الوجود الخلقى تماما، ولم يبق إلا: الله فقط.

والصوفية يستندون فى قولهم بهذه الوحدة الإلهية، التى تتلاشى معها كل مظاهر الوجود، إلى أمرين. . الأول: تأويلهم لبعض آيات القرآن الكريم مثل:

---

(١) د/ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى (دار العلم للملايين ـ بيروت) ٣/ ٦٥٦.
(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (دار المسيرة ـ بيروت) ٥/ ٤١٢.
(٣) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، تحقيق د/ إحسان عباس (دار الثقافة ـ بيروت) ٢/ ٧٦.
(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٣٠.
(٥) الآمدى: الموازنة بين أبى تمام والبحترى (بيروت) المجلد الأول ص ٦.

www.alkottob.com

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣)... ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥).. ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الأحقاف: ٣) والأمر الثانى: شهودهم فى لحظات الفناء أنه لا موجود إلا الله، وما سواه لا يمكن أن يقال له (موجود) إلا على سبيل المجاز.

ومعارضو الصوفية يطلقون على هذه الفكرة اسم (وحدة الوجود) ويعدونها ضربا من الشرك بالله، إذ لا تفرقة ـ كما يقول ابن تيمية ـ بين الوجود والثبوت، والإطلاق والتعيين[١].. وهذا يعد عندهم: قولا بحلول الله فى الموجودات، وتأليه المخلوقات.

أما مؤيدو الصوفية، فيعتبرون ذلك (وحدة شهود) وأنه حال مؤقت لصفوة أهل الفناء فى الله، وذلك ـ كما يقول عبد الكريم الجيلى ـ نوع من معرفة تجليات الحق تعالى، وظهور أسمائه وصفاته فى الكون، فيرجع إليه الوجود المنسوب إلى المخلوق، والوجود المنسوب إليه، فيكون له تعالى: الوجود جميعه.. وهذا حقيقة التوحيد[٢].

وعلى الرغم من أننا قد سبق أن أفردنا لموضوع (الوحدة) عدة أبواب وفصول فى مؤلفات أخرى[٣]: إلا أننا نرى الجدال بين الصوفية والفقهاء بصددها لا طائل تحته، فكل فريق منهما لديه من الحجج ما يكفى لاتهام الفريق الآخر إما بالكفر وإما بقصَر النظر ـ وكل فريق يدعم موقفه بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.. وكل فريق بما لديهم فرحون! وعلى الحقيقة، فإن كانت (الوحدة) مشهدا ذوقيا موقوفا على الخاصة من أهل الله ـ كما يقول الصوفية ـ فقد كان الواجب على أهل التصوف أن يحجموا عن تفصيل القول فى هذا المشهد الذوقى، باعتباره كشفا غير مشاع.. وهذا ما لم يفعله التلمسانى فى ديوانه!

---

(١) ابن تيمية: رسالة فى إبطال وحدة الوجود (مجموعة الرسائل والمسائل، المجلد الأول) ص ٨١.

(٢) عبد الكريم الجيلى: حقيقة الحقائق (دار الرسالة ـ القاهرة) ص ٥.

انظر: يوسف زيدان: الفكر الصوفى (دارالنهضة العربية ـ بيروت) الباب الثالث ص ١٥٥: ٢١٧.

(٣) يوسف زيدان: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (الهيئة المصرية العامة ـ أعلام العرب) الفصل السابع ص ١٤١: ١٦٤.

www.alkottob.com

المحبة

المحبة عند الصوفية، هى العلاقة الكبرى فى الطريق إلى الله. وهى فى مفهومها الصوفى: تفريغ القلب من التعلق بشىء سوى محبة الخالق عز وجل، والقيام بواجب محبته من عبادة وزهد وتقرب بفضائل الأعمال، والشوق إلى لقاء الله والوحشة من الدنيا.

ولا يختلف الصوفية والفقهاء حول وجوب محبة العبد لربه وحب الله لعباده، فقد وردت فى ذلك عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية. لكن الصوفية حلَّقوا بأجنحة المحبة فى سماء الشوق إلى الله، حتى كانت أحوالهم فى مجملها: آيات حب بليغة.

ولا يكاد تراث واحد من الصوفية يخلو من حديث المحبة، سواء كان ذلك نثرا أو شعرا، ولم تكن أبيات التلمسانى الكثيرة فى المحبة خروجا على الإجماع الصوفى.. وإن كان فى أبيات المحبة عند التلمسانى إشكال كبير.

وعلى الرغم من أن أشعار التلمسانى تكتسى بطابع الرمزية الذى يتميز به الشعر الصوفى، حيث نجد (ليلى، لبنى، سلمى.. وغيرهن) هن محض إشارات إلى جمال الذات الإلهية، ومحض رموز يعبر بها الشاعر الصوفى عن استهلاكه فى محبة الله.. إلا أن الإشكال يكمن عند التلمسانى فى بضعة أبيات ـ قليلة جدا ـ لا يمكن حملها على جانب الرمز والإشارة الصوفية. يقول التلمسانى (من الطويل):

كَـــأنَّ عِـــــذَارَ مَنْ أُحِبُّ بِخَـــدِّهِ
رِضَـــاهُ، وَفِـــيـــهِ بَعْضُ آثَارِ صَـــدِّهِ
رَشِـــيـقُ التَّـــثَنِّى رَاشِقُ الجَـــفْنِ فَـــاتِكٌ
جُـيُـوشُ الهَـوَى مِنْ تـحْتِ رَايَةِ قَـصْـدِهِ
يُكَـلِّفُ رِدْفَـيْـهِ مَنَ الثِّـقْـلِ مِـثْلَ مَـا
يُكَـلِّفُ مِنْ ثُـقْلِ الهَـوَى قَلْبَ عَـبْـدِهِ
يَمُـوجُ غَـدِيرٌ تَـحْتَ غُـصْنِ قَـوَامِـهِ
وَثُعْـبَـانُ ذَاكَ الشَّـعْـرِ ظَامٍ لِوِرْدِهِ

www.alkottob.com

إن هذه الأبيات الأربعة، من مقطوعة شعرية بديوان التلمسانى عددها خمسة عشر بيتا، فهل يمكن بحال أن نتأولها على المحبة بالمعنى الصوفى، مع هذه الحسية الواضحة فى التصوير، خاصة هذا الحديث عن ثقل الأرداف!

وهنا إشكالٌ مماثلٌ لذلك، تعرَّض الدكتور محمد مصطفى حلمى، أثناء دراسته للحب الإلهى عند ابن الفارض، فقد وجد ابن الفارض يقول فى أبيات شبيهة بأبيات التلمسانى (دوبيت)[1].

أَهْوَاهُ مُهَفْهَفًا ثَقِيلَ الرِّدْف
كَالبَدْرِ يَجِلُّ حُسْنُهُ عَنْ وَصْفِ
مَا أَحْسَنَ وَاوَ صُدْغِهِ حِينَ بَدَتْ
يَارَبِّ عَسَى تَكُونُ وَاوَ العَطْفِ[2]

وعبثا يحاول عبد الغنى النابلسى، المتوفى ١١٤٣ هجرية، أن يتأول البيتين فى شرحه المتعسف لهما، قائلا: إن «مهفهفا» تشير إلى «صورة التجلى الإلهى من حيث الأسماء الجمالية فى حقيقة الروح الأعظم» وإن «ثقيل الردف» تشير إلى «جميع العوالم المكتوبة بالقلم الأعلى فى اللوح المحفوظ الذى هو نفس العلم بالنور المحمدى».

وإذا كنا نتفق مع الدكتور حلمى فى تحفظه على شرح النابلسى[3].. فإننا نتفق معه أيضا فى تفسير هذه الأبيات الحسية عند ابن الفارض ـ وعند عفيف الدين التلمسانى من بعده ـ على النحو التالى.

---

(١) الدوبيت من فنون الشعر المعربة، نقل من الفارسية إلى العربية. ولفظ (دوبيت) معناه (بيتان) فلا يقال منه إلا بيتان بيتان فى أى معنى يريده الناظم.. انظر (ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب، للهاشمى ـ المطبعة التجارية بمصر ـ ص ١٤٥. ١٤٦).

(٢) ابن الفارض: الديوان، تحقيق د/ عبد الخالق محمود (دار المعارف ١٩٨٤) ص ٢١٥.

(٣) بخصوص شرح النابلسى وتعليق د/ محمد مصطفى حلمى، انظر: النابلسى: شرح ديوان ابن الفارض ٢/ ١٩٠.

د/ محمد مصطفى حلمى: ابن الفارض والحب الإلهى ص ١٥٤.

www.alkottob.com

ليس هناك ما يمنع أن يكون الشاعر، قبل دخوله للطريق الصوفى، قد أحب حبا إنسانيا عبَّر عنه فى هذه الأبيات التى تحمل الطابع الحسى الفج، ثم انصرف الشاعر عن هذا الحب الزائل إلى المحبة الدائمة لله تعالى. . ولما جُمع شعره فى ديوان، ضُمت إليه هذه الأبيات التى أنشدها فى محبوبة إنسانية ذات أرداف! وإلا فإن هذى الصفات لا يمكن بوجه من الوجوه أن تشير إلى الذات الإلهية، مهما كان قدر الرمزية عند الشاعر الصوفى.

وأرانى ميَّالاً إلى تأكيد أن الحب الإنسانى الذى عبرت عنه أبيات ابن الفارض والتلمسانى الحسية، كان سابقا على دخولهما غمار التجربة الصوفية وإنشادهما شعر المحبة الإلهية، لأن المفترض فى المحبة الإلهية عند الصوفية أنها: لا تترك فى قلب المحب بقية لحب سواه عز وجل!

* * *

تلك هى أهم النقاط التى أردنا الوقوف عندها، قبل الولوج إلى أبيات العفيف التلمسانى التى نقدمها اليوم فى هذه الطبعة المحققة للديوان.

www.alkottob.com

منهج تحقيق الديوان

www.alkottob.com

نشير فيما يلى، إلى أهم خطوات منهج التحقيق النقدى، المتبع فى إخراج هذا الديوان:

الأصول المخطوطة

كانت الخطوة الأولى فى رحلة تحقيق الديوان، متمثلة فى البحث عن أكبر قدر من الأصول المخطوطة، لحصرها ومعرفة مواطن حفظها، ثم اختيار بعضها للاعتماد عليه فى التحقيق. وقد لاحظنا أن تلك الأصول المخطوطة كانت فى معظمها [مجموعات شعرية] أكثر منها [مخطوطات ديوان] فقد انفردت نسخ منها بأشعار لم ترد فى غيرها، وبدأت معظمها ببدايات مختلفة عن غيرها، واختلف كم القصائد بين مخطوطة وأخرى. وذلك كله يدل على أن ديوان التلمسانى قد جمع بعد وفاته.. وقد انتهى بحثنا إلى معرفة هذه الأصول المخطوطة:

- نسخة بمكتبة آصفية [برقم ١/ ٧٠٠] وهى النسخة التى أشار إليها بروكلمان[1].
- نسخة بالسليمانية، قسم أسعد أفندى [برقم ٣٩٤٣/ أدب صوفى] وتقع فى ١٨٨ ورقة.
- نسخة بالسليمانية، قسم أسعد أفندى [برقم ٢٧٥٧/ أدب صوفى] تقع فى ١٥٤ ورقة.
- نسخة بالسليمانية، قسم لالولى [برقم ١٧٥٥/ أدب صوفى] تقع فى ١٩٠ ورقة.

(1)Brockelmann: Giesheichte der Arabischen Litterur, LiedenII. 458= 16

www.alkottob.com

- نسخة بالسليمانية، قسم آيا صوفيا [برقم ٣٩٤٣/ أدب صوفى] كتبت فى عهد السلطان محمود خان، تقع فى ١٨٩ ورقة.

- نسخة بالسليمانية، قسم خسرف باشا [برقم ١١٤٦] تقع فى ٢٠٠ ورقة.

- نسخة بمكتبة كوپريلى زاده [برقم ١٦٢٠/ ٩] وهى مجموعة من منتخبات شعرية أولها:

مَـــادُونَ رَامَـــةَ لِلمُـــحِبِّ مَـــرَامُ

سِـــيـــمَـــا إِذَا لاَحَتْ لَهُ الأَعَـــلاَمُ

- نسخة بمكتبة آية الله الحكيم، النجف [برقم ٣٦٥] تقع فى ١٠٠ ورقة[1] أولها:

مَنَعَتْـهَـا الصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ

أَن تُـرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْـمَـاءُ

- نسخة بالظاهرية، دمشق [برقم ٤١٦٨/ شعر] كتبها محمد صادق بن أمين المالح سنة ١٣٢٧ هجرية أولها:

أَلَـمْ يَأنِ أَنْ تُـرْوِى قُـلَيْـبَ مُـتَـيَّـمٍ

تَفِـيـضُ مَـآقِى جَـفْـنِه وَهْوَ يَـظْمَـأ

- نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩١٧/ شعر] كتبت سنة ٩٩٨ هجرية أولها:

مَنَعَتْـهَـا الصِّـفَـاتُ وَالأَسْـمَـاءُ

أَنْ تُـرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْـمَـاءُ

- نسخة بالظاهرية [برقم ٥٩٨٢/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

نُفُـوسٌ نَفِـيـسَـاتٌ إِلَى الحَىِّ حَنَّت

فَلَـمَّـا سَـقَـاهَـا الحُبُّ بِالكَاسِ غَنَّت

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

www.alkottob.com

ـ نسخة بالظاهرية [برقم ٨٠٩٧/ شعر] بدون تاريخ، أولها:

يَقُـولُ رَسُـولُ الـلهِ وَهْوَ الـمُـصَـدَّقُ

وَعَـنْ عِلْـمِ [الـغَـيْـبِ] الإلَـهِيِّ يَـنْطِـقُ

ـ نسخة بالمعهد الأحمدى، طنطا [برقم ١٠٦٤/ تصوف] كتبت بتاريخ ١٣١٧هـ، أولها:

مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ

أن تُرَى دُون بُرْقُعٍ أَسْمَاءُ

ـ نسخة بالاسكوريال، إسبانيا [برقم ٣٨٥].

ـ نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور].

ـ نسخة بدار الكتب المصرية [برقم ١١٤٧ شعر / تيمور].

ـ وكانت هذه النسخ الثلاث الأخيرة، هى نسخ التحقيق التى اعتمدنا عليها لاستخراج النص المحقق.

وصف نسخ التحقيق

لا تنتمى الأصول الثلاثة التى اعتمدنا عليها إلى أصل واحد، ولم تنسخ إحداها من الأخرى.. وقد بدأت مخطوطتان منها بترتيب القوافى ترتيبا هجائيا من الهمزة إلى الياء، وبدأت الثالثة بداية مختلفة ورتبت القوافى على غير النسق الوارد فى المخطوطتين السابقتين. وفيما يلى وصف النسخ:

نسخة أ

هى مخطوطة الاسكوريال رقم ٣٨٥/ أدب عربى، نسخة بقلم معتاد تقع فى ١٣٦ ورقة [الورقة صفحتان] مقاس الصفحة ١٤,٥ × ٢٠سم، بكل صفحة ما يقرب من عشرة أسطر شعرية[١].

(١) توجد من هذه المخطوطة صورة ميكروفيلمية بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

www.alkottob.com

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، وتملكات بها آثار شطب وطمس [انظر الصورة فيما يلى] وعلى الورقة الأخيرة: تم الديوان المبارك بمنِّ الله وحسن توفيقه.. نهار السبت خامس وعشرين من شهر جمادى الأولى أحد شهور سنة ٨٤٩هـ.

وهذه النسخة أفضل النسخ الثلاث من حيث وضوح الخط ودقة الناسخ، ويبدو أن الناسخ كان على علم بقواعد العروض، لأنه كان يضع عند الأبيات التى يراها مكسورة الوزن، علامة +.. وقد تعمد الناسخ تغيير بعض الكلمات ليضبط الأوزان بحسب اجتهاده! وقد عنى الناسخ بشكل كلمات الصفحة الأولى، ثم أهمل ذلك فى بقية الصفحات، وكان أحيانا يهمل نقط الحروف.

نسخة ب

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم١٠٩٠ شعر/ تيمور، نسخة لا بأس بها، بها خروم فى بعض المواضع، تقع فى ٥٠ صفحة مقاس ١٧,٥×٢٣سم، مزدحمة الأسطر، تحوى الصفحة الواحدة ثلاثين بيتا شعريا فى المتوسط العام.

وعلى الورقة الأولى، كُتب العنوان بخط باهت غير مقروء، وتحته ختم دار الكتب المصرية، وتملك مؤرخ بسنة ١٣١٥. وعلى الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى البخارى] وتاريخ النسخ [يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ١١٤٤ هجرية].

وناسخ المخطوطة أمين فى نقله، حريص على شكل الكلمات ـ أحيانا كثيرة نجد الشكل غير صحيح ـ دقيق المراجعة.. وقد استبعد هذا الناسخ العديد من الأبيات التى بدت له غير واضحة المعنى!

نسخة جـ

وهى مخطوطة دار الكتب المصرية ١١٤٧شعر/ تيمور، نسخة بقلم معتاد، واضحة، غير مشكولة، مقروءة فى معظم المواضع. تقع فى ١١٩ صفحة مقاس ١٤×٢٣سم، بالصفحة الواحدة ١٦ سطرا تقريبا.

www.alkottob.com

وعلى الورقة الأولى عنوان الديوان، ثم يبدأ الناسخ فى الورقة الثانية بالبسملة ومن بعدها: «قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى رضى الله عنه ونفع به وجعلنا من أهل قربه بمحمد وحزبه» وهى ديباجة تشير إلى أن الناسخ من أهل التصوف.

وتحمل الصفحة الأخيرة اسم الناسخ [عبد الباقى الجزائرى الحسنى] وهو بحسب ما تذكر فهارس دار الكتب: صهر الأمير عبد القادر الجزائرى.. وقد ذكر الناسخ تاريخ النسخ: أواسط جمادى الأولى سنة ١٣٠٩هجرية، وبذلك تكون النسخ الثلاث قد كتبت فى شهر جمادى الأولى.

وإذا كانت هذه النسخة هى أحدث النسخ الثلاث زمنا، فهى أيضا أقلها دقة واكتمالا. وقد خالفت النسختين السابقتين فى أنها لم ترتب الأشعار بحسب الترتيب الهجائى للقوافى.

المقابلة بين النسخ

لم يكن من الممكن اتخاذ واحدة من نسخ التحقيق [مخطوطة أصلية] واعتبار النسخ الباقية ثانوية ـ كما يحدث فى الكثير من الأعمال المحققة ـ إذ إن هذه النسخ جميعا، متأخرة عن عصر التلمسانى بزمن طويل. وإذا كانت النسخة [أ] أقدمها، فإن النسخة [ب] أدقها، والنسخة [جـ] تحتوى على أشعار لم ترد فى غيرها.

لذلك، كانت المقابلة بين النسخ المخطوطة تقوم على اعتبار أنها جميعا فى مرتبة واحدة من حيث الأهمية، فلم نقم بإصلاح نسخة منها على أساس أنها [المخطوطة الأم] وإنما قابلنا بينها جميعا، وغايتنا استخراج النص الشعرى كما وضعه التلمسانى.

عمل المحقّق

يمكن إيجاز العمل الذى قمنا به فى التحقيق، فيما يلى:

[١] اختيار الكلمة الصحيحة بعد المقابلة، والإشارة إلى ما رأينا أنه من خطأ النساخ

www.alkottob.com

فى الهامش. وقد كان اختيارنا للكلمة الصواب يقوم على مراعاة الوزن العروضى، وطبيعة أسلوب التلمسانى، وحدود المصطلح الصوفى.

[٢] تشكيل الكلمات وضبطها ضبطا كاملا.

[٣] الفصل بين المقطوعات الشعرية بذكر البحور.

[٤] ترتيب المقطوعات وفقا لما ورد فى النسخة [أ] ثم ما ورد فى [ب]، [جـ] على التوالى. وإذا اجتمعت النسخ الثلاث على ذكر المقطوعة الشعرية، لم نذكر ذلك فى الهامش، أما إذا انفردت إحدى النسخ بمجموعة أبيات، أشرنا فى الهامش إلى انفرادها بذلك.

[٥] ترقيم الأبيات حتى يسهل الرجوع إليها.

[٦] وضع علامة [م] عند كل تدوير يقع فى أحد الأبيات[١].

[٧] تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تشير إليها الأبيات.

[٨] شرح المفردات اللغوية والمصطلحات الصوفية، والتعليق على المواضع التى نراها غامضة فى مفهومها الصوفى[٢]. أما ما يسمى فى البلاغة بمواطن الجمال، فقد آثرنا عدم الإشارة إليه كى لا نحرم القارئ من استكشاف هذه المواطن الجمالية.

[٩] قمنا بعمل فهارس للديوان: فهرس للآيات القرآنية ـ فهرس للأحاديث النبوية ـ فهرس للمفردات والمصطلحات الصوفية.

---

(١) التدوير فى العروض وفى الشعر، هو استكمال التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول فى بداية الشطر الثانى.

(٢) فيما يتعلق بشرح المفردات اللغوية. كان أكثر اعتمادنا على [لسان العرب] لابن منظور، فى طبعته البيروتية التى أصدرتها [دار لسان العرب] بتصنيف يوسف خياط. أما المصطلحات، فقد رجعنا بصددها إلى عدة مراجع منها: الرسالة القشيرية ـ اللمع للسراج الطوسى ـ التعرف للكلاباذى ـ اصطلاحات الصوفية لابن عربى ـ اصطلاحات الصوفية للقاشانى.

www.alkottob.com

ملاحظات التحقيق

ظهرت لنا عند تحقيق الديوان بعض الملاحظات التى يمكن تلخيصها فيما يلى :

[١] كان النساخ كثيرا ما يتصرفون فى النص وفق ما يرونه صوابا، كما كانوا يستبعدون من الأبيات ما لا يوافق عليه كل واحد منهم! ولولا أن المقابلة تمت بين أصول مخطوطة لا تنتمى لأصل واحد، لكان النقص كبيرا فى الديوان.

[٢] هناك بعض الأبيات التى تبدأ بحرف الروى نفسه، وقد انفردت النسخة [جـ] بها.. وسوف نجد هذه الأبيات عند نهاية قوافى كل حرف.

[٣] لم يخرج التلمسانى فى شعره عن الخصائص العامة لشعر الصوفية، وإنما أضاف إليها مذاقا خاصًا يتميز به.

[٤] يهوى التلمسانى فى أبياته: الإكثار من التضمين للآيات القرآنية ـ تعمد التقديم والتأخير فى الجملة الشعرية ـ استخدام أسماء البلدان كرموز، فنجد مصر تعنى الإصرار، وحران تشير إلى حر قلب المحب، وصفد تعنى الأصفاد.. إلخ، وقد أشرنا لذلك فى هوامش التحقيق.

* * *

وعلى الصفحات التالية، بعض النماذج من المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق، يليها ثبت بالرموز المستعملة فى هوامش الصفحات، ثم يأتى النص المحقق لديوان التلمسانى.

www.alkottob.com

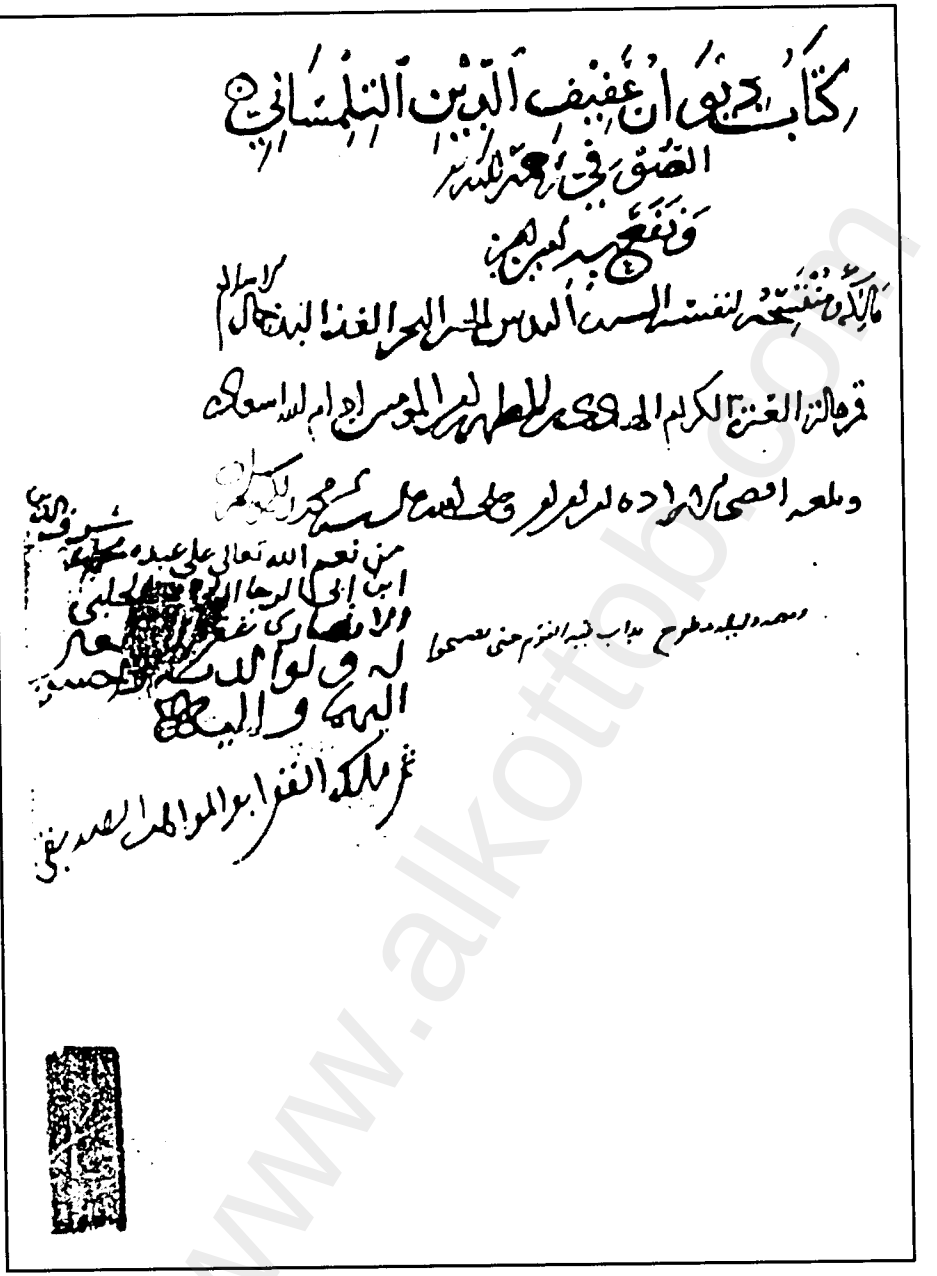

مخطوطة [أ]

نسخة الاسكوريال رقم 385

www.alkottob.com

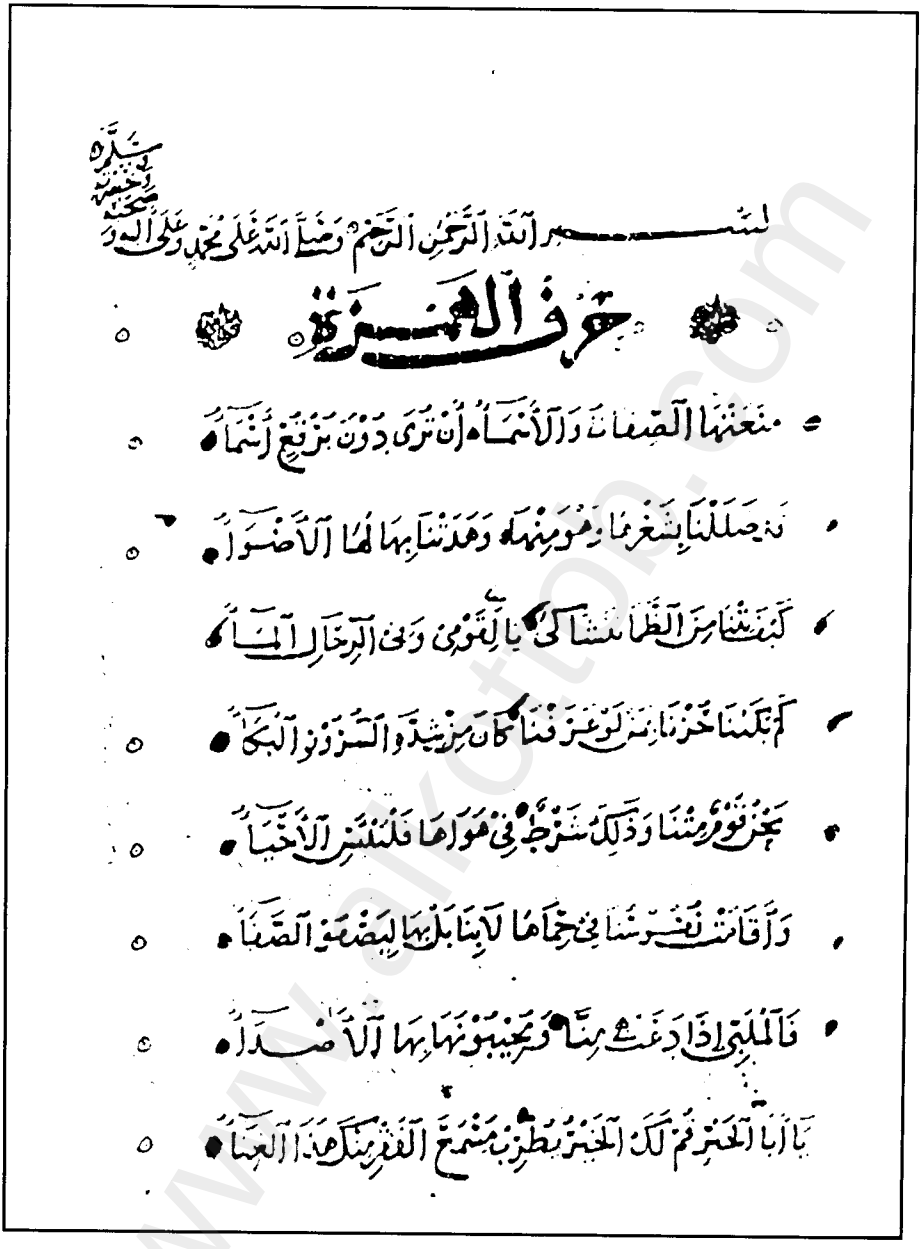

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حرف الهمزة

منعتها الصفات والأنماء أن ترى دون بزغ أنماء

ضللنا بشعرها وهو منها وهدتنا بها لها الأضواء

كبنات الظبا تشاكى يا لقومي وفي الرجال النساء

لم تكنا خزنا من لو عزفنا كان مزيدا والعز وز البكاء

نحن قومنا وذلك شرف في هواها فلنتنس الآخياء

وأقامت نفوسنا في حماها لا بنا بل بها ليضمو الصفاء

فالملبي إذا دعت بنا وتجيبو نها بها الأصداء

يا أبا الخير قم لك الخير يطرب منمع القدر منك هذا العناء

مخطوطة [أ]

الصفحة الأولى

www.alkottob.com

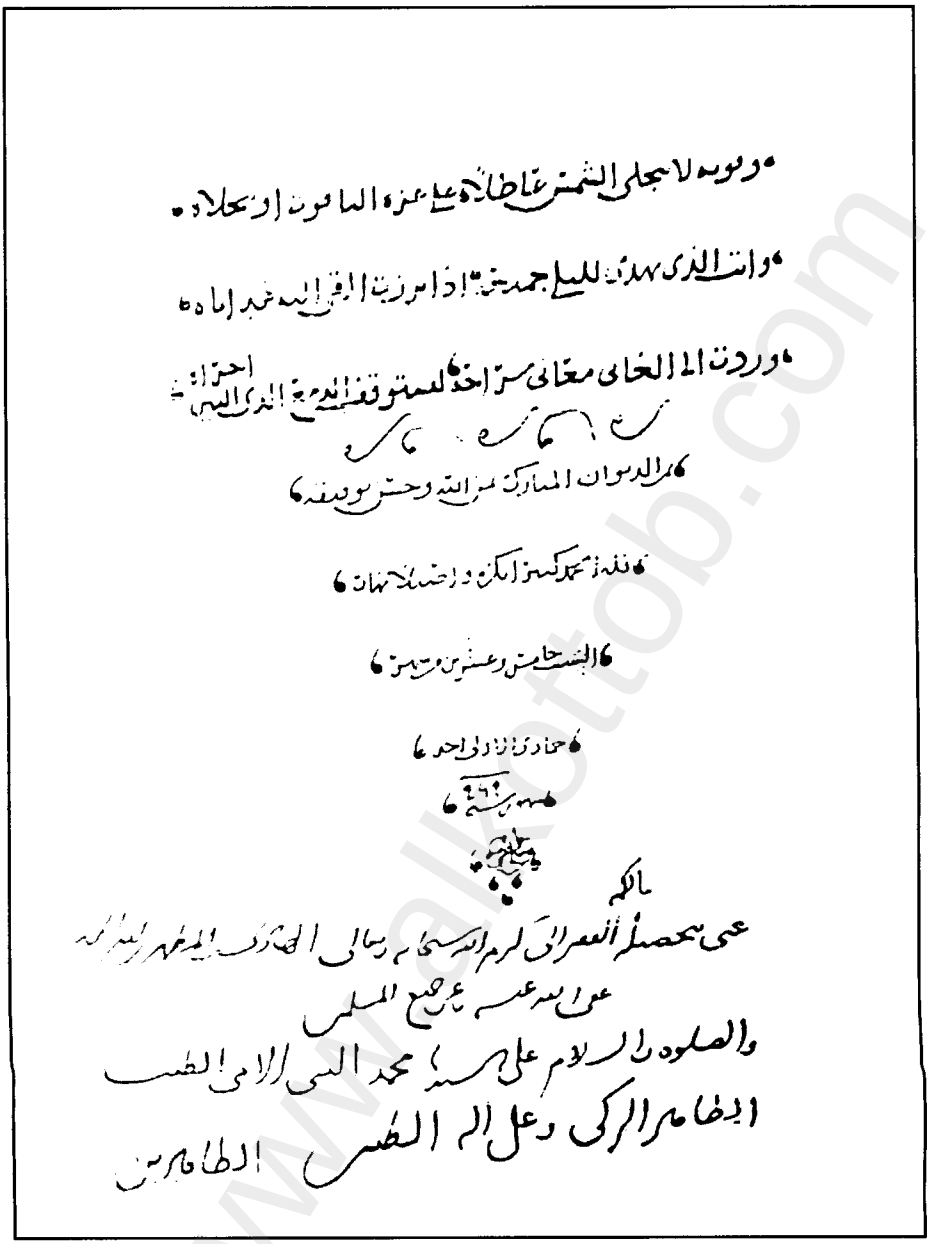

مخطوطة [أ]

الصفحة الأخيرة

www.alkottob.com

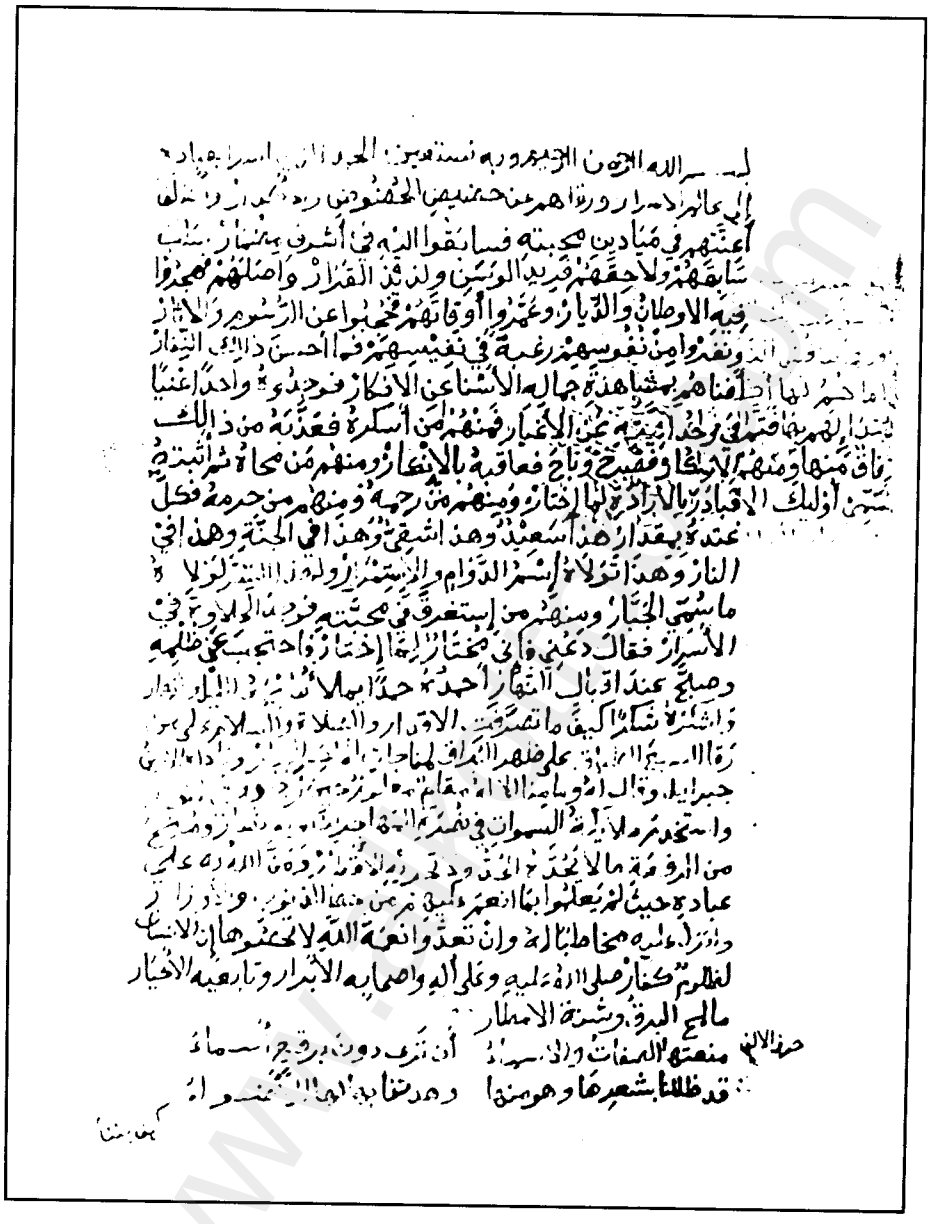

مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

www.alkottob.com

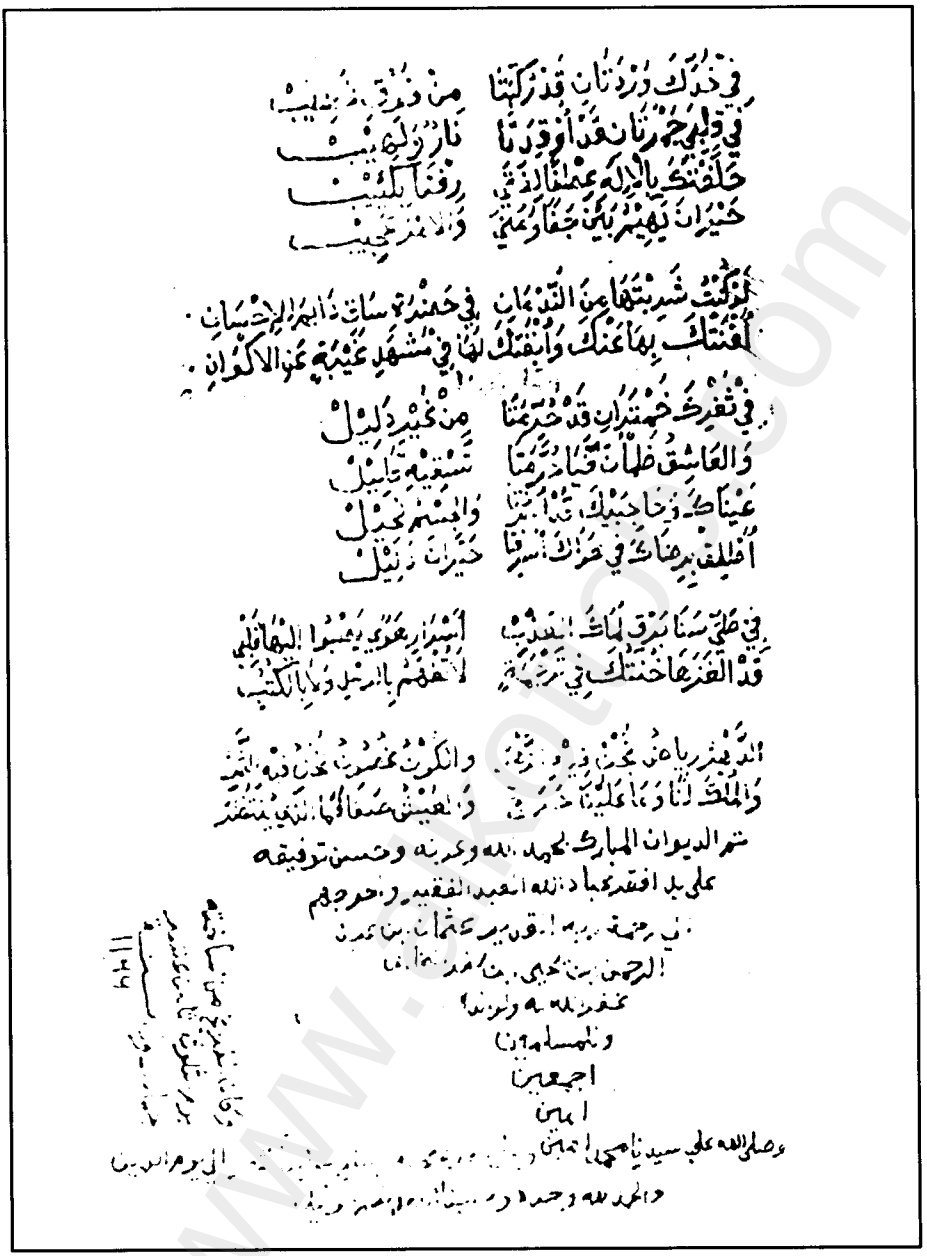

مخطوطة [ب]

الصفحة الأخيرة

www.alkottob.com

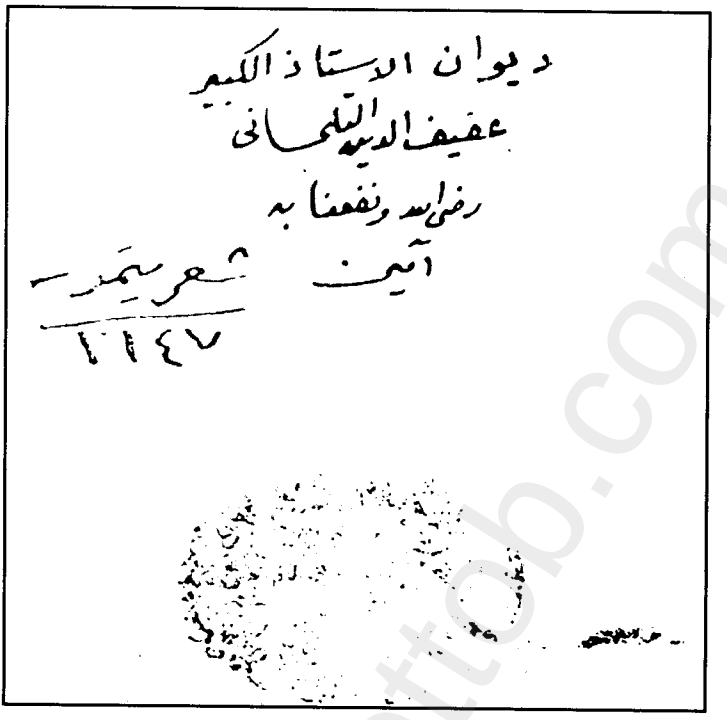

مخطوطة [ب]

نسخة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور

الصفحة الأولى

www.alkottob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العلامة العارف بالله المحقق عفيف
الدين سليمان بن علي التلمساني رضي الله عنه ونفعنا به
وجعلنا ربنا من أهل قربه بمحمد وحزبه

يقول رسول الله وهو الصدق ... وعن علم الغيب الإلهي ينطق
إليه الهدى واهدوا الإطاعة لذا ... ولا تفرقوا فيه ولا تتفرقوا
وإنا نزلنا فيه الكتاب منزلا ... فيا لعقل منه والفعال تخلقوا
فإنك بالعهد الوحي غيب مقدس ... فيسبقني جبريل فيه وأسبقه
وقد كنت قبل الغيب فيه ممكناً ... فأوجب لكوني الوجود المحقق
أبا الآب لولا كنت نشأتي ... لها آخر الأنباء يزري ويلحق
وأنت وأنا مثل عيني وصورتي ... وبينهما الأمر الإلهي يفرق
وقد كنت بالنبي عنه مجتبى ... بحسن لعيني مبتداي تشوقه
وأنبت نفسي في حراء وأنتم ... ورثتي بتغييب الذي عنه أطلعه
وأنبت به نفساً ليالي صبوة ... تزيد على ضوء النهار فتشرق
ليالي أنس لم تزل أبداً بها ... على البين من أيام هجري سوق

مخطوطة [جـ]
الصفحة الأولى

www.alkottob.com

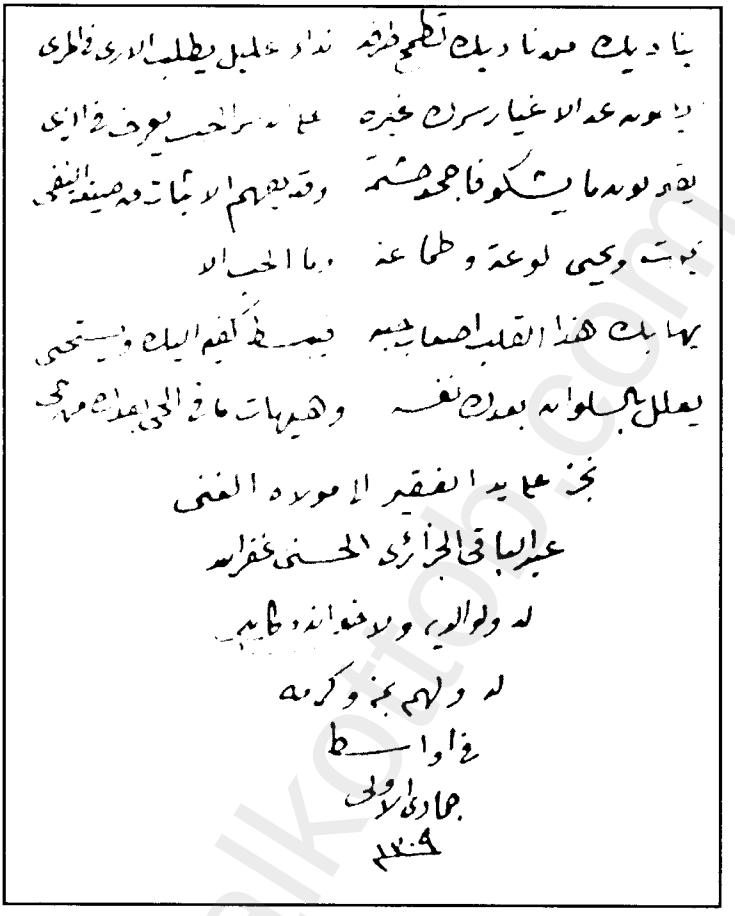

مخطوطة [جـ]
الصفحة الأخيرة

www.alkottob.com

رموز التحقيق

أ مخطوطة الاسكوريال رقم 385.

ب مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٠٩٠ شعر/ تيمور.

جـ مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧ شعر/ تيمور.

.·. اتفاق الأصول المخطوطة.

= بيت شعر ساقط.

ـ كلمة ساقطة.

× بيت شعر فى غير موضعه.

+ كلمة فى الهامش.

( ) الأرقام، اختلافات الأصول والتعليقات.

www.alkottob.com

الـديـــوان

www.alkottob.com

قافية الهمزة

www.alkottob.com

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

[بحر الخفيف]

١ مَنَعَتْهَا الصِّفَاتُ وَالأَسْمَاءُ
أَن تُرَى دُونَ بُرْقُعٍ أَسْمَاءُ(٢)

قَدْ ضَلَلْنَا(٣) بِشَعْرِهَا وَهْوَ مِنْهَا
وَهَدَتْنَا بِهَا لَهَا الأَضْوَاءُ

كَيْفَ بِتْنَا مِنَ الظَّمَا نَتَشَاكَى(٤)
يَالَقَوْمِى(٥) وَفِى الرِّحَالِ المَاءُ

كَمْ(٦) بَكَيْنَا حُزْنًا بِمَنْ لَوْ عَرَفْنَا
كَانَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ البُكَاءُ

---

(١) أ: وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وحضرته وسلم، حرف الهمزة . ب: حرف الهمزة.

(٢) أسماء، معشوقة عربية يشير بها الصوفية إلى الذات الإلهية وتجلياتها فى الوجود (راجع مقدمة تحقيقنا لديوان عبد القادر الجيلانى).

(٣) ج: ظللنا.

(٤) ب: نتشاكا.

(٥) ج: كيف كنا من الظما يالقومى!

(٦) = ب.

www.alkottob.com

٥ نحْنُ قَـــوْمٌ مِـــتْنَا وَذَلِكَ شَـــرطٌ
فِى هَوَاهَا[١] فَلْيَيْئَس[٢] الأحْيَـاءُ
وَأَقَـامَتْ نُفُـوسَنَا فِى حِـمَـاهَا
لا بِنَا بَلْ بِهَا لِيَصْفُو الصَّفَاءُ[٣]
فَـالمُلَبِّى[٤] إذَا دَعَتْ هِى مِنَّا
وَمُجِيبُوهَا بِهَا الأَصْدَاءُ
يَا أَبَا الخَيْرِ[٥] قُمْ لَكَ الخَيْرُ فَاطْرِبْ[٦]
مَسْمَعَ الفَقْرِ[٧] مِنْكَ ذَاكَ[٨] الغِنَاءُ
لاتَفُتْ[٩] كَاسَكَ الَّتِى مِنْ لَمَاهَا[١٠]
هِى فِيهَا تَنَافَسَ النُّدَمَاءُ[١١]

---

(١) الموت عند الصوفية شرط المحبة للخالق، وهم يقصدون بالموت معنىً رمزيا . . فهو موت رغبات النفس ومتطلباتها الحسية من جهة، وموت التعلق بما سوى الله من جهة أخرى.

(٢) أ: فلتيئس، ج: فليس.

(٣) الصفاء عند الصوفية، هو التوحيد الخالص الذى أقرت به كل الأرواح قبل خلق الأجساد. وهم يستدلون على ذلك بآية الميثاق «وإذ أخذ ربك . .» ويطلقون على هذا التوحيد الشهودى الخالص عدة اصطلاحات مثل: الصفاء، الصفاء الأول، توحيد الذر، فطرة بلى!

(٤) × ب.

(٥) المراد بأبى الخير هنا، منشد الأشعار فى مجالس الصوفى، فهو الذى تهيم الأوراح فى سماء معانى ألفاظه التى تحدو بالأرواح إلى بلاد الأفراح.

(٦) أ: يطرب، ب، ج: فطرب.

(٧) راجع ما سنقوله عن الفقر ـ بمفهومه الصوفى ـ فيما بعد.

(٨) أ: هذا.

(٩) وأرخ يا فتى أراجيف قلبى: من سواها ففى هواها الغناء.

(١٠) اللمى، سمرة الشفتين. . واللمياء من الشفاه، اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب لابن منظور ـ بيروت ٣/ ٤٠٠).

(١١) غير واضحة فى أ.

www.alkottob.com

لَمْ[1] أَقُلْ قَدْ عَدَتْكَ كَأْسُكَ لَكِنْ[2]

رُبَّمَا طَوَّحَتْ بِكَ الصَّهْبَاءُ[3]

إِنَّمَا يَشْرَبُ[4] التى تَسْلُبُ[5] العَقْلَ

نَدَامَى[6] هُمُ[7] لَهَا أَكْفَاءُ

أَسْكَرُوهَا بِهِمْ كَمَا أَسْكَرَتْهُمْ

فِى أَبْتِدَاهُمْ بِهَا[8] فَتَمَّ الوَفَاءُ[9]

فَجَزَاءٌ مِنْهَا وَمِنْهُمْ وِفَاقٌ

وَوِفَاقٌ[10] مِنْهَا وَمِنْهُمْ جَزَاءُ[11]

قَدْ[12] تَسَمَّتْ بِهِمْ وَلَيْسُوا سِوَاهُا

فَالمُسَمَّى أُولِئكَ الأَسْمَاءُ[13]

---

(١) ج: كم.

(٢) ب: لاكن.

(٣) الصهباء: الخمر التى عصرت من عنب أبيض (لسان ٢/ ٤٨٦).

(٤) ج: تشرب.

(٥) أ، ب: تشرب.

(٦) أ: ندما، ب: نداما.

(٧) ج: وهم.

(٨) أ: فى ابتداها، ج: فى ابتداء بهم.

(٩) السكر الوارد فى أول البَيت، هو سكر الأرواح بخمرة قوله تعالى «ألست بربكم..» والوفاء الوارد فى آخر البيت، هو الوفاء بالعهد والميثاق التوحيدى الذى شهدت به الأرواح فى عالم الذر بقولهم «بلى».

(١٠) + ج: وكذا.

(١١) التضمين من قوله تعالى: «جزاء وفاقا.. النبأ/ ٢٦».

(١٢) ج: تسمت.

(١٣) يشير التلمسانى هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلى الأسماء الإلهية، وهى حالة من الترقى الصوفى، تكون بعد الفناء التام.

www.alkottob.com

[البسيط]

١ شَـهِـدْتَ نَـفْـسَـكَ فِـيَـنا وَهى وَاحِـدَةٌ
كَـثِـيـرَةٌ ذَاتُ أَوْصَـافٍ وَأَسْـمَـاءِ
وَنَحْنُ فِـيكَ شَـهِـدْنَـا بَعْـدَ كَـثْـرَتِـنَا
عَـيـنًـا بِهَـا اتَّـحَـدَ[١] الـمَـرْئِىُّ والرَّائِى[٢]
فَـأَوَّلٌ أَنْتَ مِـنْ قَـبْـلِ الظُّهُـورِ لَـنَا
وَآخِـرٌ أَنْـتَ عِـنْـدَ[٣] الـنَّـازِحِ النَّـائِـى
وَبَاطِـنٌ فِى شُـهُـودِ العَـيْنِ[٤] وَاحِـدُهُ
وَظَاهِرٌ[٥] لامْـتَـيـازَاتٍ[٦] بِأَسْـمَـاءِ[٧]
٥ أَنْـتَ الـمُـلَـقِّنُ سِـرًّا لاَ أَفُـوهُ[٨] بِهِ
وَأَنْتَ نُطْقِىَ وَالـمُـصْـغِى لِنَجْـوَائِى[٩]

---

(١) ب: عين بها تجد.

(٢) ج: بالرائى.

(٣) ب: عند عود.

(٤) ب: الغيب.

(٥) الإشارة هنا لقوله تعالى: هوالأول والآخر والظاهر والباطن. (الحديد: ٣).

(٦) ج: لا ماراة!

(٧) أ: لايدا.

(٨) أ، ج: سرى ما أفوه.

(٩) لهذا البيت أبعاده الصوفية ودلالاته الذوقية البعيدة، وأكثر هذه الدلالات بساطة، هو أن المراد بتلقيه السر (ما علمه الله لآدم ولم يعلمه للملائكة) والمراد بكون الإنسان نطق الله، كونه قارئا وتاليا للقرآن (كلام الله) وكونه المخصوص بالنجوى والوحى الإلهى.

www.alkottob.com

[الخفيف]

١ خُـذْ لِوَجْـدِى مِنْ ذَمَّـةِ البُـرَحَـاءِ[١]
وَأَجِـرْنِى مِنْ لَـوْعَـتِى وَعَـنَائِى
يَا أَمِـيـرًا عَلَى الـمِـلاَحِ وَقَلْبِى
أَبَـدًا خَـافِـقٌ[٢] لَـهُ كَـاللِّـوَاءِ[٣]
وَبِنَجْـدٍ عُـرْبٌ نُزُولٌ أَضَـاعُـوا
لِـلْـمُـحِـبِينَ ذِمَّـةَ النُّـزَلاَءِ
ضَـرَبُوا خَـيْـمَـةَ الـمَلِيـحَـةِ فِى الرَّوْضِ
وَأَجْـرَوْا أَنْهَـارَهَـا[٤] مِنْ بُـكَائِى[٥]
٥ وَدَعُـوا لِلعَـقِـيـقِ دَمْـعِى وَمِـنْ أَيْنَ [م]
لِدَمْـعِى الـعَـقِـيـقَ لَولاَ دِمَـائِى
فَـهُمُ، لا عَـدِمْـتَـهُمْ، أَطْـلَقُـوا الدَّمْعَ [م]
وَقَـلْبِى فِـيـهِـمْ مِنَ الأُسَـرَاءِ
فِى العُـيـونِ الـمَـرِيضَـةِ الجَـفْنِ سُـقْـمِى
يَـالِقَـوْمِـى ـ وَعِـنْدَهُـنَّ شِـفَـائِى

---

(١) البرحاء فى اللغة، الشدة والمشقة، وهى أيضا شدة الحمى (لسان العرب ١/ ١٨٦) والمراد بها هنا: فرط المحبة لله والشوق إليه.
(٢) ب، ج: خافقا.
(٣) اللواء: الراية.
(٤) ج: نهاره
(٥) ب: بكاء.

www.alkottob.com

وَلِظَبْى الحِـــمَى[1] إشَـــارَةُ وَجْـــدِى
حِينْ أُكْنِى عَنْ ظَبْـيـةِ[2] الوَعْـسَـاءِ[3]

[الطويل]

أَلَمْ[4] يَـأنِ أَنْ تَرْوِى قُـلَيْـبَ مُـتَـيَّـمٍ
تَفِـيضُ أَمَـاقِى جَـفْنِهِ وَهْـوَ يَظْمَـأُ ١
أَصَـابَتْـهُ عَـيْنٌ أَغْـمَـدَتْ نَصْلَ فَـصْلِه[5]
وَقَلْـبُ الهَـوَى مَنْ كَـانَ قَلْبٌ مُـرزَّأُ[6]
أُحِبُّ حَـبِـيـبًـا لاَ أُسَـمِّـيـه هَيْـبَـةً
وَكَـتْـمُ الـهَـوَى لِـلقَـلْبِ أَنْـكَى وَأَنْـكَأُ
أُخَـافُ عَلَـيْـهِ مِـنْ هَوَايَ فَـكَيْـفَ لا
أَغَـارُ عَلَـيْـهِ مِـنْ سِـوَايَ وَأَبْـرَأُ
٥ أَبِيتُ أُعَـانِى فِـيـهِ حَـرَّ جَـوَانِـحِى
وَبَيْـنَ جُـفُـونِى مَـدْمَعٌ لَيْسَ يَرْقَـأُ[7]

---

(١) أ: عيون (٦) ب: الحما.
(٢) ب: قاعة.
(٣) الوعساء، موضع مشهور. . وهو كناية عن عالم الحضرة الربانية حيث يتجلى الجمال الإلهى (ظبية الوعساء) الذى تكررت الإشارة إليه فى الأبيات.
(٤) الأبيات فى ج فقط.
(٥) فى الأصل: فصل فصله.
(٦) رزأ: يقال فى اللغة «رزأ فلان فلانا» إذا بره. ورزأه: أصاب منه خيرا، ورجل مرزأ: كريم يصاب منه كثيرا (لسان العرب ١/ ١١٥٩).
(٧) الرقء، سكون الدمعة وجفافها. . ومنها «الرقوء» وهو الدواء الذى يوضع على الجرح فيوقف نزيف الدم (لسان العرب ١/ ١٢٠٣).

www.alkottob.com

أَرَاهُ بِقَلْبِى كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَإِنْ كُنْتُ عَنْ وِرْدِ الوِصَالِ أُحَلَّأُ[1]

أَتَانِى كِتَابٌ مِنْهُ قُمْتُ بِحَقِّهِ
فَهَا أَنَا أَبكى مَا اسْتَطَعْتُ وَأَقْرَأُ

أَتَانِى هَوَاهُ مِلْءُ سَمْعِى وَنَاظِرِى
وَقَلْبى فَمَالِى مِنْهُ مَلْجَأٌ وَمَنْجَأُ

أَغِثْنِى بِيَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ وَاحِدٍ
فَإِنى بِيَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ أُجْزَأُ

أُغَالِطُ نَفْسِى مِنْكَ بِالوَصْلِ وَالرِّضَا
وَمَنْ لى بِهِ وَهْوَ النَّعِيمُ المُهَنَّأُ

(١) الحلأ: الضرب والطرد عن الماء. وفى الحديث: يرد على يوم القيامة رهط فيحلئون عن الحوض، أى يصدون عنه ويمنعون من وروده (لسان العرب ١/ ٦٩٠).

www.alkottob.com

قافية الباء

www.alkottob.com

[الوافر]

١ تَذَكَّـــرَ(*) بالحِـــمَى قَلْبى(١) الطَّرُوبُ
لَيَـــالِى(٢) غَـــابَ عَنْهُنَّ الرَّقِـــيبُ
وأَيَّامًـــا صَـفَـــا(٣) عَـــيْشُ التَّـــصَـــابِى
وَمَنْ أهْوى نَدِيمِى(٤) وَالحَـــبـــيبُ
غَـــرِيبُ الحَىِّ قَلْبى فى حِـــمَـــاكُمْ
نَـزِيـلٌ فى دِيَـارِكُـمُ غَـــــرِيبُ
رَحَلْتُمْ عَنْ حِـمَى الوَادِى سُـحَـيـرًا
وَسِـــرْتُـمْ وَهْوَ خَـلْـفَـكُـمُ جَنِيبُ
٥ عَـجِـبْتُ لِـنَارِكُمْ بِرُبَا الـمُـصَلَّى(٥)
وَمِـنْهَـــا الصَّبُّ فِى نَجْـــدٍ يَذُوبُ

(*) الأبيات التالية ساقطة من ب، وفى (أ) كتب الناسخ بخط سميك (حرف الباء) وفى هامش ب (حرف الباء)، والأبيات الأربعة الأولى فى هامش الصفحة.
(١) ب: بالحما قلبا.
(٢) ب: ليال.
(٣) أ: مضى
(٤) غير واضحة فى أ.
(٥) . . المصلا! والضبط من معجم البلدان، يقول ياقوت الحموى: المصلى موضع الصلاة، وهو موضع بعينه فى عقيق المدينة (معجم البلدان ٥/ ١٤٤).

www.alkottob.com

وَنَشْـــرِكُمُ[1] عَـلَى بُعْـــدٍ وَقُـــرْبٍ
إلى الـمُـشْـتَـاقِ تَحْـمِلُهُ الجَنُوبُ[2]
وَإِنْ أَرْجُـــوكُمُ وَأخـــيبُ كُـــلاَّ
سِـوَاكُمْ قَـصْـدُ رَاجِـيـــه[3] يَخِـيبُ
وَبِى ـ مَـنْ لاَ أُسَـمِّـيـــه حَـيَـاءً[4]
بِحُكْمِ حُـضُـورِهِ[5] فَـهْـو[6] الرَّقِـيبُ
يَمِـــيسُ[7] قَـــوَامُـــهُ فَـيَكَادُ قَلْبى
يَـطِـيـــــرُ مِـن[8] الـلَّـذَاذَةِ إذْ يَـطِـيـبُ

[المنسرح]

١ هَذَا[9] الـمُـــصَلَّى وَهَذِهِ الـكُتُبُ
بِـمِـــثْلِ هَـذَا يَـهُـــزُّكَ[10] الطَّرَبُ
فَـــالحَيُّ قَـــدْ شُـرِعَتْ مَـضَـارِبُه
وَحُـــسْنُه عَـنْـهُ زَالَـتِ الحُـــجُبُ

---

(١) النشر، الريح الطيبة.
(٢) الجنوب: رياح تهب من مطلع سهيل إلى مطلع نجوم الثريا، والعرب تقول للاثنين إذا كانا متصافيين: ريحهما جنوب (لسان العرب ١/ ٥١٠).
(٣) أ: راحته.
(٤) أ: أحيا.
(٥) أ: حصورة
(٦) أ: وهو
(٧) غير واضحة فى كل النسخ الخطية!
(٨) أ: مع.
(٩) ـ ج.
(١٠) ب: يهزنا.

www.alkottob.com

وَكُلُّ صَبٍّ صَبَا لِسَاكِنِه
يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُ[1] وَيَقْتَرِبُ

أَنِخْ مَطَايَاكَ عِنْدَ رَبْعِهِمُو
كَيْ لاَ تَطَاكَ[2] الرِّحَالُ والنُّجُبُ[3]

١ وَاسْعَ عَلَى الجَفْنِ خَاضِعًا فَعَسَى
يَشْفَعُ فِيكَ الخُضُوعُ وَالأَدَبُ

وَارْجُ[4] قِرَاهُمْ[5] إِذَا نَزَلْتَ بِهِمْ
فَأَنْتَ ضَيْفٌ لَهُمْ وَهُمْ عُرُبُ

وَاسْجُدْ لَهُمْ وَاقْتَرِبْ[6] فَعَاشِقُهُمْ
يَسْجُدُ شَوْقًا لَهُمْ[7] وَيَقْتَرِبُ

عِنْدِي لَكُمْ يَا أُهَيْلَ كَاظِمَةٍ
أَسْرَارُ وَجْدٍ حَدِيثُهَا[8] عَجَبُ

أَرَى بِكُمْ خَاطِرِي يُلاَحِظُنِي[9]
مِنْ أَيْنَ هَذَا الإِخَاءُ[10] وَالنَّسَبُ

---

(١) أ: لهم.
(٢) تطاك، مخففة لضرورة الشعر.
(٣) النجب، جمع نجيب، وهو القوى من الإبل، السريع الخفيف (لسان العرب ٣/ ٥٨٠).
(٤) ـ ب.
(٥) القرى، ما يقدم للضيف.
(٦) تضمين لقوله تعالى: «كلا لا تطعه واسجد واقترب.. (العلق/ ١٩)».
(٧) ب: لهم شوقا.
(٨) أ.
(٩) ب: يطالبنى.
(١٠) أ: الإخا، ب، الإفا.

www.alkottob.com

١٠ وَإِنْ تَشَوَّقْتُكُمْ بَعَثْتُ لَكُمْ
كُتْبَ غَرَامى وَمِنْكُمُ الكُتُبُ
وَأَشْرَبُ الرَّاح حِينَ أَشْرَبُهَا
صِرْفًا وَأَصْحُو بِهَا فَمَا السَّبَبُ(١)
خَمْرَتُهَا مِنْ دَمى وَعَاصِرُهَا
ذَاتى وَمِن أَدْمُعِى لَهَا الحَبَبُ
إِنْ كُنْتُ أَصْحُو بِشُرْبِهَا فَلَقَدْ
عَرْبَدَ(٢) قَوْمٌ بِهَا وَمَا شَرِبُوا
هِىَ النَّعِيمُ المُقِيمُ فى خَلَدِى
وَإِنْ غَدَتْ فى الكُؤُوسِ(٣) تَلْتَهِبُ
١٥ فَغَنِّ لى إِنْ سَقَيْتَ يَا أَمَلى
بِاسْمِ الَّتى بى عَلَىَّ تَحْتَجِبُ(٤)

[المنسرح]

١ بَيْنَ فُؤَادِى وَخَدِّهِ(٥) نَسَبُ
كِلاَهُمَا بِالجَحِيمِ(٦) يَلْتَهِبُ(٧)

---

(١) يشير الصوفية إلى أن الأثر الناشئ من خمر الحب الإلهى، هو الصحو لا السكر . . فهذه الخمر الأزلية تورث صحوا بما تفتحه من أبواب الحقائق التى تتجلى لقلب المحب.

(٢) ب: سكر.

(٣) أ: الكؤوس.

(٤) فى إحدى المشاهدات الذوقية التى يراها الصوفى بعين قلبه، يتحقق الإنسان بتجليات الله فى الكون، ويعرف أن كل مظاهر الوجود، إنما هى حقائق للتجلى الإلهى المحجوب بالكثرة الظاهرة للأشياء . . فتكون الذات الإلهية ـ كما يقول التلمسانى هنا ـ قد احتجبت به عنه!

(٥) أ: وخدها. (٦) ج: بالنعيم. (٧) أ: تلتهب.

www.alkottob.com

هُمَا سَوَاءٌ وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا
أَنَّهُمَا سَاكِنٌ وَمُضْطَرِبُ

وَلِي عَلَى عَاذِلِي حُقُوقُ هَوَىً
عَلَيهِ شُكْرِي بَعْضِهَا يَجِبُ

لامَ - فَلَمَّا رآهُ هَامَ بِهِ
فَكُنْتُ[1] فِي عِشْقِهِ أَنَا السَّبَبُ

٥ وَقَائِلٍ[2] وَالهَوَى يُرَنِّحُنَا
وَنَالَ مِنَّا السُّرُورُ وَالطَّرَبُ

حَلَّتْ لَنَا الرَّاحُ[3] مِنْ لَوَاحِظِهِ[4]
فَلْيَحْرُمُ[5] الخَمْرُ بَعْدُ وَالعِنَبُ

خُذَا نَدِيمَيَّ سَلْوَتِي لَكُمَا
عَطَاءَ مَنْ لاَ يَمُنُّ[6] إِذْ يَهَبُ

وَخَلِّيَانِي وَقَهْوَةً[7] جُلِيَتْ
لَيْسَتْ[8] سِوَى الثَّغْرِ فَوْقَهُ[9] حَبَبُ

---

(١) ب: وكنت.
(٢) ب: وقابل. (٣) أ، ج: الخمر.
(٤) اللحظة، النظرة من طرف العين. واللحاظ، مؤخرة العين وخطها الممدود، والمعنى المشار إليه هنا: أن الذات الإلهية أباحت السكر من نشوة جمالها، وحرمته من الخمر ونبيذ العنب!
(٥) أ: فلتحرم. (٦) - ج.
(٧) يمن: يستعظم عطيته. والمن كلمة قرآنية، ذات حقول دلالية واسعة، يضيق المقام هنا عن استعراضها. . [راجع لسان العرب - مادة: منن].
(٨) القهوة اسم من أسماء الخمر، غالبا ما يشير بها الصوفية إلى كأس المحبة الإلهية. . انظر: قصيدة النادرات العينية، للجيلي (تحقيق يوسف زيدان) البيت الخامس.
(٩) . . ليس. (١٠) أ، جـ: فوقها.

www.alkottob.com

إنِّى امـــرؤٌ مِنْ عِـــصـــابَةٍ كَـــرُمَتْ
أَذْهَبُ فِى الحُبِّ حَـيْـثُـمَـا ذَهَبُـوا
سُـقُـوا ولَمْ يَسْكَرُوا[1] وكَمْ فِـئَـةٍ
أَسْكَرَهُمْ عِطْرُهَا وَمَـا شَـرِبُوا
دُعُـوا إلى بَابِ عَلْوَةٍ[2] كَـرَمًـا
وَوَجْـهُـهَـا بِالجَـمَـال مُـحْـتَـجِبُ
فَـقَـدَّمُـوا سَـجْـدَةً[3] وَهُمْ زُمَـرٌ
لِغَـافِـرٍ[4] سَـبَّحَ اسْـمَـهُ الأدَبُ
عَـيَّنَتْ[5] العَـيْنُ مِنْهُمُ[6] أثَرًا
لأَنـهُم فِى بقَـائِهَـا[7] سُلِبُـوا
فَـمَـا دَرَى صَـاعِـدٌ[8] بِمُنْحَـدِرٍ
وَلاَ الْتَـقَـى[9] ذَاهِبٌ وَمُنْقَلِبُ[10]

---

(١) ج: يشركوا.
(٢) فى ب (علزة). . وعلوة، معشوقة عربية، طالما أشار التلمسانى بها إلى الذات الإلهية. وباب علوة، كناية عن مقام الحضرة الإلهية التى يرقى إليها صفوة الصوفية.
(٣) جـ: سجدا.
(٤) جـ: الغافر.
(٥) ب: غيبت، جـ: عبرة.
(٦) ب: عنهم.
(٧) أ: نقابها، ب: بقاء ما. . والبقاء مقام صوفى من مقامات غايات الطريق، وهو البقاء فى الله بعد الفناء عما سواه.
(٨) أ، جـ: مصعد.
(٩) أ: ولا درى، ب: ولا التقا.
(١٠) يريد التلمسانى هنا أن يقول: إن للواصلين إلى الله طرقا عديدة ومتنوعة، حتى إن أحدهم لا يكاد يلتقى بالآخر فى الطريق. وهناك عبارة صوفية شهيرة تقول: الطرق إلى الله على عدد أنفاس البشر!

www.alkottob.com

[الطويل]

١ أَفِي[١] وَلَهِي بِاسْمِ الـمَلِيحَةِ تَعْتِبُ
وَتُعْرِضُ إِنْ وَحَّدْتُهَا[٢] ثُمَّ تَغْضَبُ[٣]
وَلَوْ فُزْتَ مِنْ ذَاكَ الجَمَالِ[٤] بِنَظْرَةٍ
لأَصْبَحَ مِنْكَ العَقْلُ يُسْبَى وَيُسْلَبُ
وَهَبْتُكَ سُلْوَانِي وَصَبْرِي كِلاَهُمَا[٥]
وَأَمَّا غَرَامِي فَهْوَ مَا لَيْسَ يوهَبُ[٦]
وَقَيَّدْتُ أَشْوَاقِي بِإِطْلاَقِ صَبْوَةٍ[٧]
إِلَيْهَا صَبَابَاتُ الـمُحِبِينَ تُنْسَبُ
٥ فَهَا أَنَا وَالسَّاقِي يُنَاوِلُ كَأْسَهَا[٨]
فَأَشْرَبُ صِرْفًا أَوْ يُغَنِّي فَأَطْرَبُ

---

(١) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج. (٢) ب: وجدتها.

(٣) يشير التلمسانى هنا إلى الخلاف بين الصوفية وفقهاء الظاهر، وقد كان هؤلاء الفقهاء دوما يعترضون على طريقة الصوفية فى التوحيد.

(٤) غير واضحة فى ب. (٥) غير واضحة فى ب.

(٦) يحمل هذا البيت على معنيين: الأول أن المحب قد يصبر على عاذليه، لكنه لا يترك غرامه المتأجج.. والمعنى الثانى، وهو الأرجح هنا، أن المحبة واحدة من العطايا الإلهية التى لا توهب، ولا تسمى مواهب! فقد قال الحق «فلهم أجر غير ممنون» يعنى أن أهل العطايا نالوا ما هو لهم بحكم الاستحقاق الأزلى، لذلك قدم الله تعالى محبته على محبة عبده فقال «يحبهم ويحبونه».. يقول عبد الكريم الجيلى: فليس ما نالوه بموهوب حتى يكون ممنونا، بل هم ظفروا بما اقتضته حقائقهم فى الأزل، فكانت محبة الله لهم سابقة (انظر الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ٢/ ١٥) ومن هنا قال الإمام عبد القادر الجيلانى (الديوان، قصيدة ما فى الصبابة).

مازلت أرتع فى ميادين الرضا . ° . حتى وهبت مكانة لا توهب

(٧) فى أ (صهوة) وفى ب (صبوت).. والصبوة فى اللغة: جهلة الفتوة واللهو من الغزل [لسان العرب ٢/ ٤٠٧].

(٨) كاسه.

www.alkottob.com

وَلَوْ لَمْ يَرَوْا رَاووقَهَا[1] كَصَلِيبِهِ
لَمَا عَذَرُوا[2] حَلاَّجَهَا حِينَ يُصْلَبُ

[الخفيف]

١ لاَتَلُمْ صَبْوَتِى فَمَنْ حَبَّ يَصْبُو[3]
إِنَّمَا يَرْحَمُ الْمُحِبَّ الْمُحِبُّ
كَيْفَ لاَ يُوقِدُ النَّسِيمُ[4] غَرَامِى
وَلَهُ فِى خِيَامِ لَيْلَى[5] مَهَبُّ
مَا اعْتِذَارِى إِذَا خَبَتْ لِىَ نَارٌ
وَحَبِيبِى أَنْوَارُهُ لَيْسَ تَخْبُو[6]
هَذِهِ الْحُلَّةُ الَّتِى حُلَّ فِيهَا
عَقْدُ صَبْرِى وَحَلَّهَا لِىَ حِبُّ
٥ مَلأَ[7] الْكَوْنَ حُسْنُهُ فَلِهَذَا
كُلُّ قَلْبٍ إِلَى مَعَانِيهِ يَصْبُو[8]

---

(١) الراووق: الشراب الرائق المصفى. ويقال «ألقى عليه أرواقه» إذا أحبه حبا شديدا حتى يستهلك فى حبه [لسان العرب ١/ ١٢٥٨].
(٢) ب: غدروا.
(٣) = جـ، ب: يصبوا.
(٤) النسيم، إشارة إلى نفحات الإشراق والتجلى الإلهى.
(٥) خيام ليلى: إشارة إلى عالم الحضرة الإلهية.
(٦) ب: تخب.
(٧) ب: ما لاء.
(٨) ب: يصب.

www.alkottob.com

عَـايَنَتْ[1] حُـسْنَهُ[2] القُلُوبُ فـأَمْـسَى
وَلَـهُ فِـى الـقُـلُـوبِ سَـلْـبٌ وَنَـهْـبُ[3]
نَصَـبُـوا حَـانْ حُـبِّـهِ ثُـمَّ نَادُوْا
: يَـا نِيَـامَ القلـوب لِلـرَّاحِ هُبُّـوا[4]
بِـنْتُ كَـرْمٍ زُفَّتْ[5] لِـكُلِّ كَـرِيمٍ
مَـا عَـلَى نَفْـسِـهِ النَّفِـيـسَـةِ صَـعْبُ
رَاحَ لِـلـرَّاحِ وَالخَـلاَعَـةِ عَـبْـدًا
وَهَوْ فِـى مَـذْهـبِ الحَـقِـيـقَـةِ رَبُّ[6]

[الطويل]

١ لِـمَـعْنَاىَ[7] قَلْبِى[8] نَحْـوَكُمْ أَبَدًا يَصْبُـو
وَعِنْدِى لَـكُمْ وَجْـدٌ جَـمِـيـعِى لَـهْ نَهْبُ
وَمَـازَالَ سَـلْبِى فَـيكُمُ[9] وَاجِـبًـا لَـكُمْ
وَفِى حُـبِّـكُمْ يَاسَـادَتِـى يَجِبُ[10] السَّلْبُ

---

(١) أ: شاهدت.
(٢) يفرق أهل الطريق بين الجمال والحسن؛ فالجمال هو ذات الله تعالى، والحسن هو تجليات هذا الجمال فى الكون.
(٣) أ: نهب وسلب.
(٤) ب: هب.
(٥) ب: رقت.
(٦) غير واضحة فى أ.
(٧) = ب. . وتبدو الأبيات كأنها مدح لبعض مشايخ التلمسانى فى الطريق الصوفى.
(٨) : قلب.
(٩) أ: نحوكم.
(١٠) أ: يحب.

www.alkottob.com

غَدَا وَصْفُكُمْ لِلْحُسْنِ ذَاتًا فَشَمْسُكُمْ
بِكُمْ مِنْكُمُ فِيكُمْ[1] لَهَا الشَّرْقُ والغَرْبُ
تُحَرِّكُهَا الأَشْوَاقُ نَحْوَ جَمَالِكُمْ
فَتَمْنَعُهَا تِلْكَ المَهَابَةُ والحُجْبُ
فَلاَ هِيَ يَغْشَاهَا سُكُونٌ وَلاَ تَرَى
سَبِيلاً لِذَا حَارتْ فَدَارَتْ[2] فَلاَ تَنْبُو[3]
تَدُورُ عَلَى بُعْدٍ مِنَ المَرْكَزِ الَّذِي
بِهِ أَنْتُمُ إِذْ كَانَ شَخْصَكُمُ القُطْبُ[4]
فَلَوْ قِيسَتِ الأَبْعَادُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَسَاوَتْ فَلاَ بُعْدٌ يُرَامُ[5] وَلاَ قُرْبُ[6]

[الطويل]

إِذَا[7] مَاسَ مَنْ يَهْوَاكَ تِيهًا فَلاَ عَتْبُ
وَمَنْ ذَا يَرَى ذَاكَ الجَمَالَ فَلاَ يَصْبُو[8]

---

(١) جـ: فيكم منكم.
(٢) جـ: له حارت فداءتكم!
(٣) تنبو؛ تبتعد.. والنبوة فى اللغة، الجفوة والإقامة والارتفاع (لسان العرب ٣/ ٥٧٣).
(٤) القطب؛ هو قمة الترتيب الطبقى للأولياء.. وهو الإنسان الكامل فى كل زمان [راجع: الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى ص ٦٩ وما بعدها].
(٥) أ: هناك.
(٦) يرى الصوفية أن القطب [الإنسان الكامل] هو نقطة دائرة الوجود، ومركز دوران الأفلاك، وهى الفكرة التى عرض لها ابن عربى بتوسع فى [الفتوحات المكية] وغيرها من رسائله الصغرى.. ولا شك فى أن هذه الفكرة ترتبط بشكل ما، بالاعتقاد فى أن الأرض التى خلقها الله للإنسان ـ هى مركز الأفلاك السماوية كلها!
(٧) الأبيات فى أ، ب، وساقطة من ج. (٨) ب: ولا يصب.

www.alkottob.com

وَمَنْ ذَا الَّذى يُسْقَى بِذِكْرِكَ[1] قَهْوَةً

وَلاَ يَنْثَنى تيهًا وَيَزْهُو[2] بِهِ العُجْبُ

سَبَيْتَ[3] الورَى حُسْنًا وَأَنْتَ مُحَجَّبٌ

فَكَيْفَ بِمَنْ يَهْوَاكَ إِنْ[4] زَالَتِ الحُجْبُ

وَأَصْبَحْتَ مَعْشُوقَ القُلُوبِ بِأَسْرِهَا

وَمَاذَرَّةٌ[5] فِى الكَوْنِ إِلاَّ لَهَا قَلْبُ[6]

٥ إِذَا سَكِرَ العُشَّاقُ كُنْتَ نَدِيمَهُمْ

وَأَنْتَ لَهُمْ سَاقٍ وَأَنْتَ لَهُمْ شُرْبُ

وَإِنْ زَمْزَمَ[7] الحَادِى وَمَالُوا صَبَابَةً

فَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ سِوَاكَ وَلاَ أَرْبُ

وَلِمْ لا يَذُوبُ العَاشِقُونَ صَبَابَةً

وَوَجْدًا وَسُلْطَانُ المَلاَحِ لَهُمْ حِبُّ

---

(١) ب: بيدك.

(٢) ب: ويزهوا.

(٣) ب: سلبت.

(٤) مطموسة فى أ.

(٥) ب: ولا ذرة.

(٦) يستند الصوفية إلى قوله تعالى «وإن من شىء إلا يسبح بحمده» وقوله تعالى «ولله يسجد ما فى السموات والأرض» فيعبرون بصيغ مختلفة عن ذلك المشهد الذوقى الذى يرى فيه الصوفى كل ذرات الوجود منجذبة إلى الله بفعل المحبة ومسبحة بحمده بحكم الافتقار إليه. . وربما تشابهت هذه الفكرة مع ما يقرره أرسطو فى تفسيره لحركة العالم، باعتبار العالم منجذبا إلى الله (المحرك الأول) انجذاب تعشق. لكن هذا الربط بين آراء أرسطو الفلسفية، ومشاهد الصوفية الذوقية ـ وهو ما نجده عند بعض الباحثين ـ يحمل بين طياته الكثير من التعسف.

(٧) الزمزمة؛ الصوت الخفى. . وقوله «زمزم الحادى» إشارة إلى ارتقاء قافلة الأرواح فى سيرها إلى قرب الحق تعالى.

www.alkottob.com

[السريع]

١ لِى فِى هَوَاكُمْ مَذْهَبٌ مُذْهَبُ
وَمَطْلَبٌ مَامِثْلُهُ مَطْلَبُ

أَصْبَحْتُ عَبْدًا رَاضِيًا بِالَّذِى
تَرْضُونَ[١] لاَ أَرْجُو وَلاَ أَرْهَبُ[٢]

إِذَا تَجَلَّى كَأْسُ سَاقِيكُمُ
كُنْتُ لَهُ أَوَّلَ[٣] مَنْ يَشْرَبُ

وَإِنْ تَغَنَّى[٤] بِاسْمِكُمْ مُنْشِدٌ[٥]
فَإِنَّنِى أَوَّلُ مَنْ يَطْرَبُ

٥ يَا قَمَرًا فِى مُهْجَتِى[٦] لَمْ يَزَلْ
مَطْلَعُهُ الْمَشْرِقُ[٧] وَالْمَغْرِبُ

وَيَا غَزَالاً فِى فُؤَادِى لَهُ
مَرْعَى[٨] وَمِنْ دَمْعِى لَهُ مَشْرَبُ

---

(١) أ: يرضون.

(٢) يشير التلمسانى هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بسقوط الدارين، وهو ما يكون حينما يصل الصوفى إلى منتهى مقام الرضا، فتسقط إرادته وتدبيره بالكلية. . وهو المعنى الذى أشار إليه الإمام عبد القادر الجيلانى حين قال:

أصبحت لا أملا ولا أمنية أرجو ولا موعودة أترقب

(٣) ج: أكرم.

(٤) ب: تغنا.

(٥) ب، ج: منشدا.

(٦) ب: حسنة.

(٧) أ: الحسن. (٨) ب، ج: مرعا.

www.alkottob.com

مَـــا الـعَـــيْـشُ إلاَّ فـى هَواكَ الَّـذِى
كُـلُّ نَـعِـــــيـمٍ فَـلَـهُ يُـنْـسَـبُ

[البسيط]

١ أَيُنْكِرُ الـوَجْـدُ[١] أَنِّى فِى الهَـوى شَـحِبُ[٢]
وَدُونَ كُـلِّ دُخَـــانٍ سَـــاطِعٍ لَهِبُ
وَمَـا سَلَوتُ كَـمَـا ظَنَّ الـوُشَـاةُ وَلا
أَسْلُو كَـمَـا يَتَـرَجَّى[٣] العَـاذِلُ التَّـعِبُ
فَـإِنْ بَكَى[٤] لِصَـبَـاباتِى عَـذُولُ هَوىً
فَـلى بِمَا مِنْهُ يَبْكِى عَـــاذِلِى طَـرَبُ[٥]
نَاشَـــدْتُكَ الـله يَارُوحى اذْهَبِى كَلَفًـا
بِحُبِّ قَـوْمٍ عَنِ الجَـرْعَـاءِ[٦] قَـدْ ذَهَبُـوا

---

(١) الوجد؛ حال صوفى يشير إلى آثار المحبة . . ومن أكثر تعريفاته شهرة، ما نقله السراج الطوسى فى كتابه اللمع (ص ٣٧٩) عن أبى سعيد بن الأعرابى حين يقول: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر . . ولاستشراف آفاق الدلالة الصوفية لهذا المصطلح، يمكن الرجوع إلى [اللمع ص ٣٧٥ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٤ ـ اصطلاح الصوفية ص ٥).

(٢) أ: شجب.

(٣) أ: يرتجى.

(٤) ب: يكن.

(٥) جـ: الطرب.

(٦) الجرعاء؛ الأرض الرملية الجرداء المستوية [لسان العرب ١/ ٤٤٣] وهى اسم لموضع يشير به الصوفية إلى مقامات القرب من الله.

www.alkottob.com

٥ لاَ تَسْأَلِيْهُم ذِمَامًا فِى مَحَبَّتِهِمْ
فَطَالَمَا قَدْ وَفَا بِالذِّمَّةِ العَرَبُ
هُمْ أَهْلُ وُدِّى وَهَذَا وَاجِبٌ لَهُمُ
وَإِنَّمَا وُدُّهُمْ لى فَهْوَ لاَ يجبُ
هُمْ أَلْبَسُونِى سَقَامًا مِنْ جُفُونِهِمُ
أَصْبَحْتُ أَرْفُلُ فِيهِ وَهْوَ يَنْسَحِبُ[١]
وَصَيَّرَتْ أَدْمُعِى حُمْرًا خُدُودُهُمُ
فَكَيْف أَجْحَدُ مَامَنُّوا وَمَا وَهَبُوا
هَلِ السَّلاَمَةُ إلاَّ أنْ أمُوت بِهِمْ
وَجْدًا وَإلاَّ فَبُقْيَاىَ هُوَ العَطَبُ[٢]
١٠ إنْ يَسْلُبُوا البَعْضَ مِنِّى فَالجَمِيعُ لَهُمْ
وَإنَّ أشْرَفَ أجْزَائى الَّذِى سَلَبُوا[٣]
لَوْ تَعْلَمُ العَذَبَاتُ[٤] المَايِسَاتُ بِمَنْ
قَدْ بَانَ[٥] عَنْهَا إذَنْ مَا اخْضَرَّتِ العَذَبُ[٦]
وَلَوْ دَرَى مَنْهَلُ الوَادِى[٧] الَّذِى وَرَدُوا
مَنْ وَارِدُو مَائِهِ لاَهْتَزَّهُ[٨] الطَرَبُ

---

(١) جـ: فيها وهى تنسحب.
(٢) ب: فإبقاى هو العجب.
(٣) أ: فإن أشرف أجزاى، ب: وإن أشرف أجزاء، ج: فإن أشرف جدى.
(٤) ب: الغاديات. (٥) جـ: غاب.
(٦) العذب؛ طرف كل شىء. والعذب والعذبات أغصان الشجر [لسان العرب ٢/ ٧١٦].
(٧) جـ: الوداد. (٨) ب: واردى ماؤه لاهتزه، جـ: من فى قبابهم لاهتزت.

www.alkottob.com

إنِّى لأَكْـــتُمُ[1] أنْفَـــاسِى إذَا ذُكِـــرُوا
كَـيْـلاَ يُـحـرِّقَـهُمْ مِنْ زَفْـرَتِى اللَّـهَبُ
وَتُـرْسِلُ الـدَّمْعَ عَـــيْـنِى فِـى[2] مَنـازِلِهِـمْ
كَـيْـلاَ تُسَـابِقَـهَـا[3] فِى سَحِّهَـا السُّحُبُ
١٥ كَـذَا لِـكُلِّ[4] مُـحِبٍّ غَـيْـرَةٌ[5] لَهُمُ
وَعِـنْدَ كُـلِّ غَـــيُـــورٍ فِطْنَةٌ عَـــجَـبُ
أُسَـائِـلُ الْبَـانَ عَنْ مَـيْلِ[6] النَّسِـيـمِ بِهِمْ
سُؤَالَ[7] مَنْ لَيْسَ يُدْرَى فِـيـهِ مَا السَّبَبُ[8]
وَتِلْـكَ[9] آثَـارُ لِينٍ مِـنْ[10] قُـــدُودِهِـمُ
مَرَّتْ بِهَا[11] الرِّيحُ فَاهْتَـزَّتْ لَهَا[12] الْقُضُبُ[13]

---

(١) = ب، ج: لاكظم.
(٢) جـ: فى عينى.
(٣) أ: كى لا يسابقنى، ب: كى لا يشابهها.
(٤) ب: كذاك كل.
(٥) . ° . عبرة؛ والكلمة غير منقوطة فى أ.
(٦) ب: هل مر.
(٧) أ: سواك؟ : سواك
(٨) ب: فيهم السبب.
(٩) = ب
(١٠) جـ: ليلى فى.
(١١) جـ: به. (١٢) أ: به.
(١٣) القضب؛ الأغصان. وهو أيضا نوع من الشجر، له ورق كورق الكمثرى، إلا أن القضب ورقه أرق وأنعم. . وهى هنا كناية عن الأرواح التى تهتز شوقا إلى عالم النور. وفى مخطوطة أ ورد البيت التالى:

يصحو السكارى ولا أصحو ظما بكم ويسكر السكر من بعض الذى شربوا

www.alkottob.com

[الطويل]

١ نَعَمْ[١] هَذِهِ الدَّارُ الَّتِى أَنْتَ[٢] تَطْلُبُ
إِلَى أَيْنَ عَنْهَا يَالَكَ الخَيْرُ تَذْهَبُ
أَعَنْ دَارِ لَيْلَى بَعْدَ مَا بَانَ بَانُهَا[٣]
وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا تَتَحَجَّبُ[٤]
لَقَدْ سَمَحَتْ رُوحِى بُقْرِبِ مَزَارِهَا
بِفُرْقَةِ جِسْمٍ لَمْ تَزَلْ فِيهِ تَرْغَبُ[٥]
وَهَلْ كَانَتِ الأَجْسَادُ إِلاَّ مَطِيَّنَا
تُقَرِّبُهَا[٦] مَعْنىً لَهَا حِينَ تَقْرَبُ
٥ نَعَمْ ذَلِكَ المَعْنَى الَّذِى أَشْرَقَتْ بِهِ
بُدُورُ سَنَاهَا[٧] بَعْدَمَا عَنْكَ تَغْرُبُ
وَلاَحَتْ وَهَلْ يَوْمًا[٨] تَوَارَتْ وَإِنَّمَا
بِتَنْزِيهِهَا عَنْ ذَاكَ طَرْفِى[٩] يُكَذِّبُ

---

(١) الأبيات فى أ، ج وساقطة من ب.
(٢) جـ ١ : نحن نطلب.
(٣) البان؛ نوع من الشجر.
(٤) جـ: تنجنب.
(٥) فى جـ ورد البيت على هذه الصورة:
لقد عزمت عينى لفقد مزارها بطرفة جفن لم تزل فيه ترقب
(٦) ج: تقربنا منها حين تقرب.
(٧) أ: سنى ما بعدها.
(٨) ج: يوم.
(٩) أ: ينزهها عن ذاك طرفك.

www.alkottob.com

[الوافر]

١ نَدَىً[١] فِى الأُقْحُوانَةِ أَمْ رُضَابٌ[٢]
وَطَلٌّ[٣] فِى الشَّقِيقَةِ[٤] أَمْ سَرَابُ[٥]
فَتِلْكَ[٦] وَهَذِهِ ثَغْرٌ وَكَأْسٌ
بِذَا[٧] ظَلْمٌ[٨] وَفِى هَذَى شَرَابُ
وَخُضْرُ خَمَائِلٍ[٩] كَسَجُومِ[١٠] غِيدٍ
قَدْ انْتُقِشَتْ وَرَقَّ بِهَا[١١] الخِطَابُ[١٢]
يُرِيكَ بِهَا الشَّقِيقُ سَوَادَ هُدْبٍ
وَحُمْرَةَ وَجْنَةٍ فِيهَا الْتِهَابُ
٥ وَوُرْقٌ[١٣] حَمَائِمٍ فِى كُلِّ فَنٍ
إِذَا نَطَقَتْ لَهَا لَحْنٌ صَوَابُ

---

(١) وردت الأبيات الأربعة الأخيرة فى هامش ب، وبقية الأبيات ساقطة من المخطوطة.
(٢) فى جـ (شراب). . والرضاب هو الريق، ويقال أيضا لقطع السكر والثلج وفتات المسك [لسان العرب ١/ ١١٧٥].
(٣) فى جـ (ظل). . والطل؛ الندى الذى تخرجه عروق الأشجار إلى غصونها، وهو أيضا: المطر الخفيف الذى ينزل من السماء فى الصحو. والطلة، الخمرة اللذيذة [لسان العرب ٢/ ٦٠٩].
(٤) الشقيقة؛ زهرة حمراء. والجمع شقائق، يقال «شقائق النعمان» لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا، فكثرت فيها هذه الزهرة.
(٥) ج: رضاب. (٦) جـ: وتلك.
(٧) جـ: بلا.
(٨) الظلم؛ الثلج. ويقال أيضا لرقة الأسنان وبياضها.
(٩) جـ: حمائم.
(١٠) السجوم؛ شجر له ورق طويل [لسان العرب ٢/ ١٠٢] ويقال «نبات غيد» أى ينثنى من نعومته.
(١١) جـ: لها.
(١٢) الخطبة؛ الخضرة.
(١٣) الورق؛ جمع ورقاء. . وهى الحمامة الرمادية.

www.alkottob.com

لَـهَـــا بِـالظِّـلِّ أَزْرَارٌ[1] حِـــسَـــانٌ
وَأَطْـواقٌ وَمِـنْ وَرِقٍ[2] ثِـيَـــــابُ
كَـــأَنَّ النَّهْـــرَ سَـيْـفٌ مَـشْـــرفِىٌّ[3]
لَـهُ فِى كَـفِّ صَـــيْـــقَلِهِ[4] اضْطِـرَابُ
تُـجَـــرِّدُهُ يَـمِـينُ الـشَّـــمْـشِ طَـوْرًا
وَطَـوْرًا بـالـظِّـلَالِ لَـهُ قِـــــرَابُ
يُعَـــابُ السَّـــيْفُ إِذْ فِـى جَـانِـبَـيْـــهِ
فُـلُولٌ وَهْـوَ مِـنْـهَـــا لاَ يُـعَـــابُ[5]
فَـإِنْ قُـلْتَ الحَـبَـــابُ انْسَـــابَ ذُعْـرًا[6]
وَرُمْتَ الـرَّقْشَ[7] صَـــدَّقَكَ الحَـبَـــابُ
وَلِلأَغْـــصَـــانِ هَيْـنَمَـــةٌ[8] تُحَـــاكِى
حَـبَـــايِبَ رَقَّ بَـيْـنَـهُـمُ[9] العِـتَـــابُ
تَـثَـنَّتْ وَالحَـــمَـــامُ لَـهَـــا يُـغَـنِّى
كَـشَـــرْبِ مُـدَامَـــةٍ شَـرِبُـوا وَطَـابُوا[10]

---

(١) جـ: أزار.
(٢) الورق؛ الفضة والدراهم المضروبة منها [لسان العرب ٣ / ٩١٢].
(٣) جـ: مشرقى.
(٤) جـ: صليقة.
(٥) يشير التلمسانى إلى التعاريج التى تكون بضفتى النهر، فتزيده جمالا.
(٦) ج: وعرا.
(٧) ج: الرقص.
(٨) الهينمة؛ الكلام الخفى لا يفهم [لسان العرب ٣ / ٨٣٩].
(٩) أ: بينهم رق، ج: رق بينها.
(١٠) ب: وطاب.

www.alkottob.com

[البسيط]

١ لَوْلاَ[١] الحِمَى وَصَبَايَا[٢] بِالْحِمَى عُرُبُ
مَا كَانَ فِى البَارِقِ النَّجْدِىِّ[٣] لى أَرَبُ
حَلَّتْ عُقُودَ اصْطِبَارِى دُوْنَهُ حُلَلٌ
حُقُوقُهَا كَارتِيَاحَاتِى[٤] لَهَا تُجِبُ
وَفِى رِيَاضِ بُيُوتِ الحَىِّ مِنْ إضَمٍ[٥]
وَرْدٌ جَنِىٌّ وَفِى أَكْمَامِهَا القُضُبُ[٦]
يَسْقِى الأَقَاحِىَ مِنْهَا قُرْقُفٌ[٧] فَإِذَا
لاَحَ الحَبَابُ عَلَيْهَا فَاسْمُهُ الشَّنَبُ[٨]
٥ يَقْضِى بِهَا لِعُيُونِ النَّاظِرِينَ عَلَى
كُلِّ القُلُوبِ قَضَاءً مَالَهُ سَبَبُ
إلاَّ تَمَارُضَ[٩] أَجْفَانٍ إذَا سَلَبَتْ
فَمُقْتَضَى هَمِّهَا المَسْلُوبُ لاَ السَّلَبُ

---

(١) الأبيات فى أ، وساقطة من جـ.
(٢) أ: وظبا، جـ: وظباتى.
(٣) البارق؛ الجبل.. وهو اسم نهر بباب الجنة [معجم البلدان ١/ ٣٢٠].
(٤) غير واضحة فى جـ.
(٥) إضم؛ الوادى الذى بجبال تهامة ـ حيث تقع المدينة المنورة ـ يسمى من عند المدينة (القناة) ومن أعلى منها (الشظاة) ومن عند الشظاة إلى البحر، يسمى إضما [معجم البلدان ١/ ٢١٤].
(٦) أ، + جـ: ومن أكمامها يهب.
(٧) القرقف؛ الماء البارد الصافى. وهو اسم من أسماء الخمر [لسان العرب ٣/ ٧٠].
(٨) الشنب؛ البرد والعذوبة فى الفم. ويقال أيضا لبياض الأسنان وبريقها [لسان العرب ٢/ ٣٦٦].
(٩) أ: تمرض.

www.alkottob.com

وَلِي لَدَى[1] الحِلَّةِ[2] الفَيْحَاءِ غُصْنُ نَقَا[3]
يَهْفُو فَيَجْذِبُهُ خَفْقٌ فَيَنْجَذِبُ
لاَ يَقْدِرُ الحِبُّ أنْ يُخْفِي مَحَاسِنَهُ
وَإنَّمَا فِي سَنَاهُ الحُجْبُ تَحْتَجِبُ
أُعَاهِدُ الرَّاحَ أنِّي[4] لاَ أُفَارِقُهَا
مِنْ أَجْلِ أنَّ الثَّنَايَا شِبْهُهَا الحَبَبُ
وَأَرْقُبُ البَرْقَ لاَ سُقْيَاهُ مِنْ أَرَبِي
لَكِنَّهُ مِثْلُ خَدَّيْهِ لَهُ[5] لَهَبُ
يَا سَالِمًا فِي الهَوَى مِمَّا أُكَابِدُهُ
رِفْقًا بِأَحْشَاءِ صَبٍّ شَفَّهَا الوَصَبُ
فَالأَجْرُ يَا أَمَلِي إنْ كُنْتَ تَكْسِبُهُ
مِنْ كُلِّ ذِي كَبِدٍ حَرَّاءَ تَكْتَسِبُ[6]
بَا بَدْرَ تَمٍّ مُحَاقِي[7] فِي زِيَادَتِهِ
مَا أَنْ تَنْجَلِي[8] عَنْ أُفْقِكَ السُّحُبُ[9]

---

(١) أ: لذا.
(٢) الحلة؛ شجرة شاكة أصغر من العوسج. وهى اسم علم لعدة مواضع [راجع، ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٩٤].
(٣) أ: نقى.
(٤) جـ: فيه.
(٥) جـ: لها.
(٦) أ: تكتسب.
(٧) المحاق؛ آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير [لسان العرب ٢/ ٤٤٦].
(٨) جـ: ينحلى. (٩) جـ: الحجب.

www.alkottob.com

صَحَا السُّكَارَى وَسُكْرِى فِيكَ[1] دَامَ وَمَا
لِلسُّكْرِ[2] من سَبَبٍ يُرْوَى وَلاَ نَسَبُ
١٥ قَدْ أَيَّسَ الصَّبْرَ وَالسُّلْوَانَ أَيْسَرُهُ
وَعَاقَبَ الصَّبَّ عَنْ آمَالِهِ الوَصَبُ[3]
وَكُلَّمَا لاَحَ يَا دَمْعِى وَمِيضُ سَنىً
تَهْمِى وَإِنْ هَبَّ يَا قَلْبِى صَبًّا تَجِبُ[4]

[المنسرح]

١ مَا صَادِحَاتُ[5] الحَمَامِ فِى القُصُبِ
وَلاَ ارْتِفَاعُ المُدَامِ بِالحَبَبِ
إلاَّ لِمَعْنىً إذَا ظَفَرْتَ بِهِ
أَلْزَمَكَ الحَدُّ صُورَةَ اللَّعِبِ
مِنْ أَجْلِ ذَا فِى الجَمَالِ مَانَقَلَتْ
قَوْمًا عَنِ الْقَبْضِ بَسْطَةُ[6] الطَّرَبِ

---

(١) + أ: منك.

(٢) للسكر فى الاصطلاح معنيان، الأول: نشوة المحبة وغلبة الوجد والغناء عما سوى الله بفعل الجذب الإشراقى.. والمعنى الآخر: نشوة الأرواح بالتوحيد الشهودى فى عالم الذر، وهو المعنى الذى قال فيه ابن الفارض فى مطلع رائعته الخمرية:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) ج: وعاق (ذو) العتب من آماله السلب!

(٤) تهمى، تنهمر.. الصبا، ريح باردة.. تجب، تضطرب.

(٥) الأبيات التالية فى(أ) وليست بباقى النسخ الخطية. وهى فى جملتها خطاب من الشاعر للمريد المبتدئ، مشيرا لهذ المريد بالحقيقة الصوفية القائلة بأن كل ما فى الوجود، إنما هو تجليات الجمال الإلهى؛ ناصحا باتباع عشاق هذا الجمال.. أى مشايخ الطريق الصوفى.

(٦) القبض والبسط، كلمتان قرآنيتان (سورة البقرة، آية ٢٤٥) وهما عند الصوفية حالان متقابلان، فالقبض هو غلبة الخوف الناشئ من معرفة جلال الله تعالى، والبسط هو غلبة الرجاء بعد مشاهدة =

www.alkottob.com

قَـدْ شَـاهَدُوا[1] مُطلَقَ الجَـمَـالِ بِلاَ
رَقِـيـبِ غَـيْـرِيَّةٍ[2] وَلاَ حُـجُبِ
فَـأُوْلَعُـوا بِالقُـدُودِ مَـايِسَـةً
أَعْطَافُـهَـا وَالـمَـبَـاسِمِ الشُّنُبِ[3]
وَافْـتَـتَنُوا بَالـعُـيـونِ إِنْ رَمَـقَتْ
تَرْمِى قُـسَـيًّـا بِأَسْـهُـمِ الهُـدُبِ
وَأَسْلَمُـوا فِى الـهَـوَى أَزِمَّـتَـهُمْ
طَوْعًـا لِحُكْمِ الـكَوَاعِبِ العُـزُبِ[4]
مَـا فِى خَـبَـايَا غَـرَامِ أَنْفُسِـهِمْ
شَـائِبَـةٌ مِنْ شَـوَائِبِ الرِّيَبِ
قَـدْ خُلِقَتْ لِلجَـمَـالِ أَعْـيُـنُهُمْ
وَطُهِّـرَتْ بِالـمَـدَامِعِ السُّـرُبِ[5]

= تجليات الجمال الإلهى (راجع: الرسالة القشيرية ص ٣٥، اللمع فى التصوف ص ١٥٦، اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ١٢، اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٣٧).

(١) الشهود عند الصوفية، هو رؤية الحق بالحق، ومعرفة شواهد الحق التى هى حقائق الأكوان الشاهدة بالمكون، الدالة عليه (انظر، القاشانى: اصطلاحات الصوفية ص ١٥٣، ١٥٤).

(٢) الغيرية: كل ما سوى الله.

(٣) الشنب؛ بياض الأسنان وبريقها.. والمعنى المراد هنا، أن الصور المستحسنة هى إشارات للجمال الأزلى. وتعلق الصوفى إنما يكون بجوهر الجمال، لا بظاهر صوره الحسية المتجلية فى الكون، وذلك ما أشار إليه التلمسانى فى البيت الثامن وما بعده.

(٤) كواعب؛ جمع «كاعب» وهى المرأة حين يبدو ثديها للنهوض (لسان العرب ٣/ ٢٦٦) والعزب؛ جمع «عازبة» وهى المرأة التى لا زوج لها ويقال «عزبت الأرض» إذا لم يكن بها أحد (لسان ٢/ ٧٦٣) وعادة ما يشير الصوفية بالكواعب.. على ما فى ذلك من معنى حسى ـ إلى تلك الواردات الإلهية التى تشرق عليهم فى خلواتهم.

(٥) يلاحظ هنا أن التلمسانى قد جعل «الدمع» بمثابة وضوء العين وطهارتها.. وانظر فيما يتعلق بالبكاء ودلالته الصوفية، ما نذكره فى تعليقاتنا الآتية.

www.alkottob.com

١٠ مـــالاحَـظُوا رُتْبَـــةً تقَـــيِّـــدُهُمْ
وَهُمْ جَـمِـيـعًـا عُـمَـارَةُ الرُّتَبِ(١)

فَطُفْ بِحَـــانَـاتِهِمْ عَـــسَى قَـــبَسٌ
مِـنْ بَعْضِ كَـــاسَـــاتِهِمْ بِلا لَهَبِ

تَصْـرِفُ مِـنْ صَـرْفِـهَـا هُـمُـومَكَ أَوْ
تُصْـبِحُ فِى الـقَـوْمِ(٢) مُلْحَقَ النَّسَبِ

وَكُـنْ طُـفَـيْـلَتَـهُـمْ عَـلَـى أَدَبٍ
فَـمَـا أَرَى شَـافِـعًـا سِـوَى الأَدَبِ

وَإِنْ تَـدَانَـيْـتَ مِنْ سُـرَادِقِـهِـمْ
فَـاسْـجُـدْ لِعِـزِّ الجَـمَـالِ وَاقْـتَـرِبِ(٣)

١٥ وَغِـبْ حَنَـانَـيْكَ فِـى حُـضُـورِهِـمُ
عَنْكَ فَـمَنْ غَـابَ عَـنْهُ لَـمْ يَغِبِ(٤)

---

(١) الرتب؛ الأحوال والمقامات. . وهى الدرجات الروحية التى ينزل بها الأولياء فى الطريق الصوفى الممتد من الخلق إلى الحق: وللصوفية كلام مطول فى الأحوال والمقامات والفرق بينهما، فمن ذلك قول القاشانى: الحال ما يرد على القلب بمحض الموهبة، من غير تعمل ولا اجتلاب، كالحزن والخوف والبسط؛ فإذا دام وصار ملْكًا، سُمى مقاما «اصطلاحات الصوفية ص ٥٧) وللمزيد حول هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى الفصول التى عقدها السهروردى فى ذلك بكتابه (عوارف المعارف، ص ٢٢٥ وما بعدها).

(١) القوم ـ فى الاصطلاح الصوفى ـ إشارة إلى الصوفية وأهل الطريق.

(٣) قوله تعالى: «واسجد واقترب. . العلق ١٦».

(٤) الغيبة؛ هى أن يغيب الصوفى من حظوظ نفسه فلا يراها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٠) وهى غيبة القلب من كل ما يجرى من أحوال الخلق، لاشتغاله بأمر الحق تعالى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٢٤٥). . والغيبة التى يشير إليها التلمسانى هنا، هى التى عرض لها الكلاباذى حين قال: وغيبة أخرى، وهى أن يغيب الصوفى عن الفناء والفانى، بشهود البقاء والباقى، فيكون الشهود شهود عيان، وتكون الغيبة غيبة عن شهود الضر والنفع. . لاغيبة استتار واحتجاب (التعرف ٤١) وذلك هو المراد فى إشارة التلمسانى إلى الغيبة فى الحضور.

www.alkottob.com

[مخلع البسيط]

١ وَاصَلَنِى[١] هَجْرُ مَنْ أحِبُّ
فَلَمْ[٢] يَغِبْ لاَ وَلاَ يَغِيبُ
فَلَوْ يَكُونُ السُّلُوُّ حَيًّا[٣]
مَا مَاتَ مِنْ هَجْرِهِ المُحِبُّ
وَارَحْمَتَا لانْكِسَارِ جَفْنٍ
لاَ يَعْرِف الصَّحْوَ مِنْهُ هَدْبُ
جَارَ[٤] عَلَيْهِ الخُمَارُ حَتَّى
أَتْلَفَهُ[٥] وَالخُمَارُ صَعْبُ
٥ يَا غُصْنًا لاَ يَمِيلُ[٦] نَحْوِى
وَالمَيْلُ فِى الغُصْنِ مُسْتَحَبُّ[٧]
صَيَّرْتَنِى[٨] كَالنَّسِيم سُقْمًا
لِمْ لاَ تَمِيلُ إذَا أَهَبُّ

---

(١) الأبيات فى أ، ج.
(٢) ج: قلم.
(٣) ج: فلو يكون للسلوحيا.
(٤) أ: جاز.
(٥) أ: أسقمه.
(٦) ج: يميل.
(٧) أ: يستحب.
(٨) = ج.

www.alkottob.com

[مخلع البسيط]

١ أُحْكُمْ[١] فَفِيكَ العَذَابُ عَذْبُ
مَا بَعْدَ حُلْوِ الخِطَابِ خَطْبُ
لِى وَلَهٌ فِى هَوَاكَ فَارَ
وَدَمْعُ صَبٍّ عَلَيْكَ صَبُّ
وَمَا تَنَزَّهْتُ فِيكَ حَتَّى
فِيكَ نُزِّهْتُ[٢] حِينَ أَصْبُو
وَأَمْكَنَنِى مِنْ لَمَاكَ بَرْقٌ
مِنَ الحَيَا لاَ يَكَادُ يَخْبُو

٥ يَا سَائِلِى عَنْ شَذَا نَسِيمٍ
قَمِيصُهُ بِالوِصَالِ رَطْبُ
ذَاكَ سَلاَمُ الحَبِيبِ وَافَى
فِى عَهْدِهِ لِلثَّامِ قُرْبُ
إِذَا تَجَلَّى عَلَى النَّدَامَى
فَهْوَ لَهُمْ خُضْرَةٌ وَشُرْبُ
وَعَاذِلِى عَادَ لِى بِلُطْفٍ
تَكَادُ مِنْهُ الصَّبَا تَهِبُ
أَضْمَرَ غَدْرًا فَعَادَ عُذْرًا
إِذْ رُفِعَتْ لِلمُحِبِّ حُجْبُ

---

(١) الأبيات فى أ فقط.
(٢) غير واضحة فى الأصل.

www.alkottob.com

[الطويل]

رَوَتْ[1] نَفَحَاتُ الطِّيبِ عنْ نَسْمَةِ الصَّبَا
حَدِيثَ غَرَامٍ عَنْ سُوَيْكَنَةِ الخِبَا[2]
وَأَهْدَى النَّسِيمُ الحَاجِرِيُّ[3] سَلاَمَهَا
فَيَالُطْفَ مَا أَهْدَى النَّسِيمُ وَمَاحَبَا
أَيَا صَاحِبِى مَاللِحِمَى فَاحَ نَشْرُهُ[4]
فَهَلْ سَحَبَتْ لَيْلَى ذِيولاً عَلَى الرُّبَا
فَمَاذَا الشَّذَا إلاَّ وقَد زَارَ طَيْفُهَا
فَأَهلاً بِطَيفٍ زارَ مِنْهَا وَمَرْحَبَا
فَيَا طِيبَ عَيْشٍ مَرَّ لِى بِفِنَائِهَا
وَلَوْ عَادَ يوْمًا كَانَ عِنْدِىَ أَطْيَبَا
لَيَالِىَّ أُنْسٌ كُلُّهَا سَحَرٌ بِهَا
وَأَيَّامُ وَصْلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصِّبَا
مُمَنَّعَةٌ رَفْعُ الحِجَابِ وَضَوْءُهَا
كَفَاهَا فَمَا تَحْتَاجُ أَن تَتَنَقَّبَا[5]

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) سويكنة؛ تصغير (ساكنة) والخبا، مخفف (خباء) وهو من بيوت الأعراب التى تتخذ من وبر أو صوف (لسان العرب ١/ ٧٨٩).

(٣) الحاجر؛ منزل من منازل الحاج فى البادية (لسان ١/ ٥٧٣) وهو فى لغة العرب؛ ما يمسك الماء من شفة الوادى (معجم البلدان ٢/ ٢٠٠٤).

(٤) النشر؛ الريح الطيبة.

(٥) فى الحديث الشريف: إن لله سبعين حجابا من نور.. (أخرجه: مسلم، باب الإيمان ٢٩٣ ـ ابن حنبل، المسند ٤/ ٤٠١، ٤٠٥ ـ ابن ماجة، المقدمة ١٣).

www.alkottob.com

هِيَ الشَّمْسُ إلاَّ أنَّ نُورَ جَمَالِهَا
يُنَزِّهُهَا فِي الحُسْنِ أنْ تَتَحَجَّبَا
لَئِنْ أَخْلَفَ الوَسْمِيُّ[1] مَاحِلَ تُرْبِهَا
فَقَدْ رَاحَ مِنْ دَمْعِ المُحِبِّينَ يَخْصِبَا

[الكامل]

١ لَوْلاَ[2] الحَيَاءُ وأنْ يُقَالَ صَبَا[3]
لَصَرَخْتُ مِلْءَ السَّمْعِ وَاطَرَبَا
حَضَرَ[4] الحَبِيبُ وَغَابَ حَاسِدُنَا[5]
مِنْ بَعْدِ طُولِ تَحَجُّبٍ وَخَبَا[6]
فَاليَوْمَ أَخْلَعُ فِيكَ يَا أَمَلِي[7]
ثَوْبَ[8] الوَقَا وَأَطْرَحُ الرُّتَبَا[9]

---

(١) الوسمى، مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف. سُمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، فيصير فيها أثرا ووسما فى أول السنة (لسان العرب ٣/ ٩٢٨).

(٢) الأبيات فى أ، ج.

(٣) اعتادت العرب أن تقول لمن كفر: إنه «صبا» وهى الكلمة التى كانت دوما تقال للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بداية دعوته للإسلام. . والصابئة فرقتان مختلفتان تماما، الأولى صابئة بغداد (المندائية) وهى فرقة يهودية نصرانية والثانية صابئة حران (عبدة الكواكب) وهى فرقة وثنية عاشت زمنا طويلا فى ظل الدولة الإسلامية، وشارك رجالها فى مسيرة العلم بديار المسلمين.

وتذهب صابئة حران إلى أن لهم أنبياء، هم: أغاذيمون وهرمس وأورفيوس، وهم يقولون بأن للعالم صانعا لا يمكن الوصول إلى جلاله مباشرة، بل لا بد من توسط أرواح الكواكب السبع السيارة، لذلك جعلوا أماكن عبادتهم على شكل هياكل سبعة، لم يبق حتى القرن الخامس الهجرى منها إلا هيكل القمر. . (راجع دائرة المعارف الإسلامية، مادة صابئة ـ كارديفو ـ الترجمة العربية ١٤/ ٨٩ وما بعدها).

(٤) أ: حضروا. (٥) ج: حاسده. (٦) أ: وغبا!
(٧) ج: يا منى أملى. (٨) ج: فيك. (٩) ج: الريبا.

www.alkottob.com

[المنسرح]

١ قُمْ[١] فَاسْقِنِى مِنْ يَدَيْكَ صَافِيَةً[٢]
خَدُّكَ يَكْسُو شُعَاعَهَا لَهَبَا
كَأَنَّ مَاءَ[٣] الصَّفَاءِ قَابَلَهَا
مِنْكَ ابْتِسَامٌ فَمَثَّلَ الحَبَبَا
فَهَا أَنَا[٤] فِى الحُضُورِ مُنْتَهِزٌ
يَا مُنْيَةَ النَّفْسِ غَيْبَةَ الرُّقَبَا
مِنْ عَجَبٍ أَنَّنِى[٥] أَزِيدُكَ[٦] مِنْ
شُرْبِى[٧] وَسُكْرِى عَلَى قَدْ غَلَبَا

[الكامل]

١ أَهْلاً[٧] بِمُعْتَلِّ النَّسِيمِ وَمَرْحَبَا
وَمُذَكِّرِى عَهْدَ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا
حَمَلَ التَّحِيَّةَ عَنْ أُهَيْلِ المُنْحَنَى[٨]
وَأَبَانَ عَنْهُمْ بِالمَقَالِ وَأَعْرَبَا

---

(١) فى المخطوطتين، اتصلت الأبيات دونما فواصل، وربما أدت القافية المتشابهة إلى خلط هذه الأبيات بسابقتها . . ولما كان البحر العروضى مختلفا، فقد فصلنا كلا منهما عن الأخرى.
(٢) الصافية، الخمر . . يشير بها التلمسانى هنا إلى الواردات الإلهية.
(٣) ب: كأنما.
(٤) أ: فهانا (٥) . . أن
(٦) أ: استزيدك، ج: أسريك!
(٧) ج: قرى.
(٨) الأبيات فى أ فقط.
(٩) المنحنى، موضع . . يشير به التلمسانى إلى عالم الملكوت.

www.alkottob.com

فَعَرَفْتُ عَرْفَهُمُ[1] بِهِ لَكِنَّنِى
أَنْكَرْتُ صَبْرًا عَنْ عُهُودِى نَكَّبَا

يَا عَاذِلِى كُنْ عَاذِرِى فِى حُبِّهِمْ
لَمْ أَلقَ لِلسُّلْوانِ عَنْهُمْ مَذْهَبَا

٥ لاَ تَلْحِ[2] فِيهِمْ مُغْرَمًا أَلِفَ الضَّنَا
يَجِدُ السَّقَامَ بِهِمْ لَذِيذًا طَيِّبَا

نَزَلَ الغَرَامُ بِهِ فَرَحَّلَ صَبْرَهُ
عَنْهُ وَخَيَّمَ فِى حَشَاهُ وَطَنَّبَا

غِبْتُمْ وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ بِمُهْجَتِى
أَفْدِى الحُضُورَ بِمُهْجَتِى وَالغُيَّبَا

[المنسرح]

١ مَاهَبَّ[3] مِنْ نَحْوِكُمْ نَسِيمُ صَبَا
إِلاَّ وَأَذْكَى بِمُهْجَتِى[4] لَهَبَا

وَلاَشَدَا مُطْرِبٌ بِذِكْرِكُمُ
إِلاَّ[5] وَنَادَى المَشُوقُ وَأَطْرَبَا

---

(١) العرف، الرائحة.
(٢) اللحو، اللوم والعذم. . والملاحاة، كالسباب والشتم (لسان العرب ٣/ ٣٥٤).
(٣) الأبيات فى أ، ج وساقطة من ب.
(٤) ج: لاضلعى.
(٥) ـ ج.

www.alkottob.com

وَلاَ تَذَكَّـــرْتُ عِـــيـــشَـــةً سَلَـفَتْ

بـالخَـــيـفِ[1] إلاَّ وَقُـلْتُ وَاحَـــرَبـا[2]

لاَ نَالَ مِـنْكَ الـمَـشُـوقُ بُغْـيَـتَـهُ[3]

إنْ كَـــانَ يَوْمًـــا إلى سِـــوَاكَ صَـبـا

يَا حَـــبَّـــذَا لَوْعَـــتِى عَلَيْكَ[4] وَيَـا

بُشْـــرَاىَ إنْ مُتُّ فِـيكَ[5] مُكْتَـئِـبـا

أَحْـــبَـــابَنَا[6] هَـلْ بِقُـــرْبِكُمُ أَمَـلُ

أَمْ هَـلْ بِوَصْـلِكُـمُ أَرَى سَـــبَـــبـا

آهًـا لأَيَّـــامِنَـا بِقُـــــــرْبِكُـمُ

وَطِـيبِ عَـــيْشٍ بِوَصْـلِكُمْ ذَهَبـا

يا سَـــائِقَ العِـيسِ[7] نَحْـوَ كَـاظِمَـةٍ

أَبْلِـغْ[8] سَـــلاَمِى لِـنَازِلِـينَ قُـبـا[9]

وَقُلْ قَـضَى ذَلِكَ[10] الـمَـشُـوقُ بِكُمْ

وَمَـــا قَـــضَى مِـنْ وِصَـــالِكُمْ أَرَبـا

---

(١) الخيف، ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، ومنه سمى مسجد الخيف فى منى. . والخيف المشار إليه هنا، هو بطحاء مكة (معجم البلدان ٢/ ٤١٢).

(٢) أ: واخربا.

(٣) ج: مطلبه. (٤) ـ ج.

(٥) ج: فيك كئيب. (٦) = ج.

(٧) العيس، الإبل. (٨) ج: بلغ.

(٩) قباء، مواضع عديدة. . المشار إليه هنا، مسجد الرسول المشهور الذى وردت فى فضله أحاديث كثيرة، وفيه كانت أول صلاة جمعة فى الإسلام.

(١٠) أ: ذاك.

www.alkottob.com

[الطويل]

١ قِفَا[١] بالمَطَايَا بَيْنَ نَجْدٍ وَشِعْبِهِ[٢]
نُؤَدِّى تَحِيَّاتِ الغَرَامِ لِصَبِّهِ
فَبَيْنَ رُبَا تِلْكَ الرُّبُوعِ مَنَازِلٌ
لِعَلْوَةَ[٣] مَاءُ الدَّمْعِ أَكْثَرُ شُرْبِهِ
إِذَا مَا التَثَمْنَا بِالنَوَاظِرِ تُرْبَةً
تَمَسَّكَتِ الأَجْفَانُ مِنَّا بِتُرْبِهِ
أَجِنُّ إِلَيْهَا وَهْىَ قَلْبِى وَهَلْ تَرَى
سِوَاىَ أَخُو[٤] وَجْدٍ يَحِنُّ لِقَلْبِهِ
٥ وَيُحْجَبُ طَرْفِى عَنْهُ إِذْ هُوَ نَاظِرِى
فَمَا بُعْدُهُ إِلاَّ لإِفْرَاطِ قُرْبِهِ

[الطويل]

١ أَيَا[٥] عَرَبَ الجَرْعَاءِ مَنْ أَيْمَنِ الشِّعْبِ
بِكُمْ لاَ بِشَىءٍ غَيْرِكُمْ شَغَفُ الصَّبِّ
أَلَمْ تَعِدُونَا أَنْ نَرَاكُمْ بِذِى الغَضَا
أَظُنُّكُمُ تَعْنُونَ أَنَّ الغَضَا قَلْبِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط .
(٢) الشِّعب، الطريق فى الجبل، وكل ما انفرج بين جبلين، والشِّعب هنا، ماء فى طريق مكة (معجم البلدان ٣/ ٣٤٧).
(٣) علوة، معشوقة عربية .
(٤) غير واضحة فى ج .
(٥) الأبيات فى أ فقط .

www.alkottob.com

غَـرَامًـا بِكُمْ والنَّارُ يَضْرِمُـهَـا الصَّـبـا

أَقُـولُ عَـلَى نَارِى بِكُمْ لِلصَّـبـا هُبِّى

وَوَجْـدًا إذا مِلْتُمْ إلىَّ مَعَ الهَـوَى

أقـولُ اعـتـذارًا يَحْسُنُ الميلُ للقُضْبِ

وَإنْ تُوقِـدُوا نَارَ الحَـرِيقِ فَكَمْ أَضَـا

وَنَارُ فُـؤادِى فِى حَشَـا الْوَالِهِ الصَّبِّ

وَإنْ تَجِـدُوا بِالشِّعْبِ سَيْـلاً وَلُجَّةً

فَـأَنْتُمْ بِمَجْـرَى الدَّمْعِ يَاسَاكِنِى قَلْبِى

سَبَتْنَا الجُفُونُ البَابِلِيَّاتُ مِنْكُمُ

وَإنَّ[1] لُبَـانَاتِ[2] اللُّبَـاءَةِ فِى الحَبِّ

[نُصَيْصٌ فَهَـلاً لِلرَقِيبِ وَعَاذِلٍ

لِكَيْمَا يَبِيتَا فِى عَذَابٍ وَفِى نَصْبِ][3]

غَـزَالُكُمُ ذَاكَ المُمَنَّعُ وَصْلُهُ

أَبَاحَ حِمَى دَمْعِى وَبَالَغَ فِى نَهْبِى

هُوَ الظَّبْىُ لا صَائِدُ الظَّبْىِ لَحْظُهُ

وَيَا مَا أُحَيْلاَ الصَّيْدَ فِى شَرَكِ الهُدْبِ

---

(١) + أ: وهن.

(٢) اللبانات؛ جمع لبنة.. واللبن فى اللغة: الضرب الشديد!

(٣) ما ورد فى هذا البيت غريب كل الغرابة عن الإطار العام لشعر الصوفية، فهم كثيرا ما يذكرون فى شعرهم ما يعانون من لوم الرقيب والعاذل؛ لكنها المرة الأولى التى نرى فيها تمنى النصَب والعذاب لهما.. وربما كان هذا البيت مدسوسا على سياق القصيدة.

www.alkottob.com

حَـــلاَ لحَظُهُ وَالـمُـــرُّ فِى الحُبِّ وَصْلُهُ

وَلَمْ تَحْلُ حَتَّى مَـرَّ فِى رِيقِـهِ العَـذْبِ

عَلَى عِـطْفِـهِ حَـتَّى مِنَ الوُرْقِ غَـيْـرَتِى

أَلَمْ تَرَهَا هَـاجَتْ عَـلَى الغُـصْنِ الرَّطْبِ

فَـإِنْ ذَبَلَتْ أَجْـفَـانُـهَـا وَهْىَ نَرْجِسٌ

فَـمِنْ طُولِ مَـا أَدْمَنْتُ فِـيـهِنَّ مِنْ شُـرْبِ

وَمِنْ عَـجَبٍ وَهْىَ الكُئُـوسُ فَـمَـالَـهَـا

إِذَا كُـسِّـرَتْ صَحَّتْ وَدَارَتْ عَلَى الشَّرْبِ

١٥ فَـــهَلْ عَـــوْدَةٌ فِى لَيْـلَـةٍ مِنْ ذَوَابَـةٍ

عَنِ الـبَـدْرِ مِـنْ ظَلْمَـائِهَـا دَائِمًـا تُنْبِى

تَـرَقَّى بَـهَـا قَلْبِى إِلَى سِـرِّ وَقْـدِهِ

سَـلاَمٌ عَلَى مَنْ تَحْـتَـهُ سُـبَـحُ الرُّطْبِ[1]

أَرَادَ[2] تَـوَلِّى الحَـلِّ وَالعَـقْـدَ عِنْـدَهُ

فَجَارَ عَلَى الـمَسْجُونِ مَنْ مُـقْتَضَى الجَذْبِ

دَعَـانِى انْكِسَـارُ الجَـفْنِ مِنْهُ لِـضَـمَّـةٍ

فَـجَـاوَبَنِى: مَـا لِلْغُـصُونِ سِـوَى الهُـضْبِ

وَغَـرَّدْتُ تَـغْـرِيدَ الحَـمَـامِ تَـوَصُّـلاً

إِلَيْـهِ لِـمَـا بَـيْنَ الحَـمَـائِمِ وَالقُـضْبِ

---

(١) + أ: سلم من . . وشطر البيت: على محفة السبح الرطب! والسبح، موضع السجود (راجع المزيد من معانى الكلمة فى: لسان العرب (٢/ ٨١، ٨٢، ٨٣).

(٢) صدر البيت غير واضح فى الأصل.

www.alkottob.com

٢٠ وَقُلْتُ زَكَاةُ الحُسْنِ فَرْضٌ فَقَالَ مَا
تَمِيلُ[١] الغُصُونُ الوُرْقُ إِلاَّ عَلَى النُّدْبِ

[المجتث]

١ يَا سَاكِنِينَ[٢] بِقَلْبِى
مَتَى أَفُوزُ بِقُرْبِ
سَلَبْتُمُونِى وَلَكِنْ
أَنَا السَّعِيدُ بِسَلْبِى
يَا عُرْبَ وَادِى[٣] المُصَلاَّ
لأَنْتُمُ خَيْرُ عُرْبِ
نَزِيلُكُمْ مُسْتَهَامٌ
مُوَلَّهُ القَلْبِ مَسْبِى
٥ وَلَسْتُ أَسْلُو هَوَاكُمْ
حَاشَا غَرَامِى وَحُبِّى
إِذَا رَضِيتُمْ تَلاَقِى
فَذَاكَ مَطْلُوبُ قَلْبِى
رُوحِى لَكُمْ إِنْ قَبِلْتُمْ
وَالرُّوحُ جُهْدُ المُحِبِّ

---

(١) فى الأصل: يخيل.
(٢) الأبيات فى أ، ج.
(٣) أ: بان.

www.alkottob.com

أَنْتُمْ ذَخِيرَةُ قَلْبِى
يَوْمَ المَعَادِ وَحَسْبِى
عِشْقُكُمْ وَبِحَقِّى(١)
إن تُهْتُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِى
١٠ وَمِلْتُ سُكْرًا وَلَمْ لا
وَمِنْكُمُ كَانَ شُرْبِى
وَقَدْ سَقَانِى حَبِيبِى
وَخَصَّنِى دُونَ صَحْبِى
وَلَسْتُ بَعْدَ عِيَانِى
جَهْرًا سَنَا وَجْهُ رَبِّى
أَصْبُو لِزَنْدٍ وَبَانٍ
وَذِكْرِ غَارٍ وَكُثْبِ(٢)

[مجزوء الخفيف]

١ هَاكَ قَلْبِى فَسِرْ بِهِ
لِلْحِمَى دُونَ سَرْبِهِ
فَلَكَمْ فِى خِيَامِهِ
مِنْ فَقِيدٍ لِقَلْبِهِ

(١) أ: وبحق.
(٢) الرند والبان والغار والكثبان ـ وغيرها ـ من مظاهر الحسن التى تشير إلى جمال الذات الإلهية.. وهنا، وقد وصل التلمسانى إلى معاينة الجمال ذاته، فهو لم يعد ينظر إلى هذه المظاهر المتجلية فى الكون، لوقع العين على العين.

www.alkottob.com

وَتَعَـــــرَّضْ بِـذَى النَّقَـــــا
لِـلصَّـــبَـــا فِى مَـــهَـــبِّـــهِ
فَـــهْـــوَ نَشْـــرٌ مُـــعَطَّرٌ
بِشَـــــذَا نَشْـــــرِ عُـــــرْبِـهِ
وَإِذَا مَـــــا دَعَـــــاكَ
دَاعِـى هَـوَاهُـمْ فَـلَـبِّـــــهِ

[الطويل]

١ عُـيـونَ(١) الحَـيَـا جُـوْدِى لِتُـرْبَةِ يَثْـرِبِ
بِدَمْـعٍ هَتُـونٍ وَدْقُـهُ(٢) مُـتَـصَـوِّبِ
عُـودِى(٣) بِطِيبٍ مِنْ سَـلَامِى طِيـبُـهُ(٤)
نَسِـيمُ الصَّـبَـا النَّـجْـدِىِّ يَا خَـيْـرَ طَيِّبِ
بِلَادٌ بِـهَـا لِلْوَحْيِ مَـرْبَـًا(٥) وَمَـرْبَعٌ(٦)
وَمُنْتَجَعُ الغُفْرَانِ(٧) عَنْ(٨) كُلِّ مُـذْنِبِ(٩)

---

(١) فى هذه الأبيات: يتعرض التلمسانى للكلام عن حقيقة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما يراها الصوفية، ويسهب فى بيان النبى وفقا لنظرية الإنسان الكامل.
(٢) الودق؛ المطر... وهى كلمة قرآنية وردت فى الكتاب العزيز مرتين (النور آية: ٤٣، الروم آية: ٤٨).
(٣) ب، ج: عاد.
(٤) ب: نشره.
(٥) ب: صربا.
(٦) ج: مرتع.
(٧) ب: الفرقان.
(٨) ج: عنى.
(٩) ب: مذهب.

www.alkottob.com

وَحَيْثُ[1] الكَمَالُ[2] الطَّلْقُ والمَرْكَزُ[3] الَّذى

إليْهِ انْتَهى[4] دَوْرُ المُحيطِ المُكَوْكَبِ

٥ أَفَاضَتْهُ أَنْوَارُ الغُيُوبِ[5] عَلَى[6] الورَى

إفَاضَةَ[7] وَهْبٍ خَارِجٍ عَنْ تَكَسُّبِ

فَأَخْبَرَ عَمَّا غَابَ بِالشَّاهِدِ الَّذى

يُبَرْهِنُ[8] بِالإعْجَازِ فِى كُلِّ مَطْلَبِ

إذَا نَظَرَتْ عَيْنَا بَصِيرَتِهِ إلى

حَقِيقَتِهِ المُثْلَى فَأَحْسِنْ[9] وَأَطْيِبِ

يَرَى بَرْزَخَ البَحْرَينِ[10] كَوْنًا مُكَوِّنًا[11]

وَمَطْلَعُهُ[12] فِى حَدِّهِ[13] المُتَرَتِّبِ[14]

---

(١) ب: حيث.
(٢) ب: الركاب.
(٣) ب: المركب، ج: المركن.
(٤) ـ أ.
(٥) ب: العيون.
(٦) ج: عن.
(٧) ب: أفاضت.
(٨) ب: ترهب.
(٩) أ: محفق.
(١٠) ب: الكونين.
(١١) ب: كون مكون.
(١٢) أ: مطلعها.
(١٣) جـ: خده.
(١٤) وفقا لنظرية [الإنسان الكامل] فإن حقيقة صاحب هذا المقام تجمع بين الحقائق العلوية والحقائق السفلية، فهو البرزخ الجامع للبحرين.. وهو المقابل بحد كماله، سائر حقائق الوجود [راجع التناول التفصيلى لهذه النظرية فى كتابنا: الفكر الصوفى.. ٦٥ وما بعدها].

www.alkottob.com

فَيَأْخُذُ مِنْ هَذَا لِهَذَا[1] بِحَقِّهِ[2]
عَلَى نَسْبَةٍ مَحْفُوظَةِ الأُمِّ وَالأَبِ[3]
١٠ سعَلَى يَدِّ مَعْنَاهُ يَمُرُّ وُجُوبُهُ
لإِمْكَانِهِ[4] مَرَّ[5] السَّحَابِ المُصَوِّبِ
فَيَقْبَلُ مِنْهُ[6] قَابِلٌ[7] حُكْمُ فَاعِلٍ
بِمَضْمُونِ مِيرَاثِ الكَمَالِ المُهَذَّبِ
وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا التَّوَسُّطِ[8] مُثْبِتًا
عَلَى النَّاسِ حَقًّا أَوْ تَمَيُّزَ مَنْصِبِ

---

(١) ب: بهذا.

(٢) ب: لحقه.

(٣) النسبة المشار إليها هنا، هى نسبة الخلق والاختراع فى عالم المخلوقات، وهى محفوظة الأم والأب، باعتبار أن وقوع فعل الإيجاد يكون وفقا لما هو مسطور أزلا فى «اللوح المحفوظ» بفعل «القلم الأعلى». . وبخصوص الدلالة الصوفية لكلمتى «اللوح والقلم» يمكن الرجوع إلى: اصطلاح الصوفية لابن عربى ص ١٤/ اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٧٣/ الإنسان الكامل للجيلى ٢/ ٥ وما بعدها/ ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص ٢٧٧/ المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ص ٣١٤.

(٤) للوجوب والإمكان مباحث مطولة فى الفكر الإسلامى الفلسفى والصوفى: والإشارة هنا إلى ما يعرف بقاعدة انتقال الأشياء من وجودها العلمى الكامن فى اللوح المحفوظ، إلى وجودها العينى الحادث. . وهناك فى الأكوان! فالأول وجود واجب، والآخر وجود ممكن. الأول وجود قديم، والآخر وجود حادث. . وهناك دلالة أخرى لما يشير إليه التلمسانى، وهى أن الحقيقة الأزلية للنبى (الواجب) تتجلى على وجوده الجسمى الزمانى (الممكن) تجليا متواترا، يشبهه التلمسانى بمر السحاب.

(٥) ج: من.

(٦) ج: عنه قاتل.

(٧) القابل: المخلوقات!

(٨) التوسط: الحقيقة المحمدية التى هى واسطة وجودية بين الخلق والخالق.

www.alkottob.com

وَلَكِنْ يَرَى[1] أَنْ[2] لَيْسَ حَوْلٌ وَقُوَّةٌ
بِغَيْرِ الجَوَادِ[3] المُطْلَقِ الجُودِ فَاعْجَبِ[4]
وَمَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ نُكْتَةَ قَلْبِهِ
أُزِيلَ بِهَا دَاعِي الهَوَى وَالتَّحَوُّبِ[5]
١٥ فَهَذَا لَهُ مَعْنَى[6] المَقَامِ مُغَيَّبٌ
وَلَمْ يَكُ عَنْهَا أَهْلُهُ بِمُغَيَّبِ
إذَا صُفَّتِ الأَقْدَامُ مِنَّا وَأَمَّنَا
صَلاَةَ[7] شُهُودٍ لاَ صَلاَةَ تَحَجُّبِ[8]
مَضَى لَمْ يُعَقِّبْ دَانِيًا مِنْ شُهُودِهِ[9]
بِنَا وَمَضَيْنَا خَلْفَهُ لَمْ نُعَقِّبِ
أُولَئِكَ وُرَّاثُ النَّبِيِّ شَهَادَةً
وَغَيْبًا وَلَيْسَ البَرُّ مِثْلَ المُقَرَّبِ[10]

---

(١) أ: ولد ير. (٢) ج: إذ.
(٣) فى أ (الكمال).. والجواد هنا: الله تعالى.
(٤) أ: فارغب.
(٥) الحوبة: الذنب.. وفى الحديث الشريف: اللهم ارحم حوبتى!
(٦) أ: دار، + أ: معنى. (٧) أ: صلوة.
(٨) للصوفية نظرتهم الخاصة للعبادات، فهم يرون أن فروض التعبد، لا ينبغى لها أن تقف عند حد الظاهر. فالصلاة عندهم ليست حركات وسكنات وكلمات يعجل بها طرف اللسان، وإنما تنضاف إلى ظواهرها حقائق تجعل منها «صلاة شهود» لا تحتجب بالشكل الظاهر عن حقيقة هذا الفرض.. وقد أسهب ابن عربى فى تناول حقائق الصلاة فى كتابه [الفتوحات المكية] كما توسع الجيلى من بعده فى الكلام عن تلك الحقائق. راجع كتابنا: عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية [الهيئة المصرية العامة للكتاب، أعلام العرب، ص ١٠٣ وما بعدها].
(٩) أ: لشهوده.
(١٠) المقرب؛ هو الولى الكامل. وهى تسمية أخذها الصوفية من الحديث القدسى: ما زال عبدى =

www.alkottob.com

وَتِلْكَ سَبِيلٌ قَدْ دَعَا بِبَصِيرَةٍ
لَهَا وَدَعَوْنَا كُلَّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ[1]

فَذَلِكَ دَاعِى اللَّهِ بِالْمَنْهَجِ الَّذِى
بِهِ صُورَةُ التَّكْمِيلِ فِى كُلِّ مَذْهَبِ
شَرِيعَةُ حَقٍّ حَقُّ كُلِّ شَرِيعَةٍ
مَقَامُ خُصُوصٍ عَنْ عُمُومٍ مُرَتَّبِ
مُشَارًا إِلَيْهِ صُورَةً مِنْ جِهَاتِهَا
جَمِيعًا وَمَعْنًى مِنْ حَقَائِقِ غُيَّبِ

[السريع]

يَاحَبَّذَا[2] الكَاسُ بِكَفِّ الحَبِيبْ
أَذَابَتِ[3] الأَنْوَارَ وَسْطَ اللَّهِيبْ
وَحَبَّذَا الرَّاحُ الَّتِى لَمْ تَزَلْ
تَصْرِفُنِى بِالسُّكْرِ[4] حَتَّى أَغِيبْ

= يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . . » والقرب فى مفهومه الصوفى يقترن دوما بالكشف، ولهذا جعل ابن سبعين عنوان كتابه الأشهر «بدء العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف» ثم مضى فى فصول الكتاب يفصل حقائق هذا المحقق المقرب.

(١) فى أ جاء البيتان على النحو التالى:

وتلك سبيل قد دعا ببصيرة إليها ودعونا كل ناء وأقرب!
وليست عموما بل خصوصا لفتية هم ما هم فى كل شرق ومغرب!

(٢) الأبيات فى أ، ب.

(٣) أ: إذا أثبت.

(٤) أ: فى السكر.

www.alkottob.com

يَا غُصْنَ البَانِ[1] أَدِرْ وَرْدَهُ
والوَرْدُ فِى البَانِ لَعَمْرِى عَجِيبْ
وَنَاوِلِ الأَقْمَارَ شُهْبَ الدُّجَى[2]
يَا شَمْشُ وَالأَمْرُ أَيْضًا غَرِيبْ
٥ أَفْدِيكَ مَا فِى صَبْوَتِى رِيْبَةٌ
وَلَا لِسُلْوَانِى بِقَلْبِى نَصِيبْ
فَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ سِوَى[3] جَفْوَتِى
فِعْلٌ[4] حَبِيبِى كُلُّهُ لِى[5] حَبِيبْ

[المجتث]

١ يَا نَسْمَةً[6] البَانِ هُبِّى
عَلَى رُسُومِ[7] المُحِبِّ
وَمَا عَلَيْكِ إِذَا مَا
وَقَّدْتِ نِيرَانَ قَلْبِى
إِنْ تَكْتُمِى سِرَّ لَيْلَى
فَطِيبُهَا عَنْهَا يُنْبِى

---

(١) أ: يا غصن بان.
(٢) ب: الدجا.
(٣) ب: سوا.
(٤) ب: تجعل.
(٥) أ: له.
(٦) الأبيات من أ.
(٧) الرسوم: جمع (رسم) وهو بقية الأثر، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقا بالأرض [لسان العرب ١/ ١١٦٧].

www.alkottob.com

أَوْ لاَ فَمَا لِشَذَاهَا

يُنْسِى العُقُولَ وَيُصْبِى

٥ أَهْدَتْ إِلَىَّ حَدِيثًا

فَهِمْتُهُ دُونَ صَحْبِى

فَحَلَّ فِى الحَالِ سَلْبِى

دُونَ الجَمِيعِ وَنَهْبِى

يَا طَالِباً حَىَّ لَيْلَى

ذَاتِى حِمَاهَا فَطُفْ بِى

وَنَادِ بَاسْمِى تَجِدْهَا

عَلَى لِسَانِى تُلَبِّى

[الطويل]

١ أَمَالِكَ[١] رِقِّى لاَ تَلُمْ عَاشِقًا صَبَا

فَحُسْنُكَ لِلأَلْبَابِ يَا مُنْيَتِى سَبَا

وَإِنْ يَكُ فَرْطَ عِشْقِى فَطَاعَتِى

هَوَاكَ شَفِيعٌ لِى إِذَا مِتُّ مُذْنِبَا

وَهَبْ أَنَّ ذَاكَ[٢] الحُسْنَ عَنِّى مُحَجَّبٌ

أَلَيْسَ بِرِيَّاهُ سَرَتْ نَسْمَةُ الصَّبَا

فَدَيْتُ[٣] حَبِيبًا رَنَّحَ السُّكْرُ عِطْفَهُ

فَمَاسَ بِغُصْنٍ مَا رَأَتْ مِثْلَهُ الرُّبَا

---

(١) الأبيات فى أ فقط .

(٢) ج : ذاك أن . (٣) أ : قديت .

www.alkottob.com

٥ يُجَرِّدُ مِنْ أَجْفَانِهِ السُّودِ أَبْيَضَاً

أَرَاقَ دِمَا[١] العُشَّاقِ طُرًّا وَمَانَبَا

جَلاَ خَدُّهُ لى كَاسَ رَاحٍ وَإِنَّمَا

بِدُرِّ اللَّمَى[٢] المَعْسُولِ حُسْنًا[٣] تَحَبَّبَا

تَسَتَّرْتُ بِالأَسْقَامِ فِيهِ فَمُذْ بَدَا

ظَهَرْتُ كَمَا فِى الشَّمْسِ قَدْ يظْهَرُ الهَبَا

وَأَكْسَبَنِى حُسْنًا وَلاَ غَرْوَ إِنَّمَا

لِكُلِّ مَلِيحٍ[٤] مِنْهُ مَا قَدْ تَكَسَّبَا[٥]

وَإِنِّى لَذَاكَ[٦] المُغْرَمُ العَاشِقُ الَّذِى

إِلَى غَيْرِ ذَاكَ المُطْلَقِ الحُسْنِ مَاصَبَا

---

(١) أ: دم.

(٢) اللما . . واللمى: سمرة الشفتين واللمياء من الشفاه: اللطيفة القليلة الدم (لسان العرب ٣/ ٤٠١).

(٣) أ: لى قد.

(٤) ج: محب.

(٥) يرى الصوفية أن الكون مجلىً للجمال الإلهى، فكل مظاهر الحسن فى الوجود، إنما هى آثار جمال الذات الإلهية. وإلى هذا المعنى تنوعت إشارات الصوفية فى أشعارهم، فمن ذلك قول ابن الفارض:

فكل مليح حسنه من جمالها ... معار له بل حسن كل مليحة

[ديوان ابن الفارض، التائية الكبرى، بيت ٢٤٢]

وفى نفس المعنى يقول عبد الكريم الجيلى:

تجلى حبيبى فى مرائى جماله ... ففى كل مرئى للحبيب طلائع

فلما تجلى حسنه متنوعا ... تسمى بأسماء فهن مطالع

وأبرز منه فيه آثار وصفه ... فذلكم الآثار من هو صانع

[النادرات العينية، أبيات ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨].

(٦) ج: وها أنا ذاك.

www.alkottob.com

١٠ يُرَنِّحُهُ بِالأَبْرَقِ الفَرْدِ[١] بَارِقٌ
وَيُصْبِيهِ فِي[٢] نُعْمَانَ[٣] مِنْ عَلْوَةٍ[٤] نَبَا
إِذَا رُمْتَ أَنْ تُبْدِي مَصُونَاتِ سِرِّهِ
فَحَدِّثْ بِذَاكَ الحَيِّ عَنْ ذَلِكَ الخِبَا

[الطويل]

١ غَرَامِي[٥] فِيكُمْ مَا أَلَذَّ وَأَطْيَبَا
وَفِي حُبِّكُمْ أَهْلاً بِسُقْمِي وَمَرْحَبَا
غَزَالُكُمُ ذَاكَ المَصُونُ جَمَالُهُ
إِلَى غَيْرِهِ فِي الحُبِّ قَلْبِيَ مَا صَبَا
تَجَلَّى عَلَى كُلِّ العُيُونِ فَعِنْدَمَا
سَبَى حُسْنُهُ كُلَّ القُلُوبِ تَحَجَّبَا[٦]
أَأَحْبَابَنَا هَلْ عَابِدٌ فِي حِمَاكُمُ
أَوِيْقَاتِ وَصْلٍ كُلُّهَا زَمَنُ الصِّبَا

---

(١) فى ج (الأجرع). . والأبرق؛ الجبل الذى تختلط الحجارة فيه بالرمال. يقول ياقوت: وفيه لغات وألفاظ كثيرة (أبرق، أبراق، برقاء، برق، برقة، برقاوات) ومعانى هذه الألفاظ على اختلافها واحد. وإنما تجىء مختلفة لإقامة وزن الشعر. . والأبرق الفرد؛ جبل مشهور جاء ذكره فى الشواهد الشعرية (انظر: معجم البلدان ١/ ٦٥، ٦٩).

(٢) أ: من، ج: عن.

(٣) نعمان؛ هو نعمان الأراك، وادٍ بين مكة والطائف، غزاه النبى صلى الله عليه وسلم. . (معجم البلدان ٥/ ٢٩٣).

(٤) ج: من على.

(٥) الأبيات فى أ: فقط

(٦) يريد التلمسانى هنا أن يقول: إن كلال القلوب بالمحبة، سبى جمال المحبوب حين تجلى للعيون، احتجب الجمال بهذا السبى!

www.alkottob.com

٥ عَلَى حُبِّكُمْ أَنْفَقْتُ حَاصِلَ أَدْمُعِي

وَغَيْرَ وَلَاكُمْ عَبْدُكُمْ مَاتَكَسَّبَا

وَحَاشَاكُمُ أَنْ تُبْعِدُوا عَنْ جَنَابِكُمْ

حَلِيفَ هَوىً بِالرُّوحِ فِيكُمْ تَقَرَّبَا

وَأَنْ تَهْجُرُوا مَنْ وَاصَلَ السُّهْدُ جَفْنَهُ

وَهَذَّبَ فِيكُمْ عِشْقُهُ فَتَهَذَّبَا

وَأَحْسَنْتُمُ تَأْدِيبَهُ بِصُدُودِكُمْ

فَلَا تَهْجُرُوهُ بَعْدَ مَا قَدْ تَأَدَّبَا

وَلِي مُهْجَةٌ دِينُ الصَّبَابَةِ دِينُهَا

فَكَيْفَ تَرَى(١) عَنْكُمْ مَدَى(٢) الدَّهْرِ مَذْهَبَا

١٠ وَلِي فِي ظِلَالِ السِّرْحَتَيْنِ(٣) تَنَزُّلٌ

لَبِسْنَا بِهِ بُرْدًا مِنَ الوَصْلِ مُذْهَبَا

يَرُوقُكَ أَنْ يَرْوِي أَحَادِيثَ وُرْقِهِ

وَتَصْبُو إِلَى الْأَلْحَانِ شَجْوًا فَتَطْرَبَا

وَتَسْتَنْشِقَ الْأَنْفَاسَ مِنْ نَسَمَاتِهِ

فَتَفْهَمَ مَعْنَى الزَّهْرِ مِنْ مَنْطِقِ الصَّبَا

---

(١) فى الأصل : ترا.

(٢) فى الأصل : مدا.

(٣) غير واضحة فى الأصل.

www.alkottob.com

[مجزوء الوافر]

١ تُرَى[١] يَا جِيرَةَ الشِّعْبِ
يُسَرُّ بِوَصْلِكُمْ قَلْبِى
وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا دَارُ
عَلَى الإِكْرَامِ وَالرَّحْبِ
أُهَيْلَ الحَىِّ وَاعَطْشِى[٢]
لِذَاكَ المَنْهَلِ العَذْبِ
وَيَا شَوْقِى[٣] إلى عَيْشٍ
مَضَى فِى ظِلِّهِ الرَّحْبِ
٥ وَأَيَّامٍ بِلاَ عَتْبٍ
تَقَضَّتْ فِى هَوَى[٤] عُتْبِ[٥]
إِذَا ذُكِرَتْ لَيَالِيهِ
تَهِيجُ[٦] لَوَاعِجُ الصَّبِّ
وَيُحْيِى[٧] قَلْبَ عَاشِقِهِ
حَدِيثُ نَسِيمِهِ الرَّطْبِ[٨]

---

(١) أ: تروا، ب: متى، ج: «ترى السحب بسر وصالكم: لذاك المنهل العذب» . . . والبيت الأول مكسور الوزن ولا معنى له!
(٢) أ: يا عطش . . وصدر البيت ساقط من ج .
(٣) = ب، ج .
(٤) مطموسة تماما فى ب .
(٥) عتبى، معشوقة عربية .
(٦) ج: يهيج .
(٧) ب: وتحى .
(٨) مطموسة فى ب، وفى أ:
فغن بذكرها سعد وأثن معاطف الركب

www.alkottob.com

وَمُحْتَجِبٍ تَبَسُّمُهُ[1]

يُمَزِّقُ ظُلْمَةَ الحُجُبِ

يُصَانُ حِمَاهُ بِالإِجْلَالِ

لاَ[2] بِالسُّمْرِ وَالقُضُبِ

مِنَ الأَقْمَارِ مَنْزِلَتَاهُ[3]

فِي طَرْفِي وَفِي قَلْبِي

وَظَبْيٍ[4] نَقَّا وَبِالأَسْرَارِ

يَأْنَسُ لَيْسَ بِالسَّرْبِ[5]

[الرمل]

بَعَثَتْ[6] فِي طَيِّ أَنْفَاسِ الجَنُوبِ

لِينَ عِطْفَيْهَا إِلَى بَانِ الكَثِيبِ

فَغَدَتْ أَكْمَامُ أَزْهَارِ الرُّبَا

طَرَبًا تَفْتُقُ أَزْرَارَ الجُيُوبِ

فَعُمُومُ الكَوْنِ يَهْوَى حُسْنَهَا[7]

وَخُصُوصًا صَاحِبُ القَلْبِ الطَّرُوبِ

---

(١) أ: وميسمة.

(٢) ج: أو.

(٣) ب: منزله، ج: منزلتان

(٤) = ج.

(٥) ب: الشرب!

(٦) الأبيات فى ب، ج.

(٧) راجع ما ذكرناه عن تسبيح المخلوقات، فيما سبق.

www.alkottob.com

وَإِذَا يَا سَعْدُ جَاوَزْتَ النَّقَا

فَاحْبِسْ العِيسَ تَرَى[1] نَهْبَ القُلُوبِ

٥ فَبِذاكَ الحَيِّ كَمْ مَيْتٍ هَوَى

قَدْ بَراهُ السُّقْمُ عَنْ عَيْنِ الطَّبِيبِ

يَا بِرُوحِي أَنَا أَفْدِي شَادِنًا

فَاتِنًا أَمْسَى نَدِيمِي وَحَبِيبِي

[الخفيف]

١ لَوْ[2] سَقَيْنَا الرُّبُوعَ مَاءَ الشَّبَابِ[3]

مَا وَفَيْنَا فَكَيْفَ مَاءُ التَّصَابِي

فَاسْقِنِي مِنْ مَنَازِلِ الحَيِّ وَجْدًا

يَا رُبُوعَ الهَوَى دُمُوعَ السَّحَابِ[4]

يَا ثُغُورَ[5] الأَقَاحِ كُونِي رُضَابًا

إِنَّ[6] أَشْهَى الأَقَاحِ[7] ذَاتُ الرُّضَابِ

وَبِكَأسِ الشَّقِيقِ كُونِي شَرَابًا

أَنْتِ فِي حُمْرَةٍ كَلَوْنِ الشَّرَابِ

---

(١) ج: نرى.

(٢) الأبيات فى ب، ج.

(٣) ب: الشبابى.

(٤) ب: السحابى.

(٥) ج: ياكئوس.

(٦) ج: أنا.

(٧) ج: الأقداح.

www.alkottob.com

٥ أَوْثَقَـــتْنَا بِـالنَّـرْجِسِ الـغَضِّ مِـنْهَـــا[١]

أَعْـــيُنٌ لاَ كَـــأَعْـــيُنِ الأَحْـــبَـــابِ

تِلْكَ فِـيـهَـا مِنْ فَـتْـرَةِ الحُـسْنِ[٢] جَـمْعٌ

فَـــارِقٌ لِـلجُـــسُـــومِ[٣] وَالأَلْبَـــابِ

[الطويل]

١ بَدَا[٤] عَـلَمٌ لِـلحُـبِّ يَمَّـــمْتُ نَـحْـــوَهُ

فَلَمْ أَنْقَلِبْ حَتَّى احْـتَـسَبْتُ بِهِ قَـلْبِى[٥]

بَلَوْتُ الـهَـوَى قَـبْلَ الهَـوَى فَـوَجَـدْتُهُ

إِسَـــارًا بِلاَ فَـكٍّ سَـــقَـــامًـــا بِـلاَ طِبِّ

بِرُوحِى حَـبِـيبٌ لاَ أُصَـــرِّحُ بِاسْـمِـــهِ

وَكُلُّ مُـــحِبٍّ فَـــهْـــوَ يُكْنِى عَنِ الحُبِّ

بَـرَانِى هَـوَاهُ[٦] ظَـاهِـرًا بَـعَـــدَ بَـاطِـنٍ

فَـــجِـــسْـمِى بِلاَ رُوحٍ وَقَلْبِى بِـلاَ لُبِّ

٥ بِحُـــبِّكَ هَـلْ لِى فِى لِـقَـــائِكَ مَـطْمَعٌ

فَـــإِنِّى مِـنْ كَـــرْبٍ عَلَيْكَ إِلَى كَـــرْبِ

---

(١) ج: رمقتنا لنرجس الغصن فيها.

(٢) ج: فيها لكثرة الجمع.

(٣) فى ب «الحسوم». والحسوم التباع؛ فإذا تتابع الشىء فلم ينقطع أوله عن آخره فهو حسوم. وفى قوله تعالى: سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «أى متتابعة (لسان العرب ١/ ٦٣٥) وقد رأينا «الجسوم» أوفق!

(٤) الأبيات فى ج فقط.

(٥) فى الأصل: قلب.

(٦) فى الأصل: هوه.

www.alkottob.com

بِكُلِّ طَرِيقٍ لِى إِلَيْكِ مَنِيَّةٌ

كَأَنِّى مَعَ الأَيَّام بَعْدَكَ فِى حَرْبِ

بَكَيْتُ فَقَالُوا أَنْتَ بالحُبِّ بَائِحٌ

صَمَتُّ فَقَالُوا أَنْتَ خِلْوٌ مِنَ الحُبِّ

بَوَارِقُ لاَحَتْ لِلْوِصَالِ فَثَمَّهَا

فَيَابَعْدَ بُعْدٍ قَدْ دَنَا زَمَنُ القُرْبِ

بَقِيتُ وَهَلْ يَبْقَى صَبٌّ بِهِ لَوْعَةٌ

تُقَلِّبُهُ الأَشْوَاقُ جَنْبًا إِلَى جَنْبِ

١٠ بَلَغْتُ المُنَى مِمَّنْ أُحِبُّ بِحُبِّهِ[1]

وَلاَ بُدَّ لِلمَرْبُوبِ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ

[الكامل]

١ لَمَّا[2] انْتَهَتْ عَيْنِى إِلَى أَحْبَابِهَا

شَاهَدْتُ صِرْفَ الرَّاحِ عَيْنَ حَبَابِهَا

أَأَرَى سِوَى لَيْلَى إِذَا حَكَمَ الجَفَا

مَنْهَا عَلَىَّ بِبُعْدِهَا وَحِجَابِهَا[3]

---

(١) يستند التلمسانى هنا إلى أن محبة الرب لعبده سبب فى محبة العبد لربه، كما ورد فى قوله تعالى: يحبهم ويحبونه (راجع ما سبق).

(٢) الأبيات من أ فقط.

(٣) الحجاب كلمة قرآنية، تعنى فى اللغة: الستر والمنع، وتعنى فى المصطلح الصوفى: انطباع الصور الكونية ـ المانعة لقبول تجلى الحق ـ فى القلب [اصطلاحات الصوفية ص ٥٧] وقد توسع الصوفية فى الإشارة إلى مراتب الحجب، فمن ذلك نجد: حجاب الحسن ـ حجاب الكون ـ حجاب العين ـ حجاب الوهم ـ حجاب النور... إلخ.

www.alkottob.com

وَالكَوْنُ مِنْ عُشَّاقِهَا وَيفُوتُنِى
أَدَبٌ يَرَاهُ الحُبُّ مِنْ آدَابِهَا
لاَ وَالَّذى جَعَلَ الضَّنَا وَالحُزْنَ
جِلْبَابِى بِهَا وَالحُسْنَ مِنْ جِلْبَابِهَا
وَنَعِمْتُ مِنْ أَكْوَانِهَا وَرَأَى السِّوى
غَيْرِى فَأَصْبَحَ قَلْبُهُ يُكْوَى بِهَا
وَلَقَدْ طَرَقْتُ الحَىَّ بَيْنَ خِيَامِه
فَكَأَنَّنِى لِلسُّقْمِ مِنْ أَطْنَابِهَا
وَقَرأتُ هَاتِيكَ البُيُوتَ تَصَفُّحًا
فَكَأَنَّنِى المَسْئُولُ عَنْ إعْرَابِهَا
حَتَّى إذَا جَذَبَ الصَّبَاحُ لِثَامَهُ
وَرَمَتْ مَلِيحَةُ شَمْسِهِ بِنِقَابِهَا
رَأَت الدُّجَيْنَةُ[1] أَنَّنى مِنْ بَعْضِهَا
فَذَهَبْتُ بِالأَنْوَارِ عِنْدَ ذِهَابِهَا
وَشَهِدْتُ لَيْلَى لاَ تَرَاهَا غَيْرُهَا
وَجَمَالُهَا قَدْ شَفَّ مِنْ جِلْبَابِهَا
وَطَلَبْتُهَا فَوَجَدْتُ أَسْبَابَ المُنَى[2]
مَوْصُولَةً بِاليَأسِ مَنْ أَسْبَابِهَا

(١) فى الأصل: الدجنة.
(٢) فى الأصل: المنا.

www.alkottob.com

إلاّ لِـمَنْ أعطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا

وَأَتى بيُوتَ الحَيِّ مِنْ أَبْوَابِهَا

وَوَفَى بِعَهْدِ رَسُولِهَا فى أَمْرِهِ

عَنْهَا فَقَامَ مَقَامَهُ[1] فى بَابِهَا

[البسيط]

١ عَيْنَاكِ[2] إنْ سَلَبَتْ نَوْمِى بِلاَ سَبَبِ

فَالنَّهْبُ يَا أُخْتَ سَعْدٍ شِيَمةُ العَرَبِ

وَقَدْ سَلَبْتِ رُقَادَ النَّاسِ كُلِّهِمِ

لِذَاكَ جَفْنُكِ كَسْلانٌ مِنْ التَّعبِ

هَلْ ذَاكَ لاَمِعُ بَرْقٍ لاَحَ مِنْ إضَمِ

أَمْ ابتَسَمْتِ فَهَذَا بَارِقُ الشَّنَبِ[3]

وَتِلكَ نَارُكِ بِالجَرْعَاءِ سَاطِعَةٌ

أَمْ ذَاكَ خَدُّكِ وَهَّاجٌ مِنَ اللَّهَبِ

٥ لاَ أَنْقَذَ اللَّهُ مِنْ نَارِ الجَوَى أَبَدًا

قَلْبِى الَّذى عَنْ هَوَاكُمْ غَيْرُ مُنْقَلِبِ[4]

---

(١) قوله هنا «قام مقام الرسول» إشارة إلى ما ورد فى الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء . . (أخرجه البخارى فى الصحيح ـ والترمذى وأبو داود وابن ماجة والدارمى فى السنن ـ وابن حنبل فى المسند ـ والغزالى فى الإحياء . . وهو حديث صحيح متفق عليه).

(٢) الأبيات فى أ فقط .

(٣) الشنب، البياض والبريق، خصوصا فى الأسنان (لسان العرب ٢/ ٢٦٦).

(٤) الإشارة هنا إلى كون القلب كثير التقلب، فكما يقال: ماسمى الإنسان إلا لنسيه، وما سمى القلب إلا لأنه يتقلب!

www.alkottob.com

إنْ عَـذَّبْتَـهُ بِنَارٍ مِنَ مَـحَـبَّـتِـهَـا

نُعْمٌ[1] فَـذَاكَ نَعِـيمٌ غَـيْـرُ مُـحْـتَـجَبِ

مَنْ رَامَ ذِكْـرَ سِـوَاهَا يَلْتَـمِسْ أَحَـدًا

غَـيْـرِى فَـذِكْـرُ سِـوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرَبِى

إنْ حَـدَّثَـتْـهُ الأَمَـانِـى أَنَّنِى أَبَـدًا

أَسْلُـو هَوَاهَا فَـقَـدْ أَصْـغَى إِلَى الـكَذِبِ

[الطويل]

١ هَلُمُّـوا[2] فَـعِنْدِى لِـلمَـحَـبَّـةِ وَالهَـوَى

سَـقَـامُ غَـرَامٍ لَسْتُ أُحْـسِنُ طِبَّـهُ

هَبُـوا لِىَ جَـفْنًا يَـمْلِكُ العَـقْـلُ دَمْـعَـهُ

وَإِلاَّ فَـقَلْبًـا يَحْكُمُ الصَّـبْـرُ[3] لُبَّـهُ

هَوَتْ قَـدَمِى فِى الحُبِّ عَنْ غَـيْـرِ خِـبْـرَةٍ

فَـأَلْـفَـيْـتَـهُ حُلْوَ[4] التَّـجَـرُّعِ عَـذْبَهُ

هُوَ الشُّـهْـدُ مَـمْـزُوجًـا بِسُمٍّ وَعَلْـقَمٍ

أُؤَمِّلُ عَـتْـبَـاهُ وَأَحْـذَرُ عَـتْـبَـهُ

---

(١) نعم: مرخم نعمى.. معشوقة عربية.

(٢) الأبيات فى جـ فقط.

(٣) الصبر عند الصوفية مقام رفيع، وهم يستندون إلى ما ورد فى شأنه بالقرآن الكريم، لتحديد مفهومه ودلالته الذوقية [راجع كتابنا: الطريق الصوفى..] وللصبر عند أهل الطريق مراتب ودرجات، أعلاها ما يشير إليه التلمسانى هنا، أعنى: الصبر عن الله.

(٤) فى الأصل: نحو!

www.alkottob.com

٥ هَوَيْتُ حَبِيبًا لَسْتُ أَهْلاً لِحُبِّهِ
وَأَنَّى لِمِثْلِى أَنْ يَكُونَ مُحِبَّهُ
هِلاَلُ فُؤَادِى كُلَّمَا ذُقْتُ غَفْوَةً
وَصُبْحُ عِيَانِى كُلَّمَا أَتَنَبَّهُ[1]
هَمَمْتُ بِإِدْرَاكٍ فَقَصَّرْتُ هَيْبَةً
وَعَجْزِى عَنِ الإِدْرَاكِ أَوْلَى وَأَشْبَهُ
هَفَا بِكَ قَلْبٌ أَنْتَ أَوْرَيْتَ زَنْدَهُ
وَنَالَكَ طَرْفٌ أَنْتَ أَهْمَلْتَ سَحَبَهُ
هَنِيئًا لِهَذِى النَّفْس إِنْ كُنْتَ حَبَّهَا
وَطُوبَى لِهَذَا القَلْبِ إِنْ كُنْتَ حِبَّهُ

* * *

(١) فى الأصل : انتبه!

■ جاء فى جـ :

من كان عين الحجاب على نفسه فلا حاجب ولا محجوب
ومن كانت هباته لا تتعدى فليس بواهب ولا موهوب

www.alkottob.com

قافية التاء

www.alkottob.com

[الطويل]

١ نُفُوسٌ[١] نَفِيسَاتٌ إِلَى القُرْبِ حَنَّتِ
فَلَمَّا سَقَاهَا الحُبُّ بِالكَأسِ جُنَّتِ[٢]

وَكَانَتْ تَمَنَّتْ أَنْ تُمُوتَ صَبَابَةً
فَسَاقَ إِلَيْهَا الوَجْدُ[٣] مَا قَدْ تَمَنَّتِ

وَفِي الحَيِّ هَيْفَاءُ المَعَاطِفِ لَوْ بَدَتْ
عَلَى[٤] البَانِ كَانَ الوُرْقُ فِيهَا تَغَنَّتِ

عَجِبْتُ لَهَا فِي حُسْنِهَا إِذْ تَفَرَّدَتْ
لأَيَّةِ مَعْنًى بَعْدَهَا[٥] قَدْ تَثَنَّتِ

٥ شَكَا سُقْمَهُ[٦] مُضْنَى هَوَاهَا صَبَابَةً
فَقَالَتْ لَهُ أَصْبِرْ فِي الصَّبَابَةِ أَوْ مُتِ[٧]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.
(٢) أ: حنت، ب: جنتى
(٣) أ: الوصل.
(٤) أ: مع.
(٥) ب: معنا فى الهوى.
(٦) ب: بثه.
(٧) ب: ما الصبابة أودت

www.alkottob.com

فَـمـا[1] عَـاشَ إلاَّ مُـغْـرَمٌ مَـاتَ فى الهَـوىَ

بِحُـبِّى وَهَـذا فِى الـمُـحِـبِّينَ سُنَّتِى

سَـتَـأتِيكَ[2] مِنِّى قَـهْـوةٌ[3] إنْ شَـرِبْتَـهَـا

صَـحَـوْتَ وَفِى الهَـوَى كُلُّ سَكْـرَتِى[4]

فَـلاَ تَمْـزِجَنْهَـا فَـهْىَ بِالْـمَـزْجِ حُـرِّمَتْ

وَلَوْ جُلِيَتْ[5] صِـرْفًـا عَـلَيْـهِمْ لَحَـلَّتِ

فَـإنْ هِىَ قَـدْ أَفْنَتْكَ سُكْرًا فَـغِبْ بِهَـا

فَـمَنْ صَـرَّفَـتْـهُ الصِـرْفُ بِالنَّفْى يَثْـبُتِ

وَفِـتْـيَـانِ صِـدْقٍ كَـالنُّجُـومِ سَـرَوْا عَلَى

رَكَـائِبِ عَـزْمٍ مَـالَهَـا مِنْ أَزِمَّـةِ

ذَوِى أَنْفُسٍ لَمْ يَبْـرَحِ العِـزُّ شَـأنَهَـا

رَأَتْ عِـزَّ لَيْـلَى بِالجَـمَـالِ فَـذَلَّتِ[6]

تَوَاصَـوْا عَلَى حِفْظِ الـوَفَـا[7] وَتَرَاضَـعُـوا

كُـئُـوسَ الصَّـفَـا وَاسْـتَـمْسكُوا بِالـمَـوَدَّةِ

فَنَـادَاهُمُ[8] خَـمَّـارُ دَيْرٍ مُـدِيرُهَا

فَلَـمَّـا أَمَـاتَتْـهُمْ مِنْ السُّكْرِ أَحْـيَتِ

---

(١) أ: وما.

(٢) ب: تساميك.

(٣) القهوة: الخمر.

(٤) أ: نشوة.

(٥) أ: تركت.

(٦) ب: فلبتى.

(٧) أ: الهوى.

(٨) ب: فنادمهم

www.alkottob.com

فَعَاشُوا بِهَا فِيْهَا عَلَى حِيْنِ أَسْلَمُوا[1]

إِلَيْهَا صِفَاتٍ قِيلَ[2] مِنْهَا اسْتُعِيرَتْ[3]

١٥ فَمَنْ عَاشَ مِنَّا لَمْ[4] يَنَلْ مِثْلَ نَيْلِهِمْ

وَلَكِنْ مَتَى تَذْكُرْهُمُ النَّفْسُ حَنَّتِ

[الطويل]

١ أَمَا[5] هذِهِ نَجْدُ أُنَيْخَا مَطِيَّتِي

لِيَسْقِي بِهَا دَمْعِي مَنَازِلَ عَلْوَةِ

وَأَسْأَلُ عَنْ قَلْبِي فَثَمَّ فَقَدْتُهُ

عَشِيَّةَ سَارَ الظَّاعِنُونَ[6] بِمُهْجَتِي

مَنَازِلُ إِطْرَابِي وَمَغْنَى تَهَتُّكِي

وَمَرْبَعُ إِينَاسِي وَمَوْطِنُ خَلْوَتِي[7]

---

(١) ب: لها حين أرسلوا.

(٢) ب: قبل.

(٣) الإشارة هنا إلى ما يعرف عند الصوفية بتجلّى الصفات الإلهية، وهى النقطة التى توقف عندها الجيلى طويلا، ليكشف عن جوانب نظرية الإنسان الكامل (انظر، الفكر الصوفى.. ص ٧٧).

(٤) أ: لا.

(٥) الأبيات فى أ، ب.

(٦) الظعن، الهودج، والمرأة ما دامت فى الهودج.. والظاعنون: القافلة.

(٧) الخلوة، واحدة من أهم الرياضات الروحية فى الطريق الصوفى، ففى عبارة صوفية شهيرة يقول سهل التسترى: «ما صار الأبدال أبدالا إلا بأربعة خصال، الجوع والسهر والصمت والخلوة..» فكانت هذه الخصال، هى أصول مجاهدة الصوفية لرعونات النفس الإنسانية وسبل الترقى من الخلق إلى الحق.

وتكون خلوة الصوفى باعتزاله الناس فى مكان خاص، ومداومته الفرائض والنوافل والذكر والتلاوة، حتى تتفجر فى قلبه ينابيع الكشف (راجع فى ذلك: قوت القلوب ١/ ٩٧ ـ إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٣ ـ عوارف المعارف ٩٤ ـ ألفاظ الصوفية ومعانيها ١٥١) ويضع القاشانى للخلوة تعريفا =

www.alkottob.com

وَمَغْنىً[1] بِهِ كَانَ الحَبِيبُ مُنَادِمِي
وَمِنْ قُرْبِهِ رُوحِي وَرَاحِي وَرَاحَتِي
سَقَى اللهُ عَهْدًا فِيهِ عَهْدٌ[2] فَعِنْدَهُ
رَمَيْتُ إِلَى مَوْلَى الخَلاَعَةِ خِلْعَتِي
وَفِيهِ سَقَانِي مَنْ أُحِبُّ مُدَامَةً
فَمِنْهَا إِلَى يَوْمِ التَّوَاصُلِ نشْوَتِي
وَعَاهَدَنِي[3] فِيهِ بِهِجْرَانِ هَجْرِهِ
وَرَاحَ كَفِيلاً لِي بِسُلْوَانِ سَلْوَتِي
فَرُحْتُ[4] بِهِ بل رَاحَ بِي وَتَرَدَّدَتْ
بِهِ حَالَتِي مَا بَيْنَ مَاحٍ وَمُثْبِتِ[5]

= جامعا فيقول: هي محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره، وهذه حقيقة الخلوة ومعناها، وأما صورتها، فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله تعالى والانقطاع عن الغير (اصطلاحات الصوفية ص ١٦١).

ويرى الصوفية أن الخلوة كرياضة روحية، هي اقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين كان يعتكف بغار حراء.. إلا أنهم يحذرون من جهة أخرى، من تلك المخاطر التي قد تعترض صاحب الخلوة، والأخطاء التي يمكن أن يقع فيها (انظر: اللمع ٥٢٩ ـ الإحياء ٢/ ٣٣٦ ـ الفتح الرباني ١٥٠).

(١) مغنى.. الغنة: الصوت الذي فيه ترخيم. وروضة غناء: تمر فيها الريح غير صافية الصوت من كثافة عشبها والتفافه؛ فهي مغنى، والجمع مغان (لسان العرب ٢/ ١٠٢٣).

(٢) أ: كان فيه.

(٣) = ب.

(٤) أ: ورحت.

(٥) المحو والإثبات، لفظتان متقابلتا الدلالة في المصطلح الصوفي، فالأولى تشير إلى فناء ما سوى الله من قلب المكاشف.. والثانية تعني رجوعه إلى الصحو وإثبات الموجودات الحسية، لكنه يكون آنذلك مجازيا.. راجع المزيد من هذه النقطة في الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا: عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص ١٤١.

www.alkottob.com

فَـهَـا أنَا مَـيَّـاسُ الـمَـعَـاطِـف رَافِلٌ

بِبُـرْدِى وَمَنْ أَهْوَى مُـدَامِى وَحَـضْـرَتِى

أُعِيرُ الـشَّمُولَ[1] الصِّرْفَ سُكْرَ شَمَائلى

وَأُهْدِى إلَى بَانِ الحِـمَى حُـسْنَ خَطْرتِى

يَمِـيـنًا كَـذَا يَاعَـاذِلِى عَنْ مَـلاَمَـتِى

وَإنْ شِـئْتَ خُـذْ بِالعَـذْلِ عَنِّى بِيُـسْـرَةِ[2]

فَلَيْسَ أَخُـوكَ اليَـوْمَ مَنْ قَـدْ عَـهِـدْتَهُ

وَلاَ ذا الهَـوَى[3] ذَاكَ الهَـوَى فَـتَـشَـبَّتِ

[الخفيف]

لَكَ[4] طُرُقِى حِـمَـىً وَقَلْبِى بَيْتُ

فِـيـهِـمَـا عَـهْـدَكَ القَـدِيم خَـبَـيْتُ

وَمِنَ السُّكْرِ مَـا صَـحَـوْتُ وَكَـلاَّ

كَـيْفَ أَصْـحُـو وَمِنْ لَـمَـاكَ انْتَـشَـيْتُ

بَسَطَ العَـاذِلُونَ فِـيـكَ مَـلاَمِى

وَبِسَـاطَ القَـبُـولِ عَـنْهُـمْ طَوَيْتُ

كَـيْفَ[5] يَنْوِى السُّلُوَّ عَنْكَ الـمُـعَنَّى

يَـا مُنَى القَلْبِ وَهْوَ فِى الحَىِّ مَـيْتُ

---

(١) الشمول، الخمر التى عرضت لريح الشمال حتى تبرد (لسان العرب ٢/ ٣٦٢).

(٢) ب: مسرتى.

(٣) ب: الهوا.

(٤) الأبيات فى أ، ب. (٥) = ب.

www.alkottob.com

٥ وَضَـــلاَلٌ عَنْ مِـــثْلِ حُـــسْنِكَ صَـــبْـــرِى
وَلِقَـلْبِى[١] الـهنَـا فَـــإِنِّـى أهْـتَـــدَيْتُ
بِكَ يَـا كَـعْـبَـــةَ الهَـــوَى طَافَ قَلْبِى
وَبَدَا بَـارِقُ الصَّـــفَـــا فَـــسَـــعْـــيتُ

[السريع]

١ لاَ تُـنْـكِـرِ[٢] الـبَـــــاطِـنَ[٣] فِـى طَـوْرِه
فَـــــإِنَّـهُ بَـعْضُ ظُـهُـــــورَاتِـه[٤]
وَأَعْـطِـهِ مِـنْـكَ بِـمِـــــقْـــــدَارِه
حَـــــتَّـى تُـوَفِّـى حَـقَّ إِثْـبَـــــاتِـه
وَأَظْهِـــرهُ فِى ذَاتِكِ مُـــسْـتَـكْـمِـــلاً
خَـــشْـيَـــةَ أَنْ تَظْـهَـــرَ فِـى ذَاتِه[٥]

[الطويل]

١ تَمَنَّيْتُ مِنْ وَصْلِ الحَـبِـيبِ اخْـتِـلاَسَـةً
وَمَـــا كُلُّ نَـفْسٍ أَدْرَكَـتْ مَـــا تَمَـنَّـتِ

---

(١) أ: فلقلبى. (٢) الأبيات فى أ فقط.
(٣) فى الأصل «الباطل» وهى بذلك تخرج الأبيات عن مفهومها، وتخالف المقابلة الواردة فى عجز البيت بين: الباطن والظاهر.
(٤) الباطن (الكمون) والظاهر (الظهور) مقابلة صوفية شهيرة، يعبرون عنها أحيانا بألفاظ أخرى منها: القشر واللب، الشريعة والحقيقة. ولهذا التقابل الذوقى مبحث طويل فى التصرف، يمكن الرجوع بصدده إلى كتاب (الشريعة والحقيقة) وكتاب (الحكومة الباطنية) وكلاهما للدكتور حسن الشرقاوى.
ويريد التلمسانى هنا أن يقول: إذا لم يتحقق الصوفى بالباطن ويجعل له محلا فى نفسه، فإنه يبطن فى الطريق.. أى لا يظهر، ولا يكون له فيه شأن!
(٥) الأبيات من ج فقط.

www.alkottob.com

تَحَلَّيْتُ بِالتِّذْكَارِ[1] وَهْوَ دَلاَلَةٌ
عَلَى زَفْرَةٍ فِى أَضْلُعِى مُسْتَكِنَّةِ
تَعَجَّبَ[2] نَاسٌ لاِنْقِيَادِى مَعَ الهَوَى
كَذَاكَ عِنَاقُ[3] الخَيْلِ طَوْعُ الأَعِنَّةِ
تَبَدَّى لِى[4] الحِبُّ الذى أنا عَبْدُهُ
فَحَنَّتْ[5] لَهُ رُوحِى بِمَا قَدْ أَجَنَّتِ
تَجَلَّى لِعَقْلِى دونَ حِسِّى فَأَدْعَنَتْ
شَوَاهِدُ أَسْرَارِى لَهُ وَاطْمَأَنَّتِ
تَطَاوَلَ لَيْلِى بَعْدَهُ فَكَأَنَّمَا
يُقَلِّبُ قَلْبِى مِنْهُ فَوْقَ الأَسِنَّةِ
تَعَلَّلْتُ فِيهِ بِالتَّمَنِّى لِقُرْبِهِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنِّى غَيْرُ تَرْدِيدِ أَنَّةِ[6]
تَغَيَّرَتِ الأَشْيَاءُ عِنْدِى لِفَقْدِهِ
فَضَوْءُ صَبَاحِى فِى ظَلاَمِ دُجُنَّةِ

---

(١) التذكار: النفخة الإلهية فى آدم عليه السلام. . كما فى قوله تعالى: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى».

(٢) فى الأصل: تعجبت.

(٣) فى الأصل: عتاق.

(٤) فى الأصل: تبدا إلى.

(٥) الحنين: شوق الأرواح إلى حضرة التوحيد الشهودى الأزلى.

(٦) فى الأصل: أنت!

www.alkottob.com

تُهِيجُ عَلَيَّ الشَّوْقَ كُلُّ مَرِدَّةٍ
وَيُهْدِي إِلَيَّ الوَجْدَ كُلُّ مَرِنَّةٍ(١)

تَرَفَّقْ(٢) بِقَلْبِي فِي هَوَاكَ فَإِنَّمَا
بِعَادُكَ نَارِي وَاقْتِرَابُكَ جَنَّتِي

* * *

(١) المرنة هنا من الرنو، وهو إدامة النظر مع سكون الطرف [لسان العرب ١/ ١٢٣٦] وقوله «مرنة» غير مستساغ فى اللغة، إنما جاء هنا موازيا لقوله «مردة» وهو ما يعرف فى اللغة باسم: التفليق.

(٢) فى الأصل: فرفق!

www.alkottob.com

قافيـة الـثـاء

www.alkottob.com

[الطويل]

١ إلى[١] الرَّاحِ هُبّوا حينَ تَدْعُو المَثَالِثُ[٢]

فَمَا الرَّاحُ لِلأَرْوَاحِ إلاَّ بَوَاعِثُ

هِيَ الجَوْهَرُ الصِّرْفُ القَدِيمُ فإنْ بَدا

لَهَا[٣] حَبَبٌ نِيْطَتْ[٤] بِهِ فَهْوَ حَادِثُ

تَمَزَّزْتُهَا صِرْفًا فَلَمَّا تَصَرَّفَتْ

تَحَكَّمَ سُكْرٌ[٥] بِالتَّرَائِبِ[٦] عَابِثُ

وَفَاحَ شَذَا أَنْفَاسِهَا فَتَضَرَّرَتْ

نُفُوسٌ عَلَيْهَا الجَهلُ عَاتٍ[٧] وَعَائِثُ

---

(١) الأبيات فى أ، ب.

(٢) المثالث، جمع (مثلث) وهو الشراب الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه [لسان العرب ١/ ٣٦٦]. . والمثالث أيضا جمع مثلث أى ثالث أوتار العود، وهذا المعنى أرجح لارتباط الخمر بالموسيقى. والمثالث هنا [تدعو] أى تدعو الندامى بصوتها.

(٣) أ: بها.

(٤) ب: زينت.

(٥) ب: سكرا.

(٦) الترائب: عظام الصدر. وهى كلمة قرآنية: «فلينظر الإنسان م خلق، خلق مِنْ ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. .» (الطارق ٥ : ٧).

(٧) أ: عاثَ.

www.alkottob.com

٥ حَلَفْتُ لَهُمْ مَا كَاسُهَا غَيْرُ ذَاتِهَا

فَقَالُوا افْتَدِ[١] فِيهَا فَإِنَّكَ حَانِثُ

وَمَا غَيْرُ أَضْوَاءِ الأَشِعَّةِ أَوْهَمَتْ

فَقَالُوا لَهَا فِي الحُسْنِ ثَانٍ وَثَالِثُ

أَقِمْ[٢] رَيْثَمَا تُفْنِيكَ عَنْهَا بِوَصْفِهَا

وَتَذْهَبُ عَمَّا مِنْكَ فِيهَا يُبَاحِثُ[٣]

فَإِنْ شَاهَدَتْ مِنْكَ العُيُونُ عُيُونَهَا

ظَفِرْتَ وَإِلاَّ فَالعُيُونُ أَخَابِثُ

وَإِنْ لَمْ تُبَدِّلْ آيَةٌ مِنْكَ آيَةً

بِمَا قِيلَ عَنْهَا اذْهَبْ فَإِنَّكَ[٤] مَاكِثُ[٥]

تَنَكَّرَ فِي سَامٍ وَحَامٍ حَدِيثُهَا

وَعَزَّ فَلَمْ يَظْفَرْ بِمَعْنَاهُ يَافِثُ[٦]

---

(١) . . ابتد. (٢) ب: ألم.

(٣) فى أ «تباحث» وإشارة التلمسانى هنا للعقل الجدلى الذى يقيس بظاهر الأشياء.

(٤) ب: فإنك حانت.

(٥) فى هذا البيت، يتحدث التلمسانى عن شرط من شروط الوصول، وهو أن تتبدل من الصوفى الصفات، فيما يعرف عند الصوفية بالتخلى والتحلى. . أى سقوط الوصف المذموم للنفس الإنسانية ـ كالبخل والغضب. . . إلخ ـ والتحلى بالأوصاف الربانية ـ كالكرم والحلم. . إلخ ـ وذلك ما ورد فى الحديث الشريف: «إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، من أتاه بخلق منها دخل الجنة» [أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، وأبو يعلى فى مسنده، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان، والسيوطى فى الجامع الصغير ص ٨٤]. فإن لم تتبدل الآيات الإنسانية بالآيات الربانية، فإن العبد ماكث فى ظلمات نفسه، غير مؤهل للترقى عبر جدار الأنوار.

(٦) سام وحام ويافث، ذرية نوح عليه السلام. وهم هنا رموز لظهور آثار الحق تعالى فى الكون، وقد عجز البعض عن مشاهدة هذا التجلى بعين القلب.

www.alkottob.com

١٠ وَمَـا نَبِـتْ فِى الدَّهْرِ يَوْمًـا وَإِنَّمَـا
هُوَ الدَّهْرُ فِـيْـهَـا إن تَأَمَّلْتَ لاَبِثُ[١]

[الطويل]

١ ثَوَى[٢] لَكَ فِى قَلْبِى غَـرَامٌ مُـبَـرِّحٌ
إرَاقَـتُـهُ فِى حَـبَّـةِ القَلْبِ تَنْفُثُ

ثَبَـاتِى عَلَى هَذَا الـهَـوَى غَـيْـرُ مُـمْكِنٍ
وَمِـثْلِى عَلَى الهَـوَى لَيْسَ يَمْكُثُ

ثَمِلْتُ وَلَـمْ أَمْـدُدْ يَمِـينًا لِقَـهْـوَةٍ
وَلاَ رَاحَ إلاَّ الحُبُّ بِالْقَلْبِ يَعْـبَـثُ

ثَنَيْتُ عِـنَانَ الحُبِّ نَحْـوَكَ وَالرِّضَـا
وَنَـارُ الأَسَـى بَـيْـنَ الـضُّـلُـوعِ تُـؤَرَّثُ

٥ ثَوَابُ الهَـوَى لَوَ أَسْـعَـدَ الحُبُّ وَقْـفَـةٌ
يُـحَـدِّثُـنِى فِى ظِلِّهَـا وَأُحَـدِّثُ

ثَرَائِى وَجَـاهِى فِـيـهِ وَجْـدٌ وَأَدْمُعٌ
فَـقَـلْبِىَ فِى الحَـالَيْنِ ضَـاحٍ وَمُـدْمِثُ[٣]

---

(١) يقول هنا: إن الدهر لابث فى الذات، والعكس غير صحيح. فالذات الإلهية خارج نطاق الزمن والدهور، فلا يعرف الزمن ولا الدهر إلا بها.. وهذا ـ كما يقول التلمسانى ـ ما يظهر للمتأمل.

(٢) الأبيات من ج فقط.

(٣) الدمث: اللين والسهولة وحسن الخلق. ودمث الشىء: إذا مرسه حتى يلين (لسان العرب [١/١٠٠٩].

www.alkottob.com

ثَقِـــيلُ الأَسَى عِـنْدِى خَـــفِـــيفٌ لأَجْـلِه

فَـــهَـــا أَنَا فِـى وَجْـــدِى بِهِ أَتَشَـــبَّثُ

ثَلَـمْتُ[1] فُـــؤَادِى بِالـنَّوَى فَـــجَـــبَـــرْتُهُ

بِصَـــــبْـــرٍ بِـهِ أَبْرَمْتُ مَـــا أَنْـتَ تَنْكُثُ

ثَكِلْتُ فُـــــؤادِى إِنْ تَأَلَّـــمْتُ لِلأَسَـى

عَـلَى عِـلْمِـى أَنَّ الحَـــوَادِثَ تَحْـــدُثُ

١٠ ثَنَـاؤُكَ رِيْحَـــانِى وَذِكْـــرُكَ رَاحَـــتِى

وَحُـــــبُّكَ سُـلْـوَانِى إِلـى يَـوْمِ أُبْـعَـثُ

* * *

(١) الثلم: الكسر.

www.alkottob.com

قافية الجيم

www.alkottob.com

[المتقارب]

١ أَيَا[١] طَلْعَةَ[٢] القَمَرِ المُبْهِجِ
وَيَا فِتْنَةَ المُسْتَهَامِ الشَّجِي
بِمَا بَيْنَنَا مِنْ عُهُودِ الهَوَى
إِذَا جُزْتِ جَيْرُوتَ[٣] بِي عَرِّجِ
بَنَفْسَجُ صُدْغَيْكَ قَدْ[٤] لاَحَ لِي
فَبَشَّرَنِي بِالَّذِي أَرْتَجِي
فَإِنَّ البَنَفْسَجَ تَفْسِيرُهُ[٥]
كَمَا قَدْ عَلِمْتُ بِنَفْسِي أَجِي[٦]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.
(٢) ب: يا طلعة.
(٣) فى أ «جيرون» وفى ب «جيروت». . يقول ياقوت:
جيروت: من بلاد مهرة، فى أقصى أرض قضاعة. . لها ذكر فى حديث الردة.
جيرون: عند باب دمشق، يقال إن سليمان عليه السلام هو الذى بناه، ويقال بل بناه شيطان اسمه جيرون فسمى به! وقال قوم إنه منسوب إلى جيرون بن سعد. . [راجع المزيد فى: معجم البلدان ٢/ ١٩٩].
(٤) ب: من.
(٥) أ: بصحيفة.
(٦) الأج: الإسراع. . يقال أجَّ فى سيره، إذا أسرع وهرول [لسان العرب ١/ ٢٣]. وأجى بمعنى أجىء وحذفت الهمزة لضرورة الوزن الشعرى.

www.alkottob.com

٥ فَكَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ أَطْوِى يَدِى
عَلَى كَبِدِى مِنْ جَوَىً مُنْضِجِ[١]
فَلاَ تَمْزِجَنْ[٢] بِدَمِى عَبْرَتِى
وَرِيقُكَ لِى بِالكُئُوسِ[٣] امْزِجِ

[البسيط]

١ انظُرْ[٤] إِلَى حُسْنِ هَذَا الطَّائِرِ الهَزِجِ
وَحُسْنِ بَهْجَةِ زَهْرِ الرَّوْضَةِ البَهِجِ
هَاتِيكَ تُجْلَى وَهَذَا مُطْرِبٌ غَرِدٌ
مِنْ فَوْقِ مِنْبَرِ عُودِ المَنْدَلِ[٥] الأَرِجِ[٦]
فَعَاطِنِى يَا رَشِيقَ القَدِّ مَا اعْتَصَرَتْ
يَدُ المَلاَحَةِ لِى مِنْ طَرْفِكَ الغَنِجِ
فَمَا المُدَامَةُ فى سَلْبِ العُقُولِ بِهَا
مَا السُّكْرُ[٧] أَسْلَبُ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلمُهَجِ
٥ صِرْفًا فَإِنْ رُمْتَ مَزْجًا يَامُنى أَمَلِى
دَعْهَا بِرِقَّةِ وَجْدِى فِيكَ تَمْتَزِجِ

---

(١) ب: من هوا منضج.
(٢) ب: تمزجا.
(٣) بالكوس.
(٤) الأبيات فى ب فقط.
(٥) المندل؛ العود الرطب.. وهو المندلى [لسان العرب ٣/ ٥٣٤].
(٦) الأرج: نفحة الريح الطيبة.. وهو الأريج [لسان العرب ١/ ٤٤].
(٧) فى الأصل: فالسكر.

www.alkottob.com

كَمْ بِتُّ فِى لَيْلَةٍ أَرْيَاجُهَا[1] غَلَبَتْ
عَلَى التَّشَعُّثِ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِى السُّرُجِ

صَرَخْتُ فِيهَا بِاسْمِكَ كَىْ أُصَبِّرَهَا
مِنْ لُؤْلُؤٍ[2] بَعْدَ مَا كَانَتْ مِنَ السَّبَجِ[3]

وَكَمْ فَتَحْتُ لِضَيْفِ الطَّيْفِ مِنْ سَرَفِى
بَابَ المَنَايَا فَأَنْبَا عَمَّا[4] لَمْ يَلِجِ

وَكَمْ سَأَلْتُ حُدَاةَ العِيسِ أَنْ يَقِفُوا
فِى رَسْمِ[5] مَنْزِلِهِ أَوْسَفْحِ مُنْعَرَجِ

١٠ وَكَمْ بَذَلْتُ جَمِيعِى غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
وَصُنْتُ سِرَّكَ فِى قَلْبٍ عَلَيْكَ شَجِى

وَشِمْتُ بَرْقًا عَلَى الجَرْعَاءِ أَخْفَقَ مِنْ
قَلْبِى عَلَيْكَ وَجَفْنٍ فِيكَ مُخْتَلِجِ

حَتَّى سَمِعْتُ لَكَ البُشْرَى لَتَهْنَأَ[6] قَدْ
ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَى مَافِيكَ مِنْ عِوَجِ

وَصَارَ ثَبْتُكَ فِى مَجْرَى تَحَنُّنِ فِى
إِيجَابِ سِرِّى مِنْ نَفْسٍ[7] عَلَى نَهَجِ

---

(١) غير واضحة فى الأصل. وفى اللغة، أرج النار: أوقدها.

(٢) فى الأصل: لولوزة.

(٣) السبج؛ خرز أسود.. وهى لفظة دخيلة معربة [لسان ٢/ ٨١] يقول التيفاشى: السبج من الأحجار الرصاصية، يؤتى به من الهند وفارس، وأجوده الهندى.. وهو حجر أسود شديد السواد ليس فيه شقوق، يرى فيه الوجه كالمرآة (أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ص ١٨٦].

(٤) فى الأصل: عنه لم.

(٥) الرسم؛ الأثر.

(٦) فى الأصل: ليهنك

(٧) + ب: بر.

www.alkottob.com

فَلَمْ أَقُلْ لِلصَّبَا مِنْ بَعْدِهَا احْتَمِلِي

لِلَمِّ شَعْثِي وَلاَ نَحْوَ الخِيَامِ عُجِي

[الطويل]

١ جَحَدْتُ[١] الهَوَى حَتَّى تَبَدَّتْ شُهُودُهُ

فَصَرَّحْتُ بِالْكِتْمَانِ وَالحَقُّ أَبْلَجُ

جُفُونِي مِنْ ذَاكَ الحِجَابِ قَرِيحَةٌ

فَلاَ دَمْعَ إِلاَّ وَهْوَ بِالدَّمِّ يَخْرُجُ

جَعَلْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ تَأَلُّمَا

فَلَمْ أَرَ إِلاَّ جَمْرَةً تَتَأَجَّجُ

جُبِلْتُ عَلَى حُبٍّ لِمَنْ أَنا عَبْدُهُ

فَلَحْظِي إِطْرَاقٌ وَلَفْظِي تَلَجْلُجُ

٥ جَزَانِي هَوَاهُ[٢] لَوْعَةً وَصَبَابَةً

وَإِنِّي إِلَى غَيْرِ الجَزَاءَيْنِ أَحْوَجُ

جَمَعْتُ لَهُ[٣] الضِّدَّيْنِ جَمْعَ ضَرُورَةٍ

فَجَفْنِي مَمْطُورٌ وَقَلْبِي مُنْضَجُ

جَرَيْتُ مَعَ الأَشْوَاقِ مِلءَ عِنَانِهَا

وَقُرْبُكَ مَطْلُوبٌ وَحُبُّكَ مُنْهِجُ[٤]

---

(١) الأبيات فى جـ فقط.

(٢) غير واضحة فى الأصل.

(٣) فى الأصل: بك.

(٤) فى الأصل: مهج!

www.alkottob.com

جِنَانُ التَّجَلِّى لِلجَنَانِ مُعَدَّةٌ
وَلاَ جَاهَ أَرْقَى فِى رِضَاهُ وَأَعْرُجُ
جَمِيعُ المُنَى فى لَمْحَةٍ لَوْ جَنَيْتُهَا
فَمَرْآكَ أَبْهَى فِى العُقُولِ وَأَبْهَجُ
٥ جَمَالُكَ لى عَيْشٌ وَصَدُّكَ لى رَدَىً
فَأَنْتَ الَّذِى تُبْلِى وَأَنْتَ تُفَرِّجُ

* * *

www.alkottob.com

قافية الحاء

www.alkottob.com

[الوافر]

١ لَـمِنَ خِـيَـمٍ تَـلُـوحُ بِذى طَـلُـوحِ[١]
تَضَـوَّعَ نَـشْـرُهُ[٢] قَـيْـصُـومِ[٣] وَشِـيحِ[٤]
دِيَارٌ[٥] بِـالعَـواصِـمِ ذَاتُ سَـفْـجٍ
لِـسَلْـمَـى دَائِمِ الـدَّمْـعِ السَّـفُـوحِ
تَـبَـسَّمَ ثَـغْـرُهَـا وَالـلَّيْـلُ دَاجٍ[٦]
فَنَبَّـهَتِ الـنَّدَامَـى[٧] لِلـصَّـبُـوحِ
وَكَـيْفَ[٨] بَـقَـاءُ لَيْـلٍ مَعْ نَـهَـارٍ
وَلَاسِـيـمَـا لِـذِى النَّظَرِ الـصَّـحِـيحِ[٩]

---

(١) الطلح، شجر له شوك صلب. وهو فى القرآن: الموز، وقيل غير ذلك. وهو موضع بين المدينة وبدر. . والمراد هنا، موضع بين مكة واليمامة يقال له: طلح، ذو طلوح (انظر، معجم البلدان ٤/ ٣٨).

(٢) أ: تفوح بنشر، ج: يضوع بنشر.

(٣) القيصوم، كل ما طال من العشب. وهو اسم لنبات من رياحين البر، ورقه هدب، وله نورة صفراء تنهض على ساق طويلة (لسان العرب ٣/ ١٠٦).

(٤) الشيح، نبات سهلى له رائحة طيبة وطعم مر (لسان العرب ٢/ ٣٩١).

(٥) = ب.

(٦) ج: داحى.

(٧) ب: النداما.

(٨) × أ.

(٩) أ: القلب الجريح، ج: البصر الصحيح.

www.alkottob.com

٥ أَيَا[١] لَدْنَ الْقَوَامِ أَعِدْ لِجِسْمِي[٢]
بِكَاسِكَ - يَا فَدَتْكَ النَّفْسُ[٣] - رُوحِي
فَإِنَّ بِهَا حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِي
لِهَذا أُلْقِبَتْ[٤] بِدَمِ الْمَسِيحِ
أَلَسْتَ تَرَى الْحَمَائِمَ قَدْ تَغَنَّتْ
بِلَحْنٍ[٥] مُعْجَمِ الْمَعْنَى فَصِيحِ
تُذَكِّرُكَ الصَّبَابَةَ وَالتَّصَابِي
وَتَنْسَخُ حُكْمَ تَوْبَتِكَ[٦] النَّصُوحِ[٧]

[الطويل]

١ عَسَى[٨] لَيْلُ آمَالِي بِوَجْهِكَ يُصْبِحُ
وَيُسْعِفُنِي[٩] الدَّهْرُ الْبَخِيلُ وَيَسْمَحُ
وَيَسْكُنُ قَلْبٌ[١٠] قَدْ تَمَادَى خُفُوقُهُ
وَيَخْلُصُ طَرْفٌ[١١] رَاحَ لِلدَّمْعِ يَسْفَحُ

---

(١) × أ.
(٢) ب: لروحي.
(٣) ب: الروح.
(٤) ج، ب: ألقيت.. والضمير هنا، عائد على الكأس!
(٥) ب، ح: بصوت.
(٦) ج: نوليك.
(٧) ب: النصوح، الخالص.. والتوبة النصوح الخالصة من معاودة الذنب!
(٨) الأبيات فى أ، ب.
(٩) أ: ويسعفنا.
(١٠) ب: قلبا.
(١١) ب: طرفا.

www.alkottob.com

أُؤَمِّلُ[1] أَنْ يَبْدُو[2] لِعَيْنِى جَمَالُهَا
عَسَى لَحْظُهَا فِى رَوْضَةِ الحُسْنِ يَسْرَحُ
فَلَمَّا بَدَتْ أَطْرَقْتُ فِي الحِينِ هَيْبَةً
وَمَنْ ذَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ بِالعَيْنِ يَلْمحُ
٥ تَعَرَّضْ لآرامِ الصَّرِيمِ[3] لَعَلَّهَا
بِأَلْحَاظِهَا تَرْمِى حَشَاكَ وَتَجْرَحُ[4]
فَمَا عَاشَ إلاَّ مَيِّتٌ فى حِمَاهُمُ
وَمَا مَاتَ[5] إلاَّ مَنْ لأَهْلِيهِ يَصْلُحُ
إذا أَسَرَتْ قَلْبِى عُيُونُ أُهَيْلِه
فَلاَ عِشْتُ إنْ أَمَّلْتُ أَنِّى[6] أُسَرَّحُ
وَأَيْنَ جَمِيلٌ[7] مِنْ غَرامِى وَقَدْ غَدا
لَدَيه جَمِيلُ الصَّبْرِ فِى الحُبِّ يَقْبُحُ[8]

[الطويل]

١ أَلَمْ تَرَ وَجْهَ الحُسْنِ[8] أَوْضَحَ وَاضِحٍ
بَدَا فَهْوَ لِلأَنْوارِ أَفْضَحُ فَاضِحِ

---

(١) ب: أأمل. (٢) ب: يبدى
(٣) الآرام، جمع «رئم» وهو الغزال الخالص البياض. . الصريم، الزرع والإبل (راجع: لسان العرب ١/ ٢٠، ٢/ ٤٣٤) فيكون المراد هنا، الدعوة إلى التعرض للنفحات الإلهية، التى هى حرم العالم النورانى، عسى أن ينال المتعرض شيئا منها.
(٤) فتجرح. (٥) أ: ولا فاز.
(٦) أ: أملتنى أن + أ: أملت أنى.
(٧) يقصد: جميل بثينة، العاشق المشهور.
(٨) راجع ما ذكرناه عن «الصبر عن الله» فيما سبق.
(٩) أ: الصبح.

www.alkottob.com

وَلاَ عَـــائِقٌ مِـنْ دُونِهِ غَـــيْـــرُ ذَاتِه[1]

وَمَـــادُونَهُ مِنْ مَـــانِعٍ غَـــيْـــرُ مَـــانِحِ

إِذَا أَنْتَ أَعْطَـتْكَ[2] العُـــيـــونُ عُـيـونُـهَـا

سَبَـتْكَ[3] مَـرِيْضَـاتُ العُـيُـونِ الصَّـحَـائِحِ

وَإِنْ أَنْتَ أَفْنَتْكَ[4] الـمَـعَـانِـى وَكُنْتَـهَـا[5]

شَـهِـدْتَ الـمَـغَـانِى[6] آهِلاَتِ الجَـوَائِحِ

٥ فَـشَـاهِـدْ كَـثِـيفَ الكَـوْنِ لاَ مُـتَـنَـقـصًـا[7]

تَجِـدْ وَجْـهَ حُـسْنٍ لِلـكَمَـالاَتِ لاَئِحِ

فَـمَـا الدَّوْحُ تَثْنِيـهِ صَـبًـا[8] سَـحَـرِيَّةٌ

بَكَـتْ بِالنَّدَا خَـوْفَ الجَنُوبِ[9] الـمُـنَاوِحِ

وَرَدَّدَ فِـيـهَـا لَحْـنَهُ كُلُّ مُـعْـرِبٍ

مِنْ الـوُرْقِ مِنْ مَـعْـنًى مُـغَنٍّ[10] وَنَائِحِ

---

(١) الإشارة هنا إلى أنوار الذات الإلهية، التى هى حجاب لها، كما ورد فى الحديث الشريف: إن لله سبعين حجابا من نور.

(٢) أ: أعطيت.

(٣) ب: رأيت، ج: سكت.

(٤) أ: واتتك، ج: أتتك.

(٥) ب: وكتبها.

(٦) . . المعانى.

(٧) ب: وشاهدت وجه الكون لا متناقصا، ج: . . لامتنقضا.

(٨) الصبا السحرية، ريح الصبا وقت السحر.

(٩) الجنوب، ريح الجنوب.

(١٠) أ: فى معنى، ب: مغنا مع معنا.

www.alkottob.com

وَأَوْقَدَ فِيهَا وَامِضَ البَرْقِ ضَوْءُهُ[1]

فَلاَقَى الدُّجَى مِنْ زَهْرِهِ بِالمَصَابِحِ[2]

فَيَاحُسْنَ[3] وَجْهٍ مِنْ كَنِيفَاتِ[4] مَرْكَزٍ

هَجَاهَا غَمٍ[5] لَكِنْ بِعَيْنِ المَدَائِحِ

تَطَوَّرَ[6] فِي أَشْكَالِهَا ذَلِكَ الَّذِي

لَهُ القَيْدُ وَالإِطْلاَقُ رُتْبَةُ[7] لاَمِحِ[8]

---

(١) ضوه، ج: صنوه.
(٢) ب، ج: بمصابح.
(٣) أ: بأحسن، ج: يا حسن
(٤) ب: منيعات، غير واضحة فى ج.
(٥) ب: عما، ج: عمى.. والإشارة إلى غير المتحقق بالوحدة الإلهية!
(٦) أ: تصور.
(٧) ج: زينة.
(٨) قوله فى أول البيت «تطور» يعنى اتخذ أطوارا متعددة.. والبيت فى جملته تعبير مركز عن نظرية (الوحدة الإلهية) عند الصوفية، وهى النظرية التى تتضارب فيها أقوال دارسى التصوف فيطلقون عليها تسميات مثل: وحدة الوجود، وحدة الشهود، الوحدة المطلقة... إلخ.

ووفقا لهذه النظرية، فألوهية الحق تعالى جامعة بين الأضداد، بمعنى أن كل مظاهر الوجود، إنما هى محض تجليات إلهية، وظهور لآثار الأسماء والصفات الإلهية.. وبذلك ترجع الأضداد إلى أصل واحد بعينه.

وهناك رتبتان فى الوجود، رتبة القيد! وهى حكم الظاهر على الأشياء من حيث المظاهر المتنوعة، وذلك هو عالم الكثرة الذى يبدو للعين فى حال الصحو. ثم رتبة الإطلاق! وهى حكم الباطن على الموجودات من حيث أصلها الواحد، وذلك هو عالم الوحدة الذى يتجلى لبصيرة الصوفى فى حال المحو.

ولم يكن التلمسانى متفرداً فى قوله بهذه النظرية، فقد سبقه إليها صوفية كبار، كالسهروردى الإشراقى وابن سبعين الأندلسى. كما عنى بالقول المفصل فيها، أكبر صوفية الإسلام أثراً فى العفيف التلمسانى، الشيخ الأكبر: محيى الدين بن عربى.. وفى التصوير الشعرى لهذه الفكرة الصوفية، يقول ابن الفارض (التائية الكبرى، أبيات ٢٤١، ٢٤٢):

وَصَرِّحْ بِإِطْلاَقِ الجَمَالِ ولاَ تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ

فَكُلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مَعَارٌ لَهُ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةِ

وبعد التلمسانى، جاء عبد الكريم الجيلى ليبدع فى تفصيل هذه النظرية، عارضا لها فى سائر مؤلفاته، على نحو لم يزد عليه صوفى آخر جاء بعده، بل كان المتأخرون عليه مجرد نقلة للنظرية (راجع كتابنا: الفكر الصوفى ص ١٥٥ وبعدها).

www.alkottob.com

فَإنْ[1] غَلطَتْ عَيْنُ الجَهُولِ[2] فَشَاهَدَتْ

خِلاَفًا[3] فَفِى عَيْنِ الوِفَاقِ[4] المُنَاصِحِ

وَمَا[5] غَلطَتْ عَيْنُ الجَهُولِ وَإنَّهَا

لَصَادِقَةٌ فِى كُلِّ كِذْبٍ فَسَامِحِ[6]

فَإنَّ الوُجُودَ المَحْضَ لَمْ يَأتِ بِدْعَةً

وَمَا غَيْرُهُ يَأتِى بِبِدْعٍ وَصَالِحِ

هُوَ البَحْرُ لاَ سَطْحٌ وَلاَ سَاحِلٌ لَهُ

فَمِنْ طَائِرٍ فِيهِ وَمَاشٍ وَسَابِحِ[7]

١٥ شَجَتْ[8] مَاءَهُ[9] وَاسْتَوْقَفَتْ مِنْهُ فُلْكَهُ

سَرَائِرُ يُبْدِى صَوْنَهَا كُلُّ بَائِحِ[10]

---

(١) = ج.

(٢) فى المصطلح الصوفى، لا يعنى الجهلُ مفهومَه المشهور! فقد يدخل فى دائرة الجهال عندهم الأدباء، والكتبة، وفقهاء الظاهر.. وذلك أن الجهل الحقيقى عندهم، هو الجهل بالله. فمن لم يكن صاحب ذوق ومشاهدة، فهو فى حكمهم من عوام الجهلة (راجع: إلجام العوام عن علم الكلام، للغزالى ـ على هامش كتاب: الإنسان الكامل ـ ص ١٧، ١٨).

(٣) يقصد: خلافا لما يعطيه مشهد الوحدة.

(٤) ب: الزمان.

(٥) ج: فان.

(٦) ب: من كل ذنب تسامح.

(٧) الإشارة هنا إلى مشهد الكثرة فى الوحدة، وهو المشهد الذى يبدو كبحر لاساحل له.. راجع مفهوم عبارة «بَحْرى بلا ساحل» فى (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٣٦).

(٨) = ب، تنقت، ج: شجى.

(٩): ماؤه.

(١٠) أ: نايح.

www.alkottob.com

عَذَارَى[1] أَبُوهَا[2] كَانَ[3] مَفْعُولَ[4] أُمِّهَا

لِذَا[5] لَمْ يَجِى[6] فِيهَا[7] القِيَاسُ بَوَاضِحِ[8]

أَيَا طَارِحًا تِلْكَ الحَبَائِلَ صَائِدًا

هِىَ الصَّيْدُ فَاطْرَحْ، طَرْحُهَا غَيْرُ[9] طَارِحِ

وَلاَ تَشْكُ[10] هَجْرًا مِنْ حَبِيبٍ مُوَاصِلٍ

تَنَكَّرَ إِذْ سَمَّيْتَهُ[11] بِاسْمِ كَاشِحِ

---

(١) غير واضحة فى ج، ب: وعذرا.

(٢) أ: أبيها.

(٣) ج: أبوهان!

(٤) أ: معقول.

(٥) ج: كذا.

(٦) ب: تجى.

(٧) ب: فيه.

(٨) فى هذا البيت، يقع التلمسانى فى متاهة فلسفية لم ينج منها سوى قلة من الصوفية المعاصرين له، وهذه المتاهة الفلسفية هى «نظرية الفيض» التى انتقلت إلى المحيط الثقافى الإسلامى من مدرسة الإسكندرية، عبر تلك الترجمات التى اجتاحت العالم الإسلامى مع حركة الترجمة من اللغة اليونانية إلى العربية منذ القرن الثالث الهجرى.

ففى الإسكندرية، ظهرت صياغة جديدة للفلسفة اليونانية، عرفت باسم «الأفلاطونية المحدثة» وهى مزيج من أفكار أفلاطون والمتأخرين عليه، من أمثال فيلون اليهودى وأمونيوس ساكاس ـ سقاء أمون ـ وتلميذه الشهير أفلوطين.. وكانت كتابات أفلوطين هى المنبع الرئيسى لمعرفة المسلمين بنظرية الفيض، فقد عرفوا موسوعته الفلسفية (التاسوعات) التى عرضت لكيفية صدور الموجودات عن الواحد «الله» وكيف حدث هذا الفيض عن تأمل الواحد لبهائه، فصدر من تعقل الواحد لذاته «العقل الأول» تعقل ذاته، فصدرت «النفس الكلية» ثم توالت سلسلة الفيوضات إلى العالم الأرضى والتحمت بالمادة، فكان العالم المحسوس. وقول التلمسانى هنا «عذارى» إشارة إلى المعقولات والأفلاك العلوية، التى هى نتاج انفعال العقل الأول «الأب» بالنفس الكلية «الأم» ولو كان التلمسانى قد تجنب الخوض فى تلك المبهمات، لكان خيرا فعل. لكنه تأثير ابن عربى وتلاميذه!

(٩) ب: عند.

(١٠) = ج.

(١١) أ: فتنكر ذا سميته، ب: تذكر إذ سميتها.

www.alkottob.com

وَإِنْ[1] كُنْتَ مَزْكُومًا فَلَيْسَ بِلائِقٍ
مَقَالُكَ[2] إِنَّ المِسْكَ لَيْسَ بِفَائِحِ

[السريع]

جُنْحُ[3] الدُّجَى مِنْ شَعْرِهِ يَجْنَحُ
أَوْ مِنْ ثَنَايَا ثَغْرِهِ يُصْبِحُ
عَجِبْتُ مِنْ بَرْدِ لِمَاهُ وَفِي
قَلْبِي مِنْهُ لَهَبٌ يَلْفَحُ
اشْرَبْ عَلَى نَرْجِسِ أَجْفَانِهِ
خَمْرًا بِهِ أَلْحَاظُهُ تَسْمَحُ[4]
وَلاَ تَقُلْ[5] أَلْوَرْدُ ضَيْفٌ[6] أَمَا
فِي وَجْنَتَيْهِ الوَرْدُ لاَ يَبْرَحُ
٥ يَا صَاحِ هَلْ صَحَّ لَنَا مَا رَوَى
عَنِ الصِّحَاحِ[7] الطَّائِرُ المُفْصِحُ[8]
فَإِنَّ[9] فِي الأُفْقِ أَرَى لُجَّةً
لِلشُّهْبِ فِيهَا لُؤْلُؤٌ يَسْبَحُ

---

(١) ب: فان. (٢) ج: ملالك.
(٣) × ب (وكتب الناسخ فى الهامش: أول القصيدة، جنح الدجى).
(٤) ب: ما عصروا منه وما يسمح، ج: ما عصروا من خمرها واسمحوا.
(٥) أ: ولا تقول، ب: فلا تقول، ج: تقولوا.
(٦) ج: ضيفا. (٧) أ: الصباح.
(٨) انظر ما سنقوله عن «السماع» فى التعليق التالى.
(٩) = ج.

www.alkottob.com

[الكامل]

بَادِرْ[1] إلىَ رَاعِى الصَّبُوحِ صَبَاحًا
وَاجْعَلْ زَمَانَكَ كُلَّهُ أَفْرَاحَا
وَأَجِلِ[2] التَّى تَجْلُو[3] هُمُومَكَ فى الدُّجَى[4]
حَتَّى تَرَى لِظَلَامِهِ إصْبَاحَا[5]
يَا طَالِبَ الرَّاحَاتِ لَيْسَ يَنَالُهَا
إلاَّ الَّذِى فِى الرَّاحِ يَجْلُو الرَّاحَا
أَوْ مُغْرَمٌ أَعطَى الصَّبَابَةَ حَقَّهَا
تَدْعُوهُ صَبْوَتُهُ إلَيْهِ كِفَاحَا
نَشْوَانُ مِنْ طَرَبِ[6] الصِّبَا فَكَأَنَّهُ
غُصْنٌ يَمِيلُ مَعَ الصَّبَا مُرْتَاحَا
أَوْ مَا تَرَى عُجْمَ[7] الحَمَائِمِ لَحْنُهَا
قَدْ رَاحَ يُفْصِحُ[8] فِى الهَوَى إفْصَاحَا[9]

---

(١) أ: الأبيات فى أ، ب.
(٢) ب: واجلى.
(٣) ب: تجلى.
(٤) ب: الهوى.
(٥) أ: لصلاته مصباحا.
(٦) أ: خمر.
(٧) ب: لحن.
(٨) ب: يفضح.. إفضاحا.
(٩) تكررت إشارات التلمسانى إلى ما يعرف عند الصوفية باسم «السماع»، وهو خطاب الحق تعالى لأوليائه على لسان الكائنات. وقد توسع الصوفية فى الكلام عن هذا الخطاب الإلهى الكامن فى أصوات المخلوقات (راجع على سبيل المثال: الإنسان الكامل، النادرات العينية، للجيلى، التائية الكبرى، الخمرية، لابن الفارض).
وهناك مفهوم آخر للسماع، وهو تلك الحلقات التى يجتمع فيها المريدون حول منشد يتغنى بأشعار=

www.alkottob.com

وَالرَّوضُ فِى حُلَلِ[1] الجَدَاوِل مُشْبِهٌ
حُللاً[2] تُجَرِّدُ فَوْقَهُنَّ صِفَاحَا
وَالرُّوحُ بِالأَنْفَاسِ[3] تَقْصِدُ أَنْفُسًا[4]
مَوْتَى فَتَبْعَثُ[5] فَيْهِمُ الأَرْوَاحَا
فَإِذا لَحَاكَ عَلَى[6] البُرُوقِ وَشَمَّهَا
لاَحٍ وَخِلْتَ الكَأسَ بَرْقًا[7] لاَحَا
فَاخْفِضْ[8] جَنَاحَكَ لِلمُدِيرِ وَغُبْ[9] عَنْ
اللَّاحِى تَرَى مِنْ حَالَتَيْكَ نَجَاحَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِى السُّكْرِ إلاَّ فُرْقَةٌ[10]
اللاَّحِى فَوَصْلُكَ قَهْوَةً وَمِلاَحَا

المحبة حتى يثير كوامنَ الشوق فى النفوس، وهى حلقات غالبا ما تستعمل فيها الموسيقى والآلات.. نهى عنها بعض الصوفية «ابن سالم البصرى، أبو طالب المكى، عبد القادر الجيلانى..» وتجاوز عنها أغلب المتصوفة، ولم يروا فيها بأسا (راجع الفصل الخاص بالسماع فى: إحياء علوم الدين، عوارف المعارف)ولعبد الكريم الجيلى رسالة مستقلة فى مناقشة هذه القضية المختلف عليها بعنوان: غنية أرباب السماع وكشف القناع عن وجوه الاستماع.. (مخطوطة بخط المؤلف، دار الكتب المصرية رقم ٣٦٠/ تصوف).

(١) ب: ظلل.
(٢) ب: خيالا.
(٣) الأنفاس؛ المواهب الربانية ولمحات الأنوار العلوية.
(٤) أ: بالأرواح يقصد سائلا.
(٥) أ: فيبعث.
(٦) ب: عن.
(٧) برق. برق.
(٨) أ: فاخضع.
(٩) ب: غيب. (١٠) ب: غيبة.

www.alkottob.com

أَوَلَيْسَ[1] صَحْوُكَ دَأْبُهُ مِنْ شَأْنِهِ
أَنْ يَجْمَعَ العُذَّالَ وَالنُّصَّاحَا

فَاجْعَلْ مَكَانَ الصَّحْوِ[2] سُكْرًا تَجْتَلِي
مِنْ خَمْرِكَ الأَحْدَاقَ والأَقْدَاحَا

أَنَا مَنْ تَجِرْتُ مَعَ الغَرَامِ مُجَرِّبًا
فَوَجَدتُ كُلَّ تِجَارَتِي أَرْبَاحَا

١٥ وَرَأَيْتَنِي غَنَّيْتُ[3] مِنْ طَرَبِ الهَوَى
وَأَخُو التَّسَلِّي[4] بِالتَّشَكِّي[5] بَاحَا

وَرَأَيْتُ لَيْلَى أَسْفَرَتْ فَكَحَلْتُ مِنْ
أَلْحَاظِهَا مُقْلاً مُلِئْنَ جِرَاحَا

وَجَلا ظَلامِيَ نُورُهَا فَكأَنَّمَا
أَهْدَتْ إِلَى ظُلُمَاتِهَا[6] مِصْبَاحَا[7]

فَرَأَيْتُ إِذْ شَاهَدْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا
المَرْضَى مَعَانِي[8] فِي الجَمَالِ صِحَاحَا

---

(١) = أ. (٢) + أ.

(٣) ب: قد غبت.

(٤) ب: التشكى.

(٥) أ: التسلى.

(٦) إشارة إلى الحديث الشريف: إن لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره [انظر تخريجه فيما سبق].

(٧) أ: الإصباحا.

(٨) ب: مرضى المعانى.

www.alkottob.com

وَأَعْـجَـمَتْ أَعْـيُنُكَ السِّـحْـرَ مُـذْ
أَعْـرَبْتَ مِنْـهُنَّ الصِّـفَـاتِ الصِّـحَـاحْ[1]

فَـيَـالَـهَـا سُـودٌ مِـرَاضٌ غَـدَتْ
تَسُلُّ لِلْعُـشَّـاقِ بِيضَ الصَّـبَـاحْ

يا لِـلْهَـوَى مِنْ مُـسْـعِـدٍ مُـغْـرَمٍ
رَأَى حَـمَـامَ الأَيْكِ غَنَّى فَنَاحْ

٥ يَا بَانَةً مَـالَـتْ بِأَعْـطَافِـهِ
قَـدْ عَلَّمَـتْنِى كَـيْفَ هذَا الرِّمَـاحْ

وَأَنْتِ يَا أَسْـهُـمَ أَلْحَـاظِهِ
أَثْـخَـنْتِ وَاللهِ فُـؤَادِى جِـرَاحْ

[الطويل]

١ حَنَنْتُ[2] إِلَى العَـهْـدِ كَـانَ فَـانْـقَـضَى
فَـهَـا أَنَا فِى الظَّلْمَاءِ أَلْـتَـمِسُ الصُّـبْـحَـا

حَـرِيقٌ بِنَارِ القَلْبِ لاَ أُجْـمِـلُ الأَسَى
غَـرِيقٌ بِمَـاءِ الدَّمْعِ لاَ أُحْـسِنُ السَّـبْـحَـا

حُـجِـبْتَ فَـمَـالِى فِى لِـقَـائِكَ حِـيلَةٌ
عَلَى أَنَّنِى أَظْمَـأُ لِحُـبِّكَ[3] لَوْ أَصْـحَـا

---

(١) فى الأصل: صفائح صحاح.
(٢) الأبيات فى ج فقط.
(٣) فى الأصل: بحبك.

www.alkottob.com

حَـشَـاىَ وَأجْـفَـانِى لَهِـيـبٌ وَأدْمُعٌ

فَـآوِنَـةً سَـحَّـا[1] وَآوِنَةً لَـفْـحَـا

حَـلاَ لِى ذِكْـرُ الحُبِّ حتى اخْـتَـبَـرْتُـهُ

فَـأَلْفَـيْتُ أَنَّ الجِـدَّ لاَيُشْـبِـهُ الـمَـزْحَـا

حَـبِـيـبٌ هَجَـرْتُ الخَلْقَ طَـوْعًـا لِحُـبِّـهِ

وَمِنْ أَجْلِهِ أضْـرَبْتُ[2] عَنْ ذِكْـرِهِمْ صَـفْحَا

حَـتَـمْتُ عَـلَى قَلْبى مُـرَاقِبَ بَـابِهِ

عَـسَى مُـغْلِقُ الأَبْوَابِ يُعْـقِـبُـهَـا فَـتْـحَا

حُـسِـدْتُ عَلَى دَمْعٍ عَلَيْكَ أَرَقْـتُـهُ

وَذَاكَ لأَنَّ الحُبَّ بِـالسَّحِّ قَـدْ صَـحَّـا[3]

حَنَانَيْكَ لَيْسَ الصَّـبْـرُ عَنْكَ بِـمُـمْكِنٍ

فَـإِنْ لَـمْ أَنَلْ مِنْكَ الـمَـحَـبَّـةَ فَـالصَّـفْـحَا

حَـرَامٌ عَـلَى العِـيـدَيْنِ طَرْفِي وَمَـسْـمَـعِى

لأَنَّكَ يَـا مَـوْلاَىَ فِطْـرِى وَالأَضْـحَـا

---

(١) فى الأصل : مسحا .

(١) فى الأصل : أطرقت من .

(٣) يقصد؛ سح الدمع صار يستوجب الحسد، لكونه دليل صحة المحبة .

www.alkottob.com

قافية الخـــاء

www.alkottob.com

[الطويل]

١ عَلَى[١] صُدْغِهِ بالمِسْكِ مِنْهُ نَواضِخُ[١]
وَفى خَدِّهِ بِالْمِسْكِ مِنْهُ نَوَاسِخُ[٣]
كَأَنَّ تَثَنِّى قَدِّهِ غُصْنُ بَانَةٍ
عَلَيْهِ شَبِيْهُ الشَّعْرِ أَسْوَدُ صَالِخُ[٤]
أَلاَ فَارْوِيَا عَنِّى أَحَادِيثَ حُبِّهَا
فَمَا شَافَ أَهْلاً قطُّ فِيْهَا الَنواسِخُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ سُكْرًا بِحُبِّهَا
وَشَيْبُ شَدَا الأَوْتَارِ عِندْى شَوَادِخُ[٥]

---

(١) المخطوطة (أ) لم تذكر أية أشعار من قافية الخاء، وانفردت المخطوطة ب بهذه الأبيات، وانفردت المخطوطة ج بالأبيات التالية لها.

(٢) فى الأصل: ناضخ.. والنضخ، شدة فوران الماء فى جيشانه وانفجاره من ينبوعه. وهى كلمة قرآنية «فيهما عينان نضاختان» والعين النضاخة: كثيرة المياه (لسان العرب ٣/ ٦٥٥).

(٣) فى الأصل: ناسخ.. ويبدو البيت كما لو كان تعبيرا عن العطاء والمنع، فما ينضخ بالمسك من صدغ الحبيب، يقابله إمساك خده.. وهو معنى غريب!

(٤) الصلخ، الصمم.. فإذا بالغوا بالأصم قالوا: أصم أصلخ (لسان العرب ٢/ ٤٦٣) وقوله هنا «أسود صالخ» للمبالغة فى اسوداد الشعر.

(٥) الشدخ، والكسر. ويقال خاصة فى الرأس والشىء الأجوف (لسان العرب ٢/ ٢٨٢).

www.alkottob.com

٥ فَلِمْ يُنْتَهَرْ فِيهَا التَّصابى وَالصِّبَا
وَقَدْ أُوْعِدَتْ[1] بِالانْتِهَازِ المَشَايخُ

[الطويل]

١ خَلِيلَيَّ مَا لِلْقَلْبِ يَهْفُو مِنْ الأَسَى
وَمَا لِدُمُوعِ العَيْنِ كَالْعَينِ[2] تَنْضَخُ[3]
خُلِقْتُ كَمَا شَاءَ الهَوَى طَوْعَ حُكْمِه
فَهَا أَنَا أَبْنِى مُنْذُ حينٍ وَأَفْسَخُ
خَلَعْتُ عِذَارِى فِى هَوَاهُ كَأَنَّنى
أَصَمُّ عَنِ العَذَّالِ فِى الحُبِّ أَصْلَخُ
خَضَعْتُ لِمَحْبُوبٍ أَذَلَّ لِعِزِّه
فَيَنْأَى[4] عَلَى ذُلٍّ لَدَيْه وَيَنْسَخُ
٥ خَفِيتُ عَنِ الأَبْصَارِ لَوْلاَ بَقِيَّةٌ
مِنَ القَلْبِ تُبْقِى الحُبَّ فِيهَا فَيَصْرُخُ
خَيَالٌ كَمَا لاَحَ انْحِلاَلُ وَرَاءَهُ
فُؤَادٌ بِمَسْفُوحِ الدِّمَاءِ مُضَمَّخُ
خَلِيٌّ وَلَكِنْ مِنْ سِوَاكَ وَفى الحَشَا
ضِرَامٌ بِأَنْفَاسِ الصَّبَابَةِ تَنْفُخُ

---

(١) فى الأصل: أعدت.
(٢) فى الأصل: كالغير.
(٣) راجع «النضخ» فيما سبق.
(٤) غير واضحة فى الأصل.

www.alkottob.com

خِطَابُكَ رَيْحَانِى وَرُوْحِى وَجَنَّتِى[1]

وَمِنْ دُونِهِ لِلرُّوحِ فِى الحُبِّ بَرْزَخُ[2]

خَبَأتُ الهَوَى وَهْوَ الهَوَانُ حَقِيقَةً

فَدَعْوَتُهُ تُشْجِى وَدَعْوَاهُ تُرْنِخُ[3]

* * *

(١) قوله تعالى: «فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم. . الواقعة: ٨٩».

(٢) البرزخ، الفاصل الحائل بين الشيئين، وهو الوقت الممتد من الموت إلى البعث (لسان العرب ١/ ١٣٩) وللصوفية كلام طويل فى عالم البرزخ الفاصل بين الدنيا والآخرة.

(٣) الرنخ، الإذلال. يقال «رنخ الرجل» إذا أذله (لسان العرب ١/ ١٢٣٥) وقد انتهت هذه الأبيات ببيت كتبه الناسخ كما يلى:

خذوا الوجد من قلبى عيانا فإنما زمان التصابى يوسخ

www.alkottob.com

قافيـة الـدال

www.alkottob.com

[الطويل]

١ مُحَيَّاكَ تَهْوَاهُ الحُمَيَّا[١] أَمَا تَرَى
حَشَا الكَأسِ فِيهِ[٢] جُذْوَةٌ[٣] تَتَوَقَّدُ
وَلَوْلاَ بُكَاهَا مَابَدَا فَوْقَ خَدِّهَا
دُمُوعٌ[٤] حَكَاهَا اللُّؤْلُؤُ المُتَبَدِّدُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِى فِتْنَةَ العِشْقِ قَبْلَهَا
إِلىَ أَنْ رَأَتْ عَيْنِى جَمَالَكَ يُعْبَدُ
إِذَا مَا ارْتَشَفْتَ الرَّاحَ[٥] مِنْ ثَغْرِ كَأسِهَا
أَلَستَ تَرَاهَا نَحْوَ وَجْهِكَ تَسْجُدُ
٥ وَلَوْ لَمْ[٦] يَكُنْ مَعْنَاكَ فى الكَوْنِ مُطْلَقًا
يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْكَ حُسْنٌ مُقَيَّدُ

---

(١) أ، ب: محيا.
(٢) أ: فيها.
(٣) ب: خمرة.
(٤) ب: حباب.
(٥) ب: الخمر، ج: الكأس.
(٦) ج: ولولا.

www.alkottob.com

لَمَا شَهِدَتْ[1] عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْرَةً

وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْفَ يَشْهَدُ[2]

عَجِبْتُ[3] لَكَأْسٍ قَدْ صَحَوْتَ بِشُرْبِهَا

بِهَا أَبَدًا صَحْوى[4] عَلَيَّ يُعَرْبِدُ[5]

أَقَامَتْ عَلَيَّ الحَدَّ أَسْمَاءُ ذَاتُهَا

فَهَلاَّ أُقِيمُ[6] الحَدُّ فِيمَنْ يُحَدِّدُ[7]

رَأَوا عِطْفَ[8] لَيْلَى قَدْ تَثَنَّى فَأَشْرَكُوا

وَقَدْ يَتَثَنَّى[9] وَهْوَ فِي الحُسْنِ[10] مُفْرَدُ

---

(١) ب: شاهدت.

(٢) فى هذا البيت يشترط التلمسانى لصحة الشهادة «لا إله إلا الله» شهود التجلى الإلهى فى الكون، إذ كيف تصح الشهادة بلا شهود.. أما الأبيات الخمسة الأولى، فهى فى جملتها تصوير لجوانب نظرية الوحدة، وما يذهب إليه أهل المشاهدات من القول بالوجود المطلق والوجود المقيد، وقد تعرضنا لذلك فى تعليق سابق.

(٣) = ب.

(٤) أ: سكرى.

(٥) يشير البيت إلى أثر كأس المحبة الإلهية، وهى كأس ـ كما نرى ـ تورث صحوا لا سكرا! فالمحبة الإلهية تفتح أعين العبد على تجليات كمال الله وجماله فى الوجود، فيفيق من سكر الحجاب وكثافة المادة، وينتبه إلى التجليات الإلهية فى الكون.. والصوفية يستخدمون مصطلح (الصحو) فى مقابل (المحو) قاصدين بهما حالين مخصوصين لأهل التجريد، فالمحو هو فناء ذات الصوفى بالكلية، بعد ارتقائه سلم الأحوال والمقامات، أما الصحو فهو البقاء بعد الفناء، وهو ما يعرف فى لغة الصوفية بالبقاء الثانى تمييزا له عن البقاء الأول فى عالم الحجب.

(٦) ج: مقيم.

(٧) يشير التلمسانى هنا إلى وجوب إقامة الحد على من يحدد الوجود الإلهى فى صور الخلق، وذلك كما فعل النصارى حين قالوا إن الله هو المسيح، فكانوا بذلك يقيدون الحق تعالى بصورة.. ووفقا لقول الصوفية على لسان الوحدة، فإن الله هو الإطلاق الذى لا يجوز تحديده وتقييده فى صورة معينة.

(٨) ب: حسن.

(٩) ج: تتثنى. (١٠) أ: حسنها وهو.

www.alkottob.com

١٠ فَإِنْ[١] حَاوَلُوا مِنِّى: الخُجُودُ أَوْ الرَّدَى[٢]
فَهَذَا دَمِى حلٌّ لَهُمْ لَسْتُ أَجْحَدُ

[الوافر]

١ وَحَقِّكَ[٣] مَا الْجُفُونُ السُّودُ رُمْدُ
وَلاَ سَلَّتْ[٤] بِهَا الهِنْدِىَّ هِنْدُ
وَلَكِنَّ الفُتُورَ بِهَا فُتُونٌ[٥]
وَفِى الوَسَنِ الَّذِى تُبْدِيهِ سُهْدُ
لَقَدْ أَطْرَبْتَ سَمْعِى[٦] يَا عَذُولِى
بِذِكْرَاهَا كَأَنَّكَ كُنْتَ تَشْدُو
وَسُقْتَ رِكَابَ أَشْوَاقِى وَدَمْعِى
فَعَذْلٌ[٧] ذَاكَ لِى أَمْ أَنْتَ تَحْدُو
٥ وَأَغْيَدَ[٨] فِى المَنَاطِقِ مِنْهُ[٩] غَوْرٌ
أَهِيمُ بِهِ وَفِى الأَعْطَافِ[١٠] نَجْدُ[١١]

---

(١) ج: وإن.
(٢) أ: الردى.. والإشارة إلى تخييرهم له بين الموت وبين إنكار ما هو من المحبة.
(٣) الأبيات فى أ، ب. (٤) ب: سلب. (٥) ب: فنون.
(٦) ب: سمعك. (٧) ب: بعذلك. (٨) ب: وأهيف.
(٩) أ: عنه.
(١٠) العطف؛ موضع بنجد (معجم البلدان ٤/ ١٢٩).
(١١) جاء فى صدر البيت «غور» وفى آخره «نجد» وهما كلمتان وردتا فى شطر بيت محروم النصف للأعشى يقول فيه «غار لعمرى فى البلاد وأنجدا» فاختلف فى مرادهما، قال الجوهرى: غار يغور غورا أى أتى الغور لانجدا (لسان العرب ٢/ ١٠٢٧).
ونرى أن المراد من قول التلمسانى هو أن محبوبه الأغيد نحيف الخصر ـ حيث يلتف النطاق ـ ففى خصره غور، وفى أعطافه «أكنافه» نجد أى ارتفاع.. فهو أغيد أهيف نحيف الخصر.

www.alkottob.com

شَـــهِـــدْتُ بِـوَجْـــهِـــهِ بَـدْرًا وَأَدْنَى
وَقَـــــائِعِ لَحْظِهِ بَـدْرٌ وَأُحْـــــدُ[1]
وَقَـــالُوا خَـــدُّهُ: مَـــاءٌ وَخَـــمْـــرٌ
وَكُلٌّ مِنْهُـــمَـــا لِأَخِـــيـــهِ ضِـــدُّ
فَـقُلْتُ وَمَـقْـصِـدِي بِالـقَـوْلِ خَـالٌ[2]
هُـنَاكَ: نَـعَـمْ وَفَـــوْقَ الـضِّـــدِّ نَـدُّ[3]
وَأَعَـــجَـبُ مِـنْهُـــمَـــا وَرْدٌ وَآسٌ[4]
وَلَـيْـسَ بِـكَـائِـنٍ فِـى[5] الآسِ[6] وَرْدُ
سَـــقَى[7] عِلْمِى غَـــدَائِرَهُ[8] دُمُـــوعِى
فَـــحُـــسْنُ الطَّـلِّ فَـــوْقَ الآسِ يَعْـــدُو[9]
وَحَـــيَّـــا[10] الأَبْرَقَـــيْنِ وَلَـيْسَ[11] إِلاَّ
ثَنَايَاهُ[12] وَجِـيـــدٌ فِـيـــهِ عِـقْـــدُ

---

(١) بدر وأحد؛ موقعتان مشهورتان.

(٢) الخال؛ العلامة السوداء التى تكون على الوجه أو العضو، وهو فى الاصطلاح الصوفى: إشارة إلى نقطة الوحدة، التى هى مبدأ الكثرة ومنتهاها (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوى ٢/ ٢٣٣).

(٣) الند؛ الشارد.. يريد أن يقول: إن وراء عالم الكثرة المتناقضة، عالم الوحدة الذى يشرد عن الأفهام.
والند أيضًا: نبات طيب الرائحة يدخن به!

(٤) ب: آس وورد.

(٥) ـ ب.

(٦) الآس؛ شجر معروف لا يُزهر.

(٧) ب: شفى.

(٨) أ: عذاريه.

(٩) ب: لعدوا.

(١٠) أ: وصى.

(١١) ... ليس.

(١٢) أ: ثناه.

www.alkottob.com

حَلَتْ أَلْفَاظُهُ لِمْ لاَ وَثَغْرُ
المَلِيحَةِ سُكَّرٌ[1] وَالرِّيقُ شُهْدُ

[الطويل]

١ مَتَى زُرْتُمُ نَجْدًا فَإِنِّى أَرَاكُمُ
تَضُوعُ عَلَيْكُمْ نَفْحَةٌ[2] مِنْ شَذَى[3] نَجْدِ[4]
أَظُنُّ حِمَى لَيْلَى حَلَلْتُمْ[5] بِرَبْعِهِ
فَضَاعَ[6] لَكُمْ مِنْهُ شَذَى مَسْحَبِ البُرْدِ[7]
أَلاَ، يَا بِرُوحِى أَنْتَ، هَلْ[8] لَكَ عَوْدَةٌ[9]
فَتُقْرِى سَلاَمِى جِيرَةَ[10] العَلَمِ الفَرْدِ
عُرَيْبٌ لَهُمْ عِنْدِى رِعَايَةُ عَهْدِهِمْ
وَمَا عِنْدَهُمْ لِى[11]: نَقْضُ عَهْدٍ وَلاَ عَقْدِ
٥ إِذَا زَمْزَمَ الحَادِى بِأَلْحَانِ حُبِّهِمْ
يُسَابِقُهُ[12] رَكْبٌ مِنَ الدَّمْعِ فِى خَدِّى[13]

---

(١) ب: سكرا.
(٢) عبقه.
(٣) شذا.
(٤) تجدى.
(٥) أ: مررتم + أ: حللتم، ج: مررت.
(٦) ب: وضاع.
(٧) ب: نفحة الندى.
(٨) ب: بروحى هل لك الدهر.
(٩) ج: دعوة.
(١٠) أ: ساكنى.
(١١) ب: من.
(١٢) أ: يسابقهم.
(١٣) ب: الخد.

www.alkottob.com

صَبَغْتُ بِمُحْمَرٍ مِنَ الدَّمْعِ بَعْدَهُمْ
مِنَ الرَّمْلِ مُبْيَضًا[1]، لأَرْعَى لَهُمْ عَهْدِى

[الطويل]

١ خُذُوا[2] عَنْ[3] تَنِّى الغُصْنِ أَخْبَارَ قَدِّهِ
وَلاَ سِيَّمَا عَنْ بَانِ نَجْدٍ وَرَنْدِهِ[4]
وَلاَ تَسْأَلُوا عَنْ فَاتِكَاتِ لَحَاظِهِ
وَأَسْيَافِهَا[5] إِلاَّ حُشَاشَةَ[6] عَبْدِهِ
تَعَشَّقْتُهُ[7] عِشْقَ السَّقَامِ لِجَفْنِهِ
وَعِشْقَ الصَّدِى[8] الظَّمْآنِ[9] مَنْهَلَ وِرْدِهِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِى قَبْلَ وَسْنَانِ جَفْنِهِ
بِأَنَّ كَلاَلَ السَّيْفِ أَمْضَى لِحَدِّهِ

---

(١) ب: مبيض.
(٢) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج.
(٣) ب: من.
(٤) الرند والبان؛ من النباتات والأشجار. . والإشارة فى البيت إلى عنعنة الحديث، فالحديث المعنعن: ما يقال فيه فلان عن فلان، من غير بيان للتحديث أو الأخبار أو السماع (تحقيق المختصر من مصطلح الأثر، للشنشورى ص ٢٨).
(٥) فى أ «أسيافه» والضمير هنا عائد على اللحاظ!
(٦) الحشاشة؛ روح القلب ورمق حياة النفس، وكل بقية حشاشة. والحشاشة بقية الروح فى المريض (لسان العرب ١/ ٦٤٤).
(٧) العشق؛ فرط المحبة. . وهو مشتق من «العشقة» وهى قطعة الشجر إذا انفصلت. فيبست وكان ابن الجوزى قد نعى على الصوفية استخدام كلمة «العشق» فى الإشارة إلى محبة الله، واعتبر ذلك جهلا منهم «تلبيس إبليس ص ١٧١» وقد رددنا قول ابن الجوزى فى الفصل الذى عقدناه للمحبة من كتابنا: الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر [دار الجيل، بيروت].
(٨) الصدى؛ الشديد العطش.
(٩) أ: الضمان، ج: لظمان.

www.alkottob.com

٥ وَلاَ لَذَّةً لِلسُّكْرِ مِنْ قَبْلِ عِشْقِهِ
إِلَى أَنْ سَقَانِى نَاظِرِى كَأْسَ خَدِّهِ

وَدَانٍ وَلَكِنْ بَيْنَ نَوْمِى وَنَاظِرِى
مِنْ الْبُعْدِ مَا بَيْنَ الوَفَاءِ وَوَعْدِهِ

وَكَيْفَ تَدَانِيهِ[١] وَبَيْنِى وَبَيْنَهُ
مَسَافَةُ هَجْرٍ وَاصِلَتْ نَقْضَ عَهْدِهِ

وَقَدْ[٢] كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ طَرْفِى يُطِيعُنِى
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الْقَلْبَ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ

فَلاَ طَرْفَ[٣] إِلاَّ تَحْتَ رَايَةِ شَعْرِهِ
وَلاَ قَلْبَ إِلاَّ تَحْتَ مَعْقُودِ بَنْدِهِ[٤]

[الكامل]

١ أَنْتَ الْحَبِيبُ وَإِنْ سَلَبْتَ رُقَادِى
وَأَطَعْتَ فِىَّ[٥] تَعَرُّضَ الْحُسَّادِ

لاَ كَانَ قَلْبٌ ضَلَّ فِيكَ بِوَجْدِهِ
إِنْ[٦] مَالَ عَنْكَ[٧] إِلَى هُدًى وَرَشَادِ

---

(١) ب: أدانيه.
(٢) = ب.
(٣) ب: عين
(٤) البند؛ العلم الكبير. فارسى معرب (لسان ١/ ٢٦٧).
(٥) ج: فيك.
(٦) ب: أو.
(٧) ب، ج: فيك.

www.alkottob.com

مَلَكَتْ خُدُودُكَ أَسْوَدَىَّ[1] فَمَاؤُهَا[2]

مِنْ مُقْلَتِى وَلَهِيبُهَا بِفُؤَادِى

وَارَحْمَتَاهُ لِمُقْلَةٍ بِدُمُوعِهَا

غَرْقَى وَنَاظِرُهَا لِوَجْهِكَ[3] صَادِى[4]

قَسَمًا بِسَالِفِ عِيشَةٍ سَلَفَتْ لَنَا

بِسُلاَفَةٍ أَوْ شَادِنٍ[5] أَوْ شَادِى

وَبِطِيبِ[6] لَيْلاَتِ العَقِيقِ[7] وَمَا جَنَتْ

تِلْكَ الظِّبَاءُ بِهِ[8] عَلَى الآسَادِ[9]

لاَ حِلْتُ عَنْ وَادِى الأُثَيْلِ[10] بَسَلْوَةٍ

تُنْسِى عُهُودَ أُهَيْلِ[11] ذَاكَ الوَادِى[12]

حَىٌّ بِهِ مَاتَ السُّلُوُّ أَمَا تَرَى

لُبْسَ الجُفُونِ عَلَيْهِ ثَوْبَ حِدَادِ[13]

---

(١) الأسود: جبل نصفه نجدى ونصفه حجازى، بحذاء بطن نخل، وهو جبل شامخ لا نبت فيه غير الكلأ. والأسودان: أسود الحمى، وأسود الدم. وكلاهما جبل مشهور [معجم البلدان ١/ ١٩٢].

(٢) ب: مقلتى نماوها. (٣) ب: بوجهك.

(٤) الصادى: العطشان الشديد العطش.

(٥) السلافة؛ الخمر. والشادن؛ ولد الظبية إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه. والشدن؛ شجر له نور شبيه بنور الياسمين إلا أنه أحمر مشرب، وهو أطيب من الياسمين [لسان العرب ٢/ ٢٨٥].

(٦) جـ: ويطيب.

(٧) العقيق؛ مسيل الماء الذى شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه. وهو اسم لأربعة مواضع فى بلاد العرب، يشير التلمسانى هنا بعقيق المدينة منها، وادى بناحية المدينة فيه عيون ونخل [انظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٩].

(٨) جـ: فيه. (٩) ب، جـ: الأسادى. (١٠) وادى الأثيل؛ موضع.

(١١) ب: أثيل. (١٢) أ: النادى. (١٣) أ: سواد + أ: حداد.

www.alkottob.com

وَمُحَجَّبٍ مَا الوَجْدُ[1] فِيهِ مُحَجَّبًا[2]
عَنْ عَاذِلِيَّ وَلَا[3] التَّصَبُّرُ بَادِي
مَهْمَا انْثَنَى فَأَنَا الطَّعِينُ بِقَامَةٍ
هَيْفَاءَ تَهْزَأُ بِالقَنَا المَيَّادِ
وَإِذَا[4] رَنَا فَأَنَا القَتِيلُ بِمُقْلَةٍ
نَجْلَاءَ أَمْضَى مِنْ حُدُودِ حِدَادِ[5]

[الكامل]

عَجَبًا لِمَنْهَلِ خَدِّهِ مِنْ مَوْرِدٍ
وَعُيُونُهُ هِيَ مِنْ عُيُونِ الوُرَّدِ[6]
تَتَزَاحَمُ الأَلْحَاظُ وَهْيَ بِدَمْعِهَا
رِيَّا وَتَصْدُرُ عَنْهُ أَكْثَرُهَا صَدِي[7]
يَا[8] سَاكِنًا حَبَّ القُلُوبِ خَوَافِقًا[9]
إِنَّ السُّكُونَ بِخَافِقٍ لَمْ[10] يُعْهَدِ

---

(١) أ: بالوجد، جـ: ما الحسن.
(٢) جـ محجب.
(٣) أ: والى.
(٤) أ: فإذا.
(٥) جـ: خدود حداد. . ووفقا لما هو بالمتن؛ فالحدود الأولى: جمع حد، والحدود الثانية: السيوف.
(٦) ب: المورد.
(٧) أ، ب: صد. . جـ: وتصدر عنه روى وأكثرها صدى!
(٨) ب: أيا.
(٩) ب: خوافق. (١٠) ب: لا.

www.alkottob.com

مَـــا بَالُ قَـلْبٍ أَنْـتَ فِـيـــهِ وَنَارُهُ[1]

فِي مَـاءِ حُـسْنِكَ دائمًـا لَمْ تُخْـمَـدِ

٥ وَلَقَـدْ سَـلَلْتَ[2] فَـلاَ تَكُنْ مُـتَـمَـسِّـكًا

سَـيْـفًـا مِنَ الأَجْـفَـانِ[3] لَيْسَ بِمُـغْـمَـدِ

وَقَـتَلْتَ[4] سُلْوَانِي وَصَـبْـرِي وَالكَرَى[5]

وَبِمُـقْلَتِي دَمُـهَـا جَـرَى لَمْ تَجْـحَـدِ

إِنْ[6] شَـاهَدَتْ عِطْفَـيْكَ أَغْـصَـانُ النَّقَـا

وَسَـهَتْ فَكَيْفَ لِـسَـهْـوِهَا لَمْ تَـسْـجُـدِ[7]

وَمُـحَـجَّـبٍ أَهْدَى إِلَيَّ خَـيَـالَهُ

فَكْرِي لِـعَـجْـزِ النَّاظِرِ[8] الـمُـتَـسَـهِّـدِ

فَظَـفِـرْتُ[9] بِالـدَّانِي القَـرِيـبِ وَإِنْ نَأَى

وَالنَّـازِحِ النَّـائِي[10] وَإِنْ لَـمْ يَبْـعُـدِ

---

(١) ب: فيه ناره.

(٢) ب: ملكت، جـ: سلكت.

(٣) الأجفاء.

(٤) جـ: فتكت.

(٥) . . الكرا.

(٦) ب: مذ.

(٧) الإشارة إلى وجوب السجود عند السهو فى الصلاة.

(٨) ب: خياله. (٩) جـ: وظفرت.

(١٠) تكررت الإشارة إلى الذات الإلهية مرتين، ففى الأولى: الله هو الدانى القريب، بحكم «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» وفى الثانية: الله هو المفارق بكماله وجماله وجلاله، فهو تعالى «ليس كمثله شىء وهو السميع العليم». . وفى مشهد الوحدة الذى يحكيه الصوفية، يتلاشى القرب والبعد، فلا يبقى ثم غير وجه الله! ومن هنا نراهم يرددون: ما ثمَّ غير.

www.alkottob.com

[المنسرح]

١ بَيْنَ لَمَاهُ وَحُمْرَةِ الخَدِّ
خَالٌ حَكَى نَحْلَةً عَلَى شُهْدِ
عَجِبْتُ مِنْهُ وَالتُّرْكُ تُشْبِهُهُ[١]
كَيْفَ اعْتَزَى لَحْظُهُ إلى الهِنْدِ[٢]
نَابِغَةٌ[٣] صِرْتُ فِي مَحَبَّتِهِ[٤]
مِنْ فَرْطِ[٥] وَجْدِي بِصُدْغِهِ الجَعْدِ[٦]
دُون وِصَالِي لِلَثْمِ وَجْنَتِهِ[٧]
دِرْعُ عِذَارٍ[٨] مُقَدَّرِ السَّرْدِ
٥ هَبْ أَنَّهَا لاِخْضِرَارِهِ[٩] مَنَعَتْ
كَمْ جُهْدِ مَنْعِ الرَّبِيعِ لِلوَرْدِ
سَأَلْتُهُ وَالرِّيحُ يَعْبَقُ مِنْ
وَجْنَتِهِ تَارَةً وَمِنْ رَنْدِ[١٠]

---

(١) ب: تشهده، أ: للترك منه نسبته.
(٢) جـ: الهندى.
(٣) ب: تباعد، جـ: يانعة.
(٤) جـ: حيرت محاسنه.
(٥) جـ: فرحة.
(٦) الجعد من الشعر؛ خلاف المسترسل السبط.
(٧) جـ: وصلى للثم عارضه.
(٨) العذار؛ موضع نبت اللحية.
(٩) ب: لاخضراره، جـ: خضارة.
(١٠) أ: فى فمى وفى زندى.

www.alkottob.com

ذَا[1] الطِّيبُ مِنْ أَيْنَ لِلشَّقِيقِ أَتَى
فَقَالَ مِنْ نَدٍّ[2] خَالِي[3] النَّدِّ
يَالاَئِمِي[4] فِي مَدَامِعٍ سُكِبَتْ[5]
قَدْ نَثَرَتْ دُرَّهَا[6] عَلَى العِقْدِ
أَضْيَعُ شيءٍ مَلاَمَةٌ بُذِلَتْ
لِحَاضِرِ[7] الغَيِّ غَائِبِ[8] الرُّشْدِ
فَأَيْنَ[9] عَقْلِي يَاقَاتِلِي خَطَأَ
أَوْ دِيَتِي[10] إِنْ[11] قَتَلْتَ بِالعَمْدِ
لِي مُقْلَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ[12] لَهَا
مَدَامِعُ قَصْرُهَا عَلَى[13] المَدِّ[14]
زِيَادَةُ النِّيلِ بَعْضُ[15] نَاقِصِهَا
فَهَلْ أُمِدَّتْ مِنَ النَّدَى السَّعْدِي[16]

---

(١) جـ .
(٢) أ، ج: من عند .
(٣) أ: خاله .
(٤) جـ: يلومني .
(٥) جـ: بدم .
(٦) عقدها .
(٧) ب: لحاكم .
(٨) ب: غالب .
(٩) ب: أفنيت .
(١٠) أ: قودى، ب: ذيتى .
(١١) جـ: إذ .
(١٢) ب: العزيز .
(١٣) جـ: مد قصرها المد .
(١٤) أ: الأبد .
(١٥) أ: عند، ب: بعد .
(١٦) لاحظ هنا استخدام التعبيرات «الممدود، المقصور، المنقوص» أما سعدى، فهى قبيلة عربية يتردد ذكرها كثيرا فى شعر الصوفية كرمز للحضرة الإلهية .

www.alkottob.com

[مجزوء الرمل]

١ واصلُونى[١] بَعْدَ بُعْدِى
وَرَعُوا سَالِفَ عَهْدِى
وَعَلَى رَغْمِ[٢] الحَسُودِ
أَنْجَزُوا بالوَصْلِ وَعْدِى
يَا سُرُورِى بِالتَّدَانِى
يَاهَنَا[٣] حَظِّى وَسَعْدِى
جَادَ[٤] لِى بَدْرِى بِوَصْلِ
يَاهَنَائِى نِلْتُ قَصْدِى
٥ فَاجْتَمِعْ يَامَاءَ عَيْنِى
وَانْطَفِى يَا نارَ وَجْدِى
أَنَا فِى لَيْلَةِ[٥] أُنْسِى
قَدْ صَفَا مَوْرِدُ[٦] وِرْدِى
وَتَنَاولْتُ كُئُوسى
بَينَ[٧] رَيْحَانٍ وَوَرْدِ

---

(١) الأبيات فى أ، ب.
(٢) ب: رقم.
(٣) أ: وهنا.
(٤) = أ.
(٥) ب: مشرب.
(٦) أ: مشرب.
(٧) أ: بنت.

www.alkottob.com

مِنْ يَدَىْ حُلْوِ التَّثَنِّى[1]

فَاتِنٍ[2] أَهْيَفِ قَدِّ

تَارَةً يُنْشِدُ: خُذْ كَاسِى

وَطَوْرًا: هَاكَ خَدِّى [م]

١٠ إِنْ أَقُلْ: يَا أَلْفَ مَوْلَى

قَالَ لِى: يَا أَلْفَ عَبْدِى

أَوْ سَقَى[3] المَمْزُوجَ غَيْرِى

خَصَّنِى[4] بِالصِّرْفِ وَحْدِى

فِى هَوَاهُ دَعْ مَلاَمِى

وَاطَّرِحْ غَيِّى وَرُشْدِى

نَارُ وَجْدِى فِى هَوَاهُ

كَنَعِيمِ الخُلْدِ عِنْدِى

[الوافر]

١ مُقِيمٌ[5] لِلمُقِيمَةِ[6] فِى فُؤَادِى

هَوَىً بَيْنَ السُّوَيْدَا وَالسَّوَادِ

---

(١) ب: التجنى.

(٢) ب: فاتنى.

(٤) ب: وسقا.

(٤) ب: وسقانى.

(٥) الأبيات فى أ، ب.

(٦) ب: القيامة.. والمقيمة؛ الخمر.

www.alkottob.com

وَوَجْـــدٌ مَـــا تُغَـــيِّـــرُهُ اللَّـــيَـــالى
حـــفِـظْتُ بِهِ عُـــهُـــودَ هَوَى سُـــعَـــادِ
دَعى مَـنْ شَـــاءَ فِـيكِ يَلُمْ كَـــئِـيـبًـــا
غَـــرِيقًـــا فى الـمَـــدَامِعِ وَهْوَ صَـــادِ
وَحَقِّ هَـوَاكِ مَـــا فَـقَـــدَتْ عُـيُـــونى
مَـــدَامِـعَـــهَـــا وَلاَ وَجَـــدَتْ رُقَـــادِى
سَـــقَى مَـــغْـنَاكِ مِنْ هَـضَـبَـــات نَجْـــد
كُـــئُـــوسُ القَطْرِ منْ أيْـدِى الغـــوَادِى
فَكَمْ لِى فِـــيـــهِ مِنْ وَطَـرٍ تَقَـــضَّـى
بِـأحْـيَـــانٍ[1] عَـلَى وَفْـقِ الـمُـــرادِ
بِحَـــيْثُ دُنُـوُّ سُـــعْـــدَى مِـنْ تَدَانٍ[2]
كَـــمَـــا نَهْـــوَى وبُعْـــدٍ مِنْ بُعَـــادِى
وَإِذْ أَنا وَالَمَلِيـــحَـــةُ فِى عِـــتَـــابٍ
يُلِينُ[2] بِلُطْفِـــهِ عِـطْفَ الجَـــمَـــادِ
إِذَا ضَلَّـتْ بِطُرَّتِهَـــا[3] عُـــيُـــونِى
فَلِى مِنْ ثَـغْـــرِهَا البَـــسَّـــامِ هَادِ[4]

---

(١) أ: بأحبابى.
(٢) ب: يبين.
(٣) الطرة؛ هى فى الثوب شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته، وطرة كل شىء: حرفه.
(٤) فى البيت إشارة إلى أنه: إن ضل عن الذات الإلهية بتنوع تجلياتها المختلفة فى العالم الأرضى، فإن إشارات جمالها النورانية لا تلبث أن ترده من عالم الكثرة إلى حقيقة الوحدة. وهى النقلة الواجبة بين «لا إله» و«إلا الله».

www.alkottob.com

مِنَ الشُّعَرَاءِ دَمْعِى فى هَوَاهَا
تَهِيمُ سُيُولُهُ فى كُلِّ وَادِ[1]

فَدَيْتُكِ هَلْ أَذَبْتِ[2] سِوَى جَمِيعِى
وَمِنِّى هَلْ تَرَكْتِ[3] سِوَى وِدَادِى[4]
وَكَيْفَ يَكُونُ فِيكِ خَفَاءُ وَجْدِى
وَهَذَا[5] حُسْنُكِ الفَتَّانُ بَادِ

[الكامل]

يَا بَرْقَ نَجْدٍ هَلْ[6] حَكَيْتَ فُؤَادِى
فِى ذَا التَّلَهُّبِ وَالخُفُوقِ[7] البَادِى
لَوْلاَ اشْتِرَاكُ هَوَاكُمَا لَمْ تَسْفَحَا
دَمْعَيْكُمَا[8] فى سَفْحِ ذَاكَ الوَادِى
أَتُرَى سُوَيْكِنَةُ الحِمَى بِجَمَالِهَا[9]
سَلَبَتْ رُقَادَكَ[10] فى الهَوَى وَرُقَادِى

---

(١) الإشارة من قوله تعالى: «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون.. الشعراء ٢٢٤/ ٢٢٥».
(٢) ب: أذيب.
(٣) ب: سلبت.
(٤) ب: رقادى.
(٥) ب: وهاذى.
(٦) ج: قد.
(٧) ب: والجفا.
(٨) ج: لم تسحقا دمع همى.
(٩) ج: بجماله.
(١٠) ب: فؤاده.

www.alkottob.com

عَـــرَّضْتُ قَـلْبِى يَـوْمَ رَامَـــةَ إذْ بَـدَتْ

بِنَـوَاظِرٍ تَـحْكِى حُـــدُودَ[1] حِـــدادِ[2]

وَسَـــأَلْتُـــهَـــا سَـلْبِى لِعِـلْمِـىَ أَنَّ مَنْ

سَلَـبَـتْـــهُ صَـــارَ أَمِـيـــرَ[3] ذَاكَ النَّادِى

وَأَغَنَّ[4] تَعْـشَقُ[5] لِيْنَـهُ قُـضُبٌ[6] النَّقَـا

إنْ مَـــاسَ أَهْيَـفُ قَـــدِّهِ[7] الـمَـيَّـادِ

يَـسْـــقِى الـنَّدِيمَ بَـكَـأسِـــه وبِلَـحْظِـه

وَبِثَـغْـرِهِ[8] ريًّـا فَـيُـصْبِحُ صَـادِى

مَـــاذَاكَ إلاَّ أَنَّ وَقَّـــادَ الجَـــوَى[9]

بَـيْـنَ الجَـــوَانِحِ دَائِمُ الإيْـقَـــادِ

وَيَـبِـيـتُ أَدْنَى لِلحَـشَـا مِـنْ مُـهْـجَـتِى

وأَبِيتُ[10] أَشْكُو مِـنْهُ[11] فَـــرْطَ بِعَـــادِ

---

(١) ج: خدود.

(٢) ب: حدادى.

(٣) أ. صارمين.

(٤) الأغن؛ الغنة صوت فيه ترخيم، والأغن من الغزلان: الذى فى صوته غُنة [لسان العرب ٢/ ١٠٢٣].

(٥) ب: يعشق.

(٦) أ، ب: قده سمر.

(٧) ب: عند اهتزاز قوامه.

(٨) ج: وبلفظه.

(٩) ج: الهوى.

(١٠) ج: قربا.

(١١) ب: أساء.

www.alkottob.com

فَكَأَنَّمَا[1] نَهْوَى اتِّحَادَ وَصَالِنَا[2]

شَغَفًا وَنَكْرَهُ[3] التَّعْدَادَ[4]

---

(١) ج : فكأننا .

(٢) ب : النضال بعادنا .

(٣) ب : يكثر .

(٤) من الملاحظ أن ناسخ المخطوطة ب قد تعمد تغيير سياق البيت ، حتى يتحاشى كلمة «الاتحاد» وهى الكلمة التى أساء الكثيرون فهم مضمونها الصوفى ، ونعتوا القائلين بها بالكفر والحلول . ومرجع سوء الفهم ، أن غير الصوفية يتوهمون أن المراد بالاتحاد ، هو أن يكون الله وخلقه متحدين . فى حين يراد بهذا اللفظ عند الصوفية : شهود الوجود الحق الواحد المطلق ، بحيث يكون الخلق آنذاك موجودا به تعالى ، معدوما بنفسه [اصطلاحات الصوفية ص ٢٤] ففى حال الاتحاد يشهد الصوفى أن الوجود الخلقى قد رجع إلى الوجود الحقى ودخل فيه بحكم كون الوجود الحقى هو الوجود الحقيقى ، أما وجود الخلق فهو محض خيال موهوم معار [راجع تفصيل هذه المسألة فى الفصل الخاص بالعارية الوجودية من كتابنا : عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ١٤١ وما بعدها ، وفى الباب الخاص بالوحدة من كتابنا : الفكر الصوفى . . ص ١٥٩ وما بعدها] .

وكان ابن الفارض قد حاول الدخول إلى هذه القضية تأسيسا على نص من الحديث القدسى ، هو قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه : ما تقرب إلى عبدى بأحب مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها . . (أخرجه البخارى ، كتاب الرقاق ٨٨ ـ وابن حنبل فى المسند ٦/ ٢٥٦ ، ٦٧٢) .

يقول ابن الفارض :

وَجَاءَ حَدِيثُ بِاتِّحَادِى ثَابِتُ ... رِوَايَتُهُ فِى النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ

يُشِيرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ ... إِلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ

وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإِشَارَةِ ظَاهِرٌ ... بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ

واستنادا لذلك ، راح ابن الفارض يحشد أبيات تائيته الكبرى بصريح لفظ الاتحاد (انظر أبيات : ١٦٥ ، ٣١٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٩٣) دونما خشية من أن يتهم بما سبق أن اتهم به البسطامى والحلاج . . أما عبد الكريم الجيلى فقد استند لأثر آخر ، هو قوله عليه الصلاة والسلام : لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا ، من أتاه بخلق منها دخل الجنة . . (أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ، وأبو يعلى فى مسنده ، والبخارى فى الصحيح عن عثمان بن عفان ، والسيوطى فى الصغير ص ٨٤) يقول الجيلى (النادرات العينية : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣) .

وكن ناظرا فى القلب صورة حسنه ... على هيئة ـ المنقوش يظهر طابع

فقد صح فى متن الحديث تخلقوا ... بأخلاقه ما للحقيقة مانع

وغص فى بحار الاتحاد منزها ... عن المزج بالأغيار إن أنت شاجع

www.alkottob.com

[الوافر]

١ غَـــزَالُ الحَـيِّ مِنْ أَثْـلاَتِ[١] نَـجْـــدِ
لِوَجْـهِكَ وِجْـهَـتِى وَهَوَاكَ[٢] قَـصْـدِى
وَدِيْنُـكَ فِى مُـــدَاوَمَـــةِ التَّـــصَـــابِى
عَـلـىَّ وَلِى وَفِـى قَـــبْـلِـى[٣] وعِنْـدِى
أحِنُّ إِذَا تَـبَـــسَّـــمَتِ النُّـعَـــامَى[٤]
مُـــعَطَّـرَةً بِمَـــسْـــحَبِ[٥] ذَيْلِ هِـنْدِ[٦]
وَأَصْـبُـو[٧] لِلصَّـــبَـا النَّجْـدِى إِذَا مَـا
سَـــرَى[٨] مَـــا بَـيْـنَ بَـانَاتٍ وَرَنْـدِ
٥ وَمَـــعْـــشُـــوقُ الدَّلاَلِ[٩] يَغَـــارُ مِنْهُ
مِنَ الأَغْـــصَـــانِ كُـلُّ رَشِـيـقِ قَـــدِّ
سَـقَـتْ أَلْحَـاظُهُ العُـشَّـاقَ كَـأْسًا[١٠]
حَـــبَـــاهَا خَـــالُهُ بِـخَـــتَـــامِ نَدِّ

---

(١) الأثل؛ شجر معروف، أغصانه شديدة التعقيد، وورقه دقيق.
(٢) ج: وهداك.
(٣) الإشارة بالقبل هنا، إلى عالم الأرواح قبل خلق الأجساد، حيث كان الإقرار الأزلى بوحدانية الله وربوبيته.
(٤) ب: ابتسمت غمام.. والنعامى، من أسماء ريح الجنوب، سميت بذلك لأنها أبلُّ الرياح وأرطبها. وقيل: هى ريح تجىء بين الجنوب والصبا (لسان العرب ٣/ ٦٧٧).
(٥) ب: بسحب.
(٦) ب، ج، هندى.
(٧) ب: واصبر، ج: واصبوا
(٨) ح: سرت
(٩) ج: الزلال. (١٠) أ: صرفا.

www.alkottob.com

فَـرَاحُـوا فِى مَـحَـبَّـتِـهِ نَشَـاوَى
لِغَـيْـرِ نِهَـايَةٍ وَلِـغَـيْـرِ حَـدِّ
لِـقِـبْلَةِ وَجْـهِـهِ أَبَدًا صَـلاَتِى
وَلَـثْـمُ الـوَرْدِ مِـنْ خَـدَّيْـهِ وِرْدِى(١)

[الطويل]

١ سَلَبْـتُمْ(٢) رُقَـادِى(٣) فِى الهَـوَى وَتَجَلُّدِى
وَزِدْتُمْ(٤) بِدَمْـعِى فِى ظَـمَـا قَـلْبِىَ الصَّـدِى
وَأَلْبَـسْـتُـمُـونِى مِنْ جُـفُـونِكُمُ ضَـنَـًا
فَـوَاعَـجَـبًـا مِـنْ لاَبِسٍ مُـتَـجَـرِّدِ(٥)
أَأَحْـبَـابَـنَا(٦) لا وَالْغَـرَامِ الَّـذِى لَهُ
وُرُودِى وَمَـالِـى مَـصْـدَرٌ بَعْـدَ مَـوْرِدِى
لَئِـنْ كُنْتُمُ أَنْبَـتُّـمُـو رَسْـمِىَ الَّذِى
مِنَ السُّـقْمِ لَوْلاَ الـوَصْلُ لَمْ يَتَـجَسَّـدِ

---

(١) الورد؛ الجمع «أوراد» وهى مجموعة من الآيات القرآنية تقرأ فى اليوم والليلة . . يقول ابن منظور: الوَرد، النصيب من القرآن، بحيث تضم السور دون أن تكون بينها سورة منقطعة، والورد أيضا: الجزء من الليل يكون على الرجل أن يصليه (لسان العرب ٣/ ٩٠٩) والأوراد عند الصوفية واحدة من مستلزمات الطريق الروحى، غالبا ما يكلف بها كلُّ شيخ طريقة مريديه.

(٢) الأبيات فى أ، ب.

(٣) ب: فؤادى. (٤) ب: وجدت.

(٥) التجريد عند الصوفية: أن يتجرد الصوفى بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض . . فلا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا، ولا يطلب على ما تركه منها عوضا، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى، لا لعلة غيره . . ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التى يحلها، والأحوال التى ينازلها (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٣) والصوفية يدعون أهل الطريق باسم: إخوان التجريد.

(٦) أبيات ٣، ٤، ٥، ساقطة من ب.

www.alkottob.com

٥ فَمَا نَبَتَتَ تِلْكَ الرُّسُومُ بِغَيْرِكُمْ
وَلَوْلاَكُمُ كَانَ الفَنَاءُ بِمَرْصَدِ
دَعُوا أَدْمُعِي تَسْقِي مَعَاهِدَ أَرْضِكُمْ
فَفِي غَيْثِهَا الهَامِي رِضا كُلِّ مَعْهَدِ(١)
وَلاَ تَسْأَمُوا(٢) مِنْ نَاحِلٍ أَشْبَهَ الضَّنَا
سَقَامًا(٣) وَأَنْفَاسًا وَفَرْطَ تَرَدُّدِ(٤)
فَمَا حَقُّ أَنْفَاسِ الصَّبَا(٥) أَنْ تَمَلَّهَا
غُصُونُ النَّقَا مَعْ لِينِهَا وَالتَّأَوُّدِ
وَلاَ تَعْتِبُوا فِي النَّوْحِ كُلَّ مُطَوَّقٍ(٦)
عَلَى هَيْفِ أَعْطَافِ الغُصُونِ مُغَرِّدِ
١٠ لأَنَّكُمُ(٧) طَوَّقْتُمُ كُلَّ عَاشِقٍ
بِدَمْعٍ فَرَاحُوا بَيْنَ بَاكٍ وَمُنْشِدِ
فَيَا سَاقِيَ الأَجْفَانِ(٨) خَمْرَكَ عَاطِنِي
وَيَا سَكْرَتِي مِنْهَا عَلَى الصَّحْوِ عَرْبِدِي

---

(١) المعهد؛ الموضع الذى كنت قد عهدته، أو عهدت هوى لك فيه، أو كنت تعهد به شيئا. . والجمع: معاهد (لسان العرب ٢/ ٩١٥).
(٢) ب: ولا تسألوا.
(٣) ب: مقاما.
(٤) لفرط تأود.
(٥) ب: الظبا أن يميلها.
(٦) المطوقة؛ الحمامة التى يلتف حول رقبتها شريط من الريش الأسود.
(٧) = ب.
(٨) ب: فيا سائق الأظعان.

www.alkottob.com

[الكامل]

١ لاَ تُخْدَعَنَّ[١] بِرِقَّةٍ فِى خَدِّهِ
فَالسَّيْفُ قَتَّالٌ بِرِقَّةِ حَدِّهِ

وَدَعِ الجُفُونَ فَإِنَّمَا وَسْنَانُهَا
أَضْحَى سِنَانًا فِى مُثَقَّفِ[٢] قَدِّهِ

ظَبْىٌ حَكَى نَوْمِى دَوَامُ[٣] نِفَارِهِ
عَنِّى فَوَاصَلَ ضِدَّهُ[٤] مَعَ ضِدِّهِ

وَسَرَى إِلَى جِسْمِى الضَّنَا مِنْ خَصْرِهِ
فَهَوِيتُ ذَاكَ لأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ

٥ عَجِبَ الحَسُودُ وَقَدْ رَأَى سُكْرِى[٥] بِلاَ
حَدٍّ وَقَلْبِى[٦] فِى عُقُوبَةِ حَدِّهِ

خَفِّضْ[٧] عَلَيْكَ أَلَيْسَ خَفْقُ وِشَاحِهِ
يَحْكِى فُؤَادِى أَوْ تَلَهُّبُ خَدِّهِ

هِىَ نِسْبَةٌ[٨] لَوْ أَنَّ قَلْبِى[٩] نَالَهَا
مُتَوَقِّدًا لَعَذَرْتُهُ فِى وَقْدِهِ

---

(١) الأبيات فى أ، ب/ وفى ب: لا تتخذ عن.
(٢) الثقاف؛ ما تسوى به الرماح (لسان العرب ١/ ٣٦٥ والمثقف هنا. الرمح المستوى.
(٣) ب: ودام. (٤) ضد النوم، السهر!
(٥) ب: سكرك. (٦) أ: وقلى.
(٧) أ: هون، ب: حفض.. وقوله «حفض عليك» من قولهم: حفض الله عنه، أى خفف عنه! وهو أسلوب ـ كما يقول ابن منظور ـ من النوادر.. (لسان العرب ١/ ٧٦٢) وقد جعلنا (خفض) لاتفاقها مع (خفق) الواردة بعدها.
(٨) أ: سنة. (٩) أ: قلبك.

www.alkottob.com

شُكْرِى لِصَبْرِى عَنْهُ إِذْ هَوَ خَانَنِى
وَرَأَى[1] الخِيَانَةَ كَالْوَفَاءِ بِعَهْدِه[2]
وَلِمَدْمَعِى[3] بُعْدًا وَسَحْقًا إِنَّهُ
دُرٌّ لَدَىَّ وَلَمْ يَكُنْ فِى عِقْدِهِ
مَنْ مُنْصِفِى مِنْ[4] قُرْبِهِ فَلَقَدْ أَبَى
قُرْبِى وَمَنْ ذَا مُنْقِذِى مِنْ بُعْدِهِ
يَا بَانَةَ الوَادِى وَيَا وَرْقَاءَهُ[5]
نُوحِى لِغُصْنِكِ إِذْ أَنُوحُ لِفَقْدِهِ
أَنْتِ الحَزِينَةُ وَالحَزِينُ أَنَا كِلاَنَا
اليَوْمَ مَعْذُورٌ يَنُوحُ بِوَجْدِهِ
حَالِى[6] كَحَالِكِ وَالمُجَاوِرُ ـ كَفُّهُ
لِلمَاءِ يَعْرِفُ حَرَّهُ مِنْ بَرْدِهِ

[البسيط]

بِاللَّهِ بَلِّغْ[7] سَلاَمِى أَيُّهَا الحَادِى
إِلَى[8] غَزَالِ الصَّرِيمِ[9] الرَّائِحِ الغَادِى

---

(١) أ: وارى . . والإشارة هنا إلى : الصبر عن لله .
(٢) ب : بعبده . (٣) = ب . (٤) أ : فى
(٥) أ : ورقاه ، ب : ورقاؤه . . والورقاء ؛ الحمامة الرمادية اللون .
(٦)= ب . (٧) = جـ . (٨) ب : على .
(٩) للصريم فى اللغة معان متعددة [انظر : لسان العرب ٢/ ٤٣٤ وما بعدها] ينطبق منها هنا : الخصام ، القطيع ، الحصاد . . والإشارة الصوفية هنا إلى سوانح التجليات النورانية التى تخطف الأبصار وتمر سريعا ؛ كالغزال!

www.alkottob.com

وَقُلْ لَهُ لِي[1] عَلَى مَغْنَاكَ حَقُّ هَوَىً
لأَنَّ دَمْعِي[2] رَوَّى رَبْعَهُ[3] الصَّادِي

ـ وَقَفْتُ مِمَّا جَرَى لِي فِي مَعَاهِدِهِ[4]
أَبْكِي إِلَى أَنْ جَرَى مِنْ دَمْعِي[5] الوَادِي
وَلَمْ أُنَادِ[6] سِوَى بِاسْمِ الَّتِي سَفَرَتْ
لَيْلاً فَأَشْرَقَ مِنْ أَنْوارِهَا النَّادِي

ه خُذْ يَانَسِيمُ بَقَايَا[7] المَيْتِ فَاسْرِ بِهِ
لِلْحَيِّ تَجْمَعُ أَرْوَاحًا بِأَجْسَادِ
وَالْثُمْ ظُهُورَ الثَّرَى مِنْ حَيْثُ مَا خَطَرَتْ
بِهِ سُعَادُ إِذَا حَاوَلْتَ إِسْعَادِي
مَا أَعْشَقُ[8] الغُصْنَ مَيَّاسًا[9] مَعَاطِفُهُ
إِلاَّ لِقَامَةِ قَدٍّ مِنْهُ مَيَّادِ
وَلاَ أَرَى البَرْقَ أَهْلاً أَنْ أُلاحِظَهُ
إِلاَّ لِمَا مِنْهُ يَحْكِي[10] ثَغْرَهُ البَادِي

---

(١) ـ ب.
(٢) جـ: ربحى.
(٣) ب: من نبعه، جـ: عن ربعه.
(٤) جـ: معادته.
(٥) ب: أدمعى.
(٦) أ، ب: أنادى.
(٧) أ: بقا.
(٨) جـ: ما اعتنق.
(٩) جـ: ميادا.
(١٠) ب: فيه، جـ: فى معانى.

www.alkottob.com

[البسيط]

١ يَا خَدَّهُ وَثَنَايَا ثَغْرِهِ النَّضِدِ
مَنْ سَوَّغَ الجَمْعَ بَيْنَ الجَمْرِ وَالبَرَدِ
وَيَا تَلَهُّبَ قَلْبِي فِي مَحَاسِنِهِ
قَدْ أُعْجِزَ الدَّمْعُ أَنْ يُطْفِيكَ فَاتَّقِدِ[1]
مَاضَرَّ مِعْطَفَكَ البَادِي تَأَوُّدُهُ
لَوْ كَانَ يُبْقِي تَثَنِّيهِ[2] عَلَى أَوَدِي[3]
وَصَلْتَ هَجْرَكَ إِعْرَاضًا لِتَقْطَعَنِي[4]
أَمَا كَفَاكَ[5] الَّذِي أَخْلَدْتَ فِي خَلَدِي
٥ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ طَرْفِي[6] أَنْ يَزِيدَ ظَمًا
فِي وِرْدِهِ مَاءَ ذَاكَ الحُسْنِ لَمْ يَرِدِ
فَاليَوْمَ مِنْ فَرْطِ إِلْفِي بِالصَّبَابَةِ لَوْ
تَرُومُ[7] نُقْصَانَ مَا أَلْقَى لَقُلْتُ زِدِ[8]
فَلاَ تُغِبْ[9] نَاظِرًا تَلْقَاكَ[10] عَبْرَتُهُ[11]
فَالشَّمْسُ[12] تُسْبِلُ[13] دَمْعَ الأَعْيُنِ الرُّمُدِ

---

(١) + ب.
(٢) ب، جـ: تثنيه.
(٣) ب: الأودى.
(٤) جـ: ليقطعنى.
(٥) ب: كتاب!
(٦) ب: بى.
(٧) جـ: يروم.
(٨) ب: زدى جـ: ردى.
(٩) ب، جـ: تعب.
(١٠) ب: يلقاك، جـ: لفاك!
(١١) ب: غرته.
(١٢) ب: كالشمس.
(١٣) ب: تسلب.

www.alkottob.com

[الخفيف]

١ قَـدْ بَذَلْنَـا النُّفُـوسَ يَا أُخْتَ سَـعْـدِ[١]

فَـاقْبِلِيـهَـا[٢] نَقْـدًا[٣] وَجُودِي بِوَعْـدِ

وَنَثَـرْنَـا دُمُـوعَنَا فَـانْظِمِـيـهَـا[٤]

فَـهْيَ[٥] أَبْهَى مِنْ كُلِّ لُـؤْلُؤِ عِـقْـدِ[٦]

يَـا بِنَـةَ الـقَـوْمِ إِنْ يَـكُـنْ لَـكِ[٧] بُـرْدٌ

مِنْ بَـدِيعِ الجَـمَـالِ فَـالسُّـقْمُ بُرْدِي

كَـيْـفَ أَبْـغِـي[٨] وَرْدًا بِـرَوْضٍ وَوِرْدًا

مِـنْ مُـدَامٍ[٩] وَمِـنْـكِ وَرْدِي وَوِرْدِي

٥ جَنَّةٌ[١٠] حُـسْنُهُـا كَـحُـسْنِ وِصَـالٍ

فِـيـهِ مِنْ خَـالِهَـا بَقِـيَّـةُ صَـدِّ[١١]

قَـدْ تَـعَـدَّتْ عَـلَى النُّفُـوسِ وَلَـكِنْ

لاَ يُسَـمِّـيـهِ عَـاشِـقُـوهَا تَعَـدِّي

مَـا رَأَيْـنَا مَنْ صَـيَّـرَ الجَـفْـنَ سَـيْـفًـا

يُخْـجِـلُ الهِنْدَ غَـيْـرَ أَجْـفَـانِ هِـنْدِ

---

(١) جـ: سعدى.
(٢) جـ: فخذيها.
(٣) ب: منا.
(٤) ب: فانضميها.
(٥) ـ جـ.
(٦) ب، جـ: عقدى.
(٧) أ: كل.
(٨) ب: أهوى.
(٩) ب: لمدام.
(١٠) جـ: وجنة.
(١١) ب: صدى.

www.alkottob.com

قَـالَ لِي خَـدُّهَا الصَّـقِـيـلُ وَقَـدْ صَـارَ
مِـــرْآةً مَـــاذَا تَرَى قُـلْـتُ خَـــدِّى[1] م

[الطويل]

١ بُرُوقَ الحِـــمَى هَلْ دَمْـــعُكُنَّ يَـجُـــودُ
وَهَلْ[2] عَطِـشَتْ بَعْـدَ الـغَـــرِيقِ زَرُودُ[3]
مَنَازِلُ[4] مِنْ سُـعْـدَى سُـعَـيـدٌ[5] نَزِيلُهَـا
كَـــأَنَّ بِهَـاتِيكَ[6] البِـيُـوتِ عُـقُـودُ
إِذَا ابْتَسَـمَتْ لَيْلاً[7] بَكَى[8] مُسْتَهَامُهَـا[9]
فَـــمِنْهَـــا وَمِنْـهُ[10] بَارِقٌ وَرُعُـــودُ
وَفِى الحَيِّ وَسْـنَـانُ الـلَّوَاحِظِ سَـــالِبٌ
وَآخَـرُ مَـسْـلُوبُ الفُـؤَادِ فَـقِـيـدُ
٥ وَظَـبْـىٍ فَـــــــلاَةِ آنِسٍ فَـكَـأَنَّـهُ
لِرَائِـيـهِ عِـنْدَ الالْـتِـقَـــاتِ شَـــرُودُ

---

(١) الخد الصقيل هنا؛ مشهد الوحدة. . وكونه يرى ذاته فى مرآة هذا المشهد، إشارة إلى المقابلة بين العالم الصغير (الإنسان) والعالم الكبير (الكون). . وسوف نعود لهذه النقطة الدقيقة فيما بعد.

(٢) ب، جـ: فقد.

(٣) زرود؛ موضع مشهور. . يقول ياقوت: الزرد؛ البلع! ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمة بطريق الحاج من الكوفة [معجم البلدان ٣/ ١٣٩].

(٤) × ب، وبقية الأبيات مضطربة الترتيب.

(٥) جـ: من سعيد.

(٦) جـ: بها تلك.

(٧) أ، ج: ليلى!

(٨) أ، ب: بكا.

(٩) جـ: بكأس اتهامها.

(١٠) جـ: منه ومنها.

www.alkottob.com

تَرَقْرَقَ مَاءُ الحُسْنِ فِى وَجَنَاتِه
وَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إِلَيْهِ[1] وُرُودُ

لـ أَلاَ هَلْ إِلَى عَصْرِ الصِّبَا لِى[2] عَوْدَةٌ
وَهَيْهَاتَ مَا قَدْ فَاتَ[3] لَيْسَ يَعُودُ

كَأَنَّ لَيَالِيهِ لِمُبْدِعٍ[4] حَسْنِهَا
شُعُورٌ وَمُحْمَرَّ الأَصِيلِ خُدُودُ

[الرمل]

١ يَا أُهَيْلَ[5] الحَيِّ مِنْ ذَاكَ الحِمَى
أَنْتُمُ المَقْصُودُ مِنْ كُلِّ الوُجُودْ[6]

ظَبْيُ أَبْيَاتِكُمُ ذَاكَ الَّذِى
لاَ تَسَلْ مَا حَلَّ مِنْهُ بِالأُسُودْ[7]

وَسَقِيمٌ[8] الجَفْنِ قَدْ صَحَّ لَهُ
سُنَّةُ المَنْعِ وَإِبْطَالُ الوُعُودْ[9]

---

(١) جـ: البدور.
(٢) ب: التصابى، جـ: لسكان الحمى لى!
(٣) أ: مر.
(٤) ب: البديعة.
(٥) الأبيات فى أ، ب.. وفى ب التحقت الأبيات بمجموعة أبيات أخرى من بحر الرمل وقافية الدال، فبدت وكأنها جميعا قصيدة واحدة!
(٦) ب: الوجودى.
(٧) الأسودى.
(٨) أ: فالصحيح.
(٩) ب: الوعودى.

www.alkottob.com

[مخلع البسيط]

١ لَـوْلاَكَ يَا غَـــايَتِى[١] وَقَـــصْـــدِى
مَـــاهِـمْتُ وَجْـــدًا بِرَبْـعِ[٢] نَـجْـــدِ
أَسْـقَـيْـتَنِى فِى الهَـوىَ حَـدِيثًـا[٣]
يُسْكِرُ لِـلْعَـاشِـقِـينَ بَـعْـدِى[٤]
وَمُـذْكِـرِى[٥] للسُّلُوِّ[٦] عَـهْـدًا[٧]
بِذِكْـرِ غَـيْـرِى[٨] نَسِـيتَ عَـهْـدِى[٩]
وَرُبَّ مُـهْـدِى الصَّـبَـا[١٠] سُـحَـيْـرًا[١١]
أَغْـنَتْـــهُ عَـنْ نَشْـــرِهَـا بِبُـــرْدِ[١٢]
٥ لاَ تَـذْكُـــرُوا[١٣] لِـلنَّـسِـــيمِ سُكْرِى
فَـــقَـــدْ أَتَى مُـــبْـــشِـــرًا بِوَجْـــدِى

---

(١) ج: يا نهاية.
(٢) ج: بروع.
(٣) ب: للهوى حديثا، ج: كأس هوى حديثها!
(٤) أ، ج؛ يسكر منه العاشقون بعدى.
(٥) × ج.
(٦) ب: للسلوى.
(٧) ج: يا مذكر السلو إنما.
(٨) ج: محبوبى.
(٩) فى ج: ولم تدع يا سودى مكانا لغير دمعى ولهيب خدى.
(١٠) ب، ج: ما هدى.
(١١) ج: وربما أحدى الصبا تحية.
(١٢) ب: أعينه، ج: أغنته فى نشوتها عن ردى.
(١٣) = أ، ج.

www.alkottob.com

[الكامل]

١ سَلَّتْ جُفُونُكَ لى سُيُوفَ حِدَادِ[١]

ـ فَقَتَلْنَنى ولَبَسْنَ[٢] ثَوْبَ حِدَادِ

وَطَفِقْنَ يُبْدِينَ الذُّبُولَ تَصَوُّنَا

أَنَسِيْنَ أَنَّ دَمِى بِخَدِّكَ[٣] بَادِى[٤]؟

يَا بَدْرَ تَمٍّ[٥] سَلْوَتى كَمُحَاقِهِ

وَكَمَالُهُ ونُمُوُّهُ كَوِدادِى[٦]

لَوْ أَنَّ فَرْطَ نُعَاسِ[٧] جَفْنِكَ مَانِحى

مَا عَنْهُ يَفْضُلُ مَا شَكَيْتُ سُهَادِى[٨]

٥ بَرِّدْ بِظَلْمِكَ حَرَّ ظُلْمِكَ جَارِيًا

فِيهِ عَلَى مَا لَيْسَ[٩] بِالْمُعْتَادِ

أَوَ فَارْتَجِعْ قَلْبِى الذى أَعْدَيْتَنى[١٠]

فِيهِ كَمِثْلِ قَوَامِكَ الْمَيَّادِ

وَعَجِبْتُ[١١] مِنْ وِرْدِ الْعِطَاشِ بِمَنْهَلٍ

وَعُيُونُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْوُرَّادِ

---

(١) ب: حدادى، ج: حدود حدادى.

(٢) أ: ولبست.

(٣) بخدى، ج: بوجهك.

(٤) بقية الأبيات ساقطة من ج.

(٥) أ: حسن.

(٦) ب: كغوادى، + ب: كودادى.

(٧) ب: أنفاس.

(٨) أ: أن سلبت رقادى.

(٩) ب: من ليس.

(١٠) عذبتنى.

(١١) = أ.

www.alkottob.com

أَرْسَلْتُ[1] طَرْفِى نَحْـــوَ خَـــدِّكَ رَائِدًا

فَـــعَلِمْتُ كَـــيْفَ خِـــيَـــانَةُ الرُّوَادِ

قَـــالُوا القَـضِـــيبُ[2] عَلَى الكَـثِيبِ نَظِـيرُهُ

أَرَأَيْتَ كَـــيْـفَ تَقَـــوُّلُ الحُـــسَّـــادِ

مَنْ لِـى لَو انَّـكَ كَـــالقَـــضِـــيبِ تَنَـالُهُ

كَـــفِّى وَيُصْـــبِحُ زَهْرُهُ بِـوِسَـــادِى[3]

قَـــالَ[4] العَـــذُولُ أَرَى[5] حَـــلاَوَةَ وَعْـــدِهِ

لِخِـــدَاعِـــهِ ضَـــرْبًا مِنَ الإِيعَـــادِ[6]

كَـــالعُـــودِ يَضْـــرِبُ فِى[7] فُـــؤَادٍ فَـــارِغٍ

فَـــتَـــأَسَّ[8] لَوْ أَحْـــتَـــالُ[9] بِالإِنْشَـــادِ

لاَ تَعْـــذِلَـنِّـى مَـــا فُـــؤَادُكَ فِـى يَدِى[10]

صَـــبْـــرًا وَلَمْ يَكُ فِى يَدَيْكَ فُـــؤَادِى

وَتَـنَحَّ عَـنْ زَفَـــرَاتِ أَنْـفَـــاسِى الَّتِى

لَـوْلاَ الدُّمُـــوعُ لأَحْـــرَقَـتْ عُـــوَّادِى

---

(١) = ب.

(٢) القضيب؛ الفرع من الشجر، والسهام الدقاق، والسيف [لسان العرب ٣/ ١٠٥].

(٣) ب: لو سارى.

(٤) فى أ فصل الناسخ بين الأبيات فكتب (وقال أيضًا) مما يُشعر بأن الأبيات التالية منفصلة عن سابقتها!

(٥) ب: أترى.

(٦) ب: إلا بعادى.

(٧) ب: من.

(٨) أ: فأناس.

(٩) ب: يحتال.

(١٠) ب: لى يد.

www.alkottob.com

[المنسرح]

١ فَضَحْتَ[١] جِيدَ الغَزَالِ بِالجِيدِ
وَفُقْتَهُ بِالدَّلَالِ وَالغَيَدِ
وَكُنْتَ أَوْلَى مِنَ الغُصُونِ بِمَا
يُعْزَى لأَعْطَافِهَا مِنَ المَيَدِ
يَا سَاقِيًا[٢] مُهْجَتِي كُؤُوسَ هَوَىً
وَسَايِقًا مُقْلَتِي إِلَى السُّهَدِ
حَسْبِي وَحَسْبُ الهَوَى وَحَسْبُكَ مَا
يَفْعَلُهُ الهَجْرُ بِي فَلاَ تَزِدِ
٥ أَنَا الَّذِي أَحْتَسِي الخُدُودَ فَلَمْ
تَسْتُرْهَا بِالعِذَارِ وَالزَّرَدِ[٣]
حَلَلْتَ قَلْبِي وَرُحْتَ تَمْنَعُنِي
حَلَّ نِطَاقٍ بِالخَصْرِ مُنْعَقِدِ
عِنْدِي مِنَ الوَجْدِ مَا بِهِ أَحَدٌ
يَفِي وَلَمْ أُبْدِهِ إِلَى أَحَدِ
كَمْ فِيكَ لِلعَاذِلِينَ مِنْ عَدَدٍ
قَدْ أُتْعِبَتْ قَبْلاً لَهَا عُدَدِي

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) فى الأصل ورد البيت التالى:

(ما أنت ممن يلوى على كبدى أتلفتها بل بدمى على كبدى)

وهو غير مستقيم الوزن والمعنى!

(٣) الزرد؛ الدرع التى تداخلت حلقاتها، فهى مزرودة [لسان العرب ٢/ ١٩].

www.alkottob.com

وَاعَجَبَا وَالدُّمُوعُ فِي حَلَبٍ
وَالقَلْبُ حَرَّانَ وَهْوَ فِي صَفَدِ[1]

بِاللَّهِ يَا لَيْلَى الطَّوِيلَ لَقَدْ
قَصَّرْتَ نَوْمِي وَلَمْ تَعُدْ بِغَدِ

جَعَلْتَ حظِّي فِي الحُبِّ مُنْعَكِسًا
فَجُدْ بِوَصْلٍ لِلصَّبِّ مُطَّرِدِ

حَتَّى تَرَانِي أَقُولُ مِنْ طَرَبٍ
يَا عَيْنُ رُودِي وَيَا شَفَاهُ رِدِي

أَوْدَعْتَنِي صَبْوَةً أَوَائِلُهَا
يَقْصُرُ عَنْهَا أَوَاخِرُ الأَبَدِ

أَوْرَدْتَنِي فَوْقَ مَا أُطِيقُ جَوًى
وَفَوْقَ طَوْقِي فِي الحُبِّ لاَ تَزِدِ

فَإِنَّ مَنْ كَانَ فَوْقَ طَاقَتِهِ
يَحْمِلُ تَعْجِزْ قُوَاهُ فَاتَّئِدِ

---

(١) فى معجم البلدان:

* حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، سميت بذلك؛ لأن نبى الله إبراهيم كان يحلب فيها غنمه ويتصدق بها على الفقراء [الجزء الثانى ص ٢٨٢].

* حران: مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام والروم، وهى قصبة ديار مضر، قيل إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة [الجزء الثانى ص ٢٣٥].

* صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان [الجزء الثالث ص ٤١٢].

وقد جعل التلمسانى لهذه البلدان دلالة خاصة، فهى تشير على الترتيب إلى: حلب الدمع، حر القلب، أصفاد الحب!

www.alkottob.com

رَوَيْتُ قَتْلِى عَنْ مُقْلَتَيْك فَفِى
رِوَايَتِى قَتْلَتِى بلا سَنَدِ
فَلَمْ يُكَذِّبْ رِوَايَتِى أحَدٌ
إذْ لَمْ يُكَذِّبْ هَوَاىَ مِنْ أَحَدِ
بِاللَّه لاَ تُرْسِلِ الجُفُونَ إلَى
قَلْبِى فَمَا لِلقُلُوبِ مِنْ عَدَدِ
وَخَلِّ جَفْنِى لاَ تُفْنِهِ سَقَمًا
لاَ بُدَّ لِلرُّوحِ فِيكَ مِنْ جَسَدِ
مَا خُلْدِىَ بِالقُرْبِ مِنْكَ فَلَمْ
رَمَيْتَ سَهْمَ الجُفُونِ[1] فِى خَلَدِى

[الطويل]

لَكَ[1] الخَيْرُ دَاعِى الخَيْرِ أَسْعِدْ يَا سَعْدُ
إذَا مَا نَهَى عَنه النُّهَى وَدَعَا الوَجْدُ
فَإنَّ عِقَالَ العَقْلِ يَدْعُو إلَى السِّوَى
وَوَصْلُ السِّوَى فَصْلٌ وَوِجْدَانُهُ فَقْدُ
إلى الذِّكْرِ[3] فَارْجِعْ وَاتْرُكِ الفِكْرَ فى السِّوَى[4]
إذَا كُنْتَ مِمَّنْ قَصْدُهُ العَلَمُ الفَرْدُ

(١) فى الأصل: جفنيك، + : الجفون.
(٢) الأبيات فى أ، ب.
(٣) ب: أبى الذكر.
(٤) ب: الذكر للسوا.

www.alkottob.com

وَلاَ تكُ غَـيْـرانًا إذَا ذُكِـرَ اسْـمُـهَـا
فَـذَاكِـرُهَا حَـادٍ إلىَ حُـبِّـهَـا يَحْـدُو[1]

٥ تَجَلَّى[2] مُـحَـيَّـاهَا لِغَـيْـرِ[3] بَنِى الهَـوَى
فَـصُـدُّوا، كَذَاكَ الشَّـمْسُ وَالأعْـيُنُ الرُّمْـدُ[4]

وَلاَحَظَهَـا[5] لَحْظُ الـمُـحِبِّ فـإنْ بَكَى[6]
سُـرُورًا فَـرَائِى الشَّـمْسِ أَدْمُـعُـه تَبْـدُو

فَـدَعْ[7] ثَمَنَ الـنَّفسِ الَّـنفـيـسَـة عنْـدَهَا
فَـلَيْسَ لَهَـا إلاَّ بِلاَ ثَـمَنٍ عَـبْـدُ

قَـرِيبَـةُ وَصْلٍ[8] لِلْـمُـحِبِّ وَإنَّمَـا
إذَا وَصَـلَتْ لَـمْ يَبْـقَ قُـرْبٌ وَلاَ بُـعْـدُ

تَـثَـنَّـتْ فَـظَـنُّوا أَنَّـهَـا ثَـنَـوِيَّـةٌ
وَقَـدْ يَتَـثَنَّى قَـدُّهَـا وَهُوَ الفَـرْدُ[9]

---

(١) ب: إلى ذكرها يحد.
(٢) × ب. (٣) ب: لعين.
(٤) ب: قصد وكذاك الشمس للأعين الرمد.
(٥) ب: فلاح لها. (٦) ب: فلم يكن.
(٧) = أ. (٨) ب: عهد.
(٩) يحتاج هذا البيت إلى وقفتين، الأولى عند معنى «الثنوية» والأخرى عند مفهوم الأديان لدى الصوفية..

الثنوية: هى ديانة القائلين بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان فى الأزلية (راجع مقالة شتروتمان بدائرة المعارف الإسلامية) وفى التعليق الوافى الذى كتبه محمد يوسف موسى على هذه المقالة يقول: ترجع هذه النحلة إلى الزرادشتية، وهى ديانة ترى أن النور (يزدان) والظلام (أهرمن) هما أصل العالم؛ إذ حصلت تراكيب العالم بامتزاجهما، وجاء بعد زرادشت أربعة من أصحاب هذا المذهب، هم (ابن ديصان ـ مانى ـ مزدك ـ مرقيون) الذين كونوا فرقا ثنوية كان لها دورها فى تاريخ =

www.alkottob.com

١٠ وَقَدْ نَطقَتْ حُسْنًا مَنَاطِقُ خَصْرِهَا

فَظَنُّوا حَمَامًا فَوْقَ بَانَتِهِ[١] يَشْدُو

وَقَالُوا لَهَا خَالٌ مِنْ النَّدِّ[٢] فَاتِنٌ

صَدَقْتُمْ لَهَا خَالٌ، بَلَى مَالُهَا[٣] نِدُّ

فَإِنْ كُنْتَ ذَا وَعْدٍ[٤] بِوَصْلِ جَمَالِهَا

فَبَعْضُ مُحِبِّيهَا لَدَيْكَ لَهُ عَدُّ[٥]

فَلاَ[٦] تَقُلِ الدُّنْيَا اسْتَمَالَتْهُ

تَجَلَّتْ مِنَ الدُّنْيَا لِمُقْلَتِهِ هِنْدُ

= العقائد . . انظر، دائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية ـ المجلد السادس ص ٢١٦ وما بعدها ـ وللمزيد عن هذا الفرقة يمكن الرجوع إلى (الآثار الباقية للبيرونى، الفهرست لابن النديم، الملل والنحل للشهرستانى، الفرق بين الفرق للبغدادى، الفصل لابن حزم . .).

أما عن المفهوم الصوفى للديانات، وهو ما يسميه الباحثون باسم مضلل هو: وحدة الأديان ـ فالصوفية يرون أن اختلاف عبادات البشر، راجع إلى الوهم الناشئ من إدراكهم القاصر لتجليات الله تعالى فى الوجود، فقد اعتقد أصحاب الملل والنحل المختلفة أن الله مقيد فى صورة معينة . . فهو النور أو الظلام أو النار أو الشمس، إلى آخر صور التغيير التى ظن هؤلاء أن الله عز وجل منحصر فيها ـ لضعف إدراكهم ـ أما المسلمون فقد انفردوا بالتوحيد حين أقروا بالواحد فى ذاته، رغم تنوع تجلياته ومظاهر أنواره فى الكون.

وفى هذا البيت، يشير التلمسانى إلى انخداع الزنادقة بتجليات الذات الإلهية، فظنوها ترد إلى اثنين هما النور والظلام، مع أن كليهما محض تجليات إلهية وحجب للواحد الفرد . . كما جاء فى الحديث: إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة!

(١) ب: تظن حماما فوق باناته.

(٢) الند: نبات طيب الرائحة، وقيل: هو العنبر (لسان العرب ٣/ ٦٠٧).

(٣) ب: ماله.

(٤) ب: وجد.

(٥) ب: الذى فيها لديك له وعد.

(٦) أ: ولا.

www.alkottob.com

يُذَادُ عَنِ الوِرْدِ العَذِيبِ سِوَى امْرِئٍ
غَرِيبٍ لَهُ فِى كُلِّ مَنْهَلَةٍ وِرْدُ[1]

[الخفيف]

لاَ تَخَفْ مِنْ ظُبَاءٍ[2] تَرِقُّ حُدُودا
بَلْ ظِبَاءٍ فِي الحَىِّ[3] رَقَّتْ خُدودُا
فَسِنانُ القَنَاةِ أضْعَفُ فِعْلاً
مِنْ جُفُونٍ وَسْنَى[4] عَلَوْنَ قُدودُا
وَبِرُوحِي الظَّبْيُ[5] الَّذِى قَدْ حَكَى النَّوْمَ
نِفَاراً عَنْ نَاظِرِي وَصُدودُا
لَوْ[6] يَرَى غَيْرَ سُقْمِ[7] عَيْنَيْهِ جَفْنِى[8]
مَا هَوِيتُ الضَّنَا وَرُمْتُ المَزِيدَا
عَاقَبَ القَلْبَ إذْ رَأَى السُّكْرَ مِنِّى
دُونَ حَدٍّ[9] لِكَىْ يُقِيمَ الحُدُودا

---

(١) فى ب ورد البيت كالتالى :
وليس يذود الورد يوما سوافتا غريب له فى كل موردة ورد
(٢) أ، ج : ظبا . . والظباء، حدود السيوف وأعلاها .
(٣) ج : فى الحى بل ظباء فى الحى!
(٤) . . وسنا .
(٥) ب : أفدى .
(٦) = أ، صدر البيت مقابل لعجز البيت التالى له فى ج!
(٧) ب : من سقام .
(٨) ج : جسمى .
(٩) ب : فوق حد، ج : فوق خد .

www.alkottob.com

فَهْوَ فِى ذَا الخُفُوقِ[1] يَحْكِى وِشَاحَيْهِ
وَفِى ذَا اللَّهِيبِ يَحْكِى الخُدُودا

نِسْبَةٌ لَوْ يَنَالُهَا حَاسِدِى مِنْهُ
لأَصْبَحْتُ لِلْحَسُودِ حَسُودا

وَلَعَمْرِى إِنْ خَانَ صَبْرِى فَإِنِّى
أَغْبَطُ النَّاسِ[2] إِذْ حَكَاهُ عُهُودا

يَا خَيَالَ[3] الحَبِيبِ أَغْمَضْتُ عَمْدًا
فَاسْتَعِدْ بِالإِغْمَاضِ[4] عِنْدِى[5] هُجُودا[6]

يَتَجَافَى عَنِ المَضَاجِعِ جَنْبِى
وَتُقَضِّى لَكَ[7] الجُفُونُ سُجُودا

أَتُرَى يَحْمِلُ النَّسِيمُ بَقَايَا
جَسَدِى أَوْ أَزُورُ يَوْمًا زَرُودا

[الطويل]

بِكَأْسِكَ[8] يَا سَاقِى المُحِبِّينَ يُهْتَدَى
فَكَمْ فِيهِ نَجْمٌ نُورُهُ قَدْ تَوَقَّدَا[9]

---

(١) ب: الجفون.
(٢) أ: الصبر. (٣) = ج.
(٤) ب: فالإغماض. (٥) أ: عنى.
(٦) الهجود، النوم.. وقيل «صلاة التهجد» لأنها تكون وقت النوم.
(٧) أ: وتمضى لك، ب: ثم تقضى لك، ج: ثم نقضى إلى.
(٨) الأبيات فى أ، ب.
(٩) ب: ضوءه يتوقدا!

www.alkottob.com

إذَا مَـا انْـقَـضَى سُكْـرُ النَّدَامَى وَشَـاهَدُوا

جَـمَـالَـكَ عَـادَ السُّكْرُ فِـيـهِمْ كَـمَـا بَدَا

تَجَلَّى بِـأَوْصَـافِ الجَـمَـالِ جَـمِـيـعَـهَـا

وَلَـكِـنَّـهُ لَـمَّـا تَـثَـنَّى تَفَـرَّدَا

وَأَوْحَى الَّذِى أَسْـرَى[1] إِلَى سِـرِّ عَـبْـدِه

فَـأَصْـبَـحَ جَـهْـرًا فِى الـمُـحِـبِّينَ[2] سَـيِّـدَا

٥ تَأَمَّـلْ تَرَى الأَلْـبَـابَ تُنْـهَـبُ جَـهْـرَةً

إِذَا هَوَ لِـلأَحْـبَـابِ فِـى سِـرِّهِـمْ بَدَا

وَإِيَاكَ وَالإِشْـرَاكَ فِى دِيـنِ حُـبِّـهِ[3]

وَلاَ تَكُ إِلاَّ بِـالجَـمَـالِ مُـقَـيَّـدَا

[الوافر]

١ أَتَرْغَـبُ[4] فِى الحَـيَـاةِ[5] وَلَحْظُ هِـنْدٍ

عَـلَـيْـنَـا مِـنْـهُ سُـلَّـتْ أَىُّ هِـنْـدِى[6]

تَعَـرَّضْـنَا لِـمُـقْـلَـتِـهَـا إِلَى أَنْ

تَرَاضَـعْـنَا كُـئُـوسَ هَـوىً وَوَجْـدِ

---

(١) أ: أوحى.

(٢) ب: المحبة.

(٣) ب: دين دينه.

(٤) الأبيات فى أ فقط.

(٥) فى الأصل: الحيوة.

(٦) فى الأصل: هند. . والهندى، السيف المصنوع من حديد الهند (لسان العرب ٣/ ٨٣٧).

www.alkottob.com

فَهَاتِ عَلَى اسْمِهَا كَاسِى فَأَنَّى
تُعَدِّى الكَأْسَ مَعْ ظَمْآنَ بَعْدِى

وَوَالِ كُئُوسَهَا حَتَّى تَرَانِى
وَعَيْنِى لاَ تَرَاكَ وَأَنْتَ عِنْدِى

مُدَامًا مَا الحَبَابُ بِهَا سِوَاهَا
لَهَا مِنهَا عَلَيْهَا أَىُّ عَقْدِ

أُنَاوِلُهَا نَدِيِى فَهْوَ مِثْلِى
وَفِيتُ بِعَهْدِهِ وَوَفَى بِعَهْدِى

كَتُومُ السِّرِّ لاَ أَلْقَاهُ غَيْرِى
إِذَا مَا كَانَ عِنْدِى كُنْتُ وَحْدِى

تَفَرَّقْنَا نَوَىً فَأَمَرَّ حُلْوِى
وَكَدَّرَ بِالتَّفَرُّقِ صَفْوَ وُدِّى

فَلَمْ أَرَ ذَا نَهُورٍ[1] مِثْلَ طَرْفِى
عَصَرْتُ الدَّمْعَ مِنْهُ فَجَاءَ وِرْدِى

وَلاَ كَحْشَاىَ تُقْدَحُ فِيهِ نَارٌ
تُذَكِّرُ مَالِكِيهِ بِغَيْرِ زِنْدِ

أَمَا مِنْ مُسْعِدٍ يَا سَعْدُ أَشْكُو
صَبَابَاتِى إِلَيهِ وَفَرْطَ وَجْدِى

---

(١) فى الأصل : نهارى .

www.alkottob.com

شَـرِبْتُ مُـدَامَ نُعْـمَى[1] مِنْ قَـدِيمٍ[2]
مُـرَوَّقَـةً وَلَيْـسَتْ ذَاتَ دُرْدِى[3]
فَـأَعْـجَـزَ بَـعْضُ أَيْسَـرِهَا بَنَانِى[4]
عَلَى بَذْلِى لَـهَـا مَـا فَـوْقَ جُـهْـدِى
فَـدَيْتُكَ جَـامِـعًـا لِلْفَـضْلِ، فِـيـه
يُؤَذِّنُ دَائِـمًـا مَـدحِى وَحَـمْـدِى
وَمُـشْـتَـاقٍ ذَكَـرْتُ لَهُ اسْم لَيْلَى
فَـهَـامَ وَذِكْـرُ الحُبِّ يُـعْـدِى
عَـلَـىَّ لَـهُ وَعِـنْـدِى مَـا يُـرَجَّـى
وَبُشْـرَى مِـنْ عَـلِـىٍّ لَـهُ وَعِـنْـدِى
لأَنِّـى قَـبْلَ مَـنْ جَـاءَ قَـبْلِى
هُنَاكَ وَبَعْـدَ مَنْ قَـدْ جَـاءَ بَعْـدِى
وَلِى فِـى مَـا يُقَـالُ كَـلَامُ حُـرٍّ
وَفِى مَـالاَ يُـقَـالُ سُكُونُ عَـبْـدِ[5]

---

(١) فى الأصل: نعم.

(٢) الإشارة إلى توحيد الأرواح فى عالم الذَّرِّ، وهو ما أشار ابن الفارض إليه حين قال فى مطلع قصيدته الخمرية:

شَرِبْنا عَلَى ذكرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنا بِهَا مِنْ قَبْلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

(٣) الدردى؛ ما يركد فى أسفل الخمر من الشوائب، وهو أيضا: الخميرة التى تترك على العصير والنبيذ ليتخمر (لسان العرب ١/ ٩٦٥).

(٤) كلمات هذا الموضع غير مقروءة تمامًا فى الأصل.

(٥) يبدو أن التلمسانى قد أراد الحديث عن اتحاده بالحقيقة الأزلية السارية من بدء الخلق إلى منتهاه، وهى ما يعرف عند الصوفية بالحقيقة المحمدية.. لكنه آثر ـ بعد بضع إشارات ـ الإحجام عن الخوض فى ذلك المفهوم الدقيق، لأنه أمر بحسب تعبيره: مما لا يقال!

www.alkottob.com

[الطويل]

١ هَلُمَّ[١] نُقَضِّى الفَرضَ لِلأَجْرَعِ الفَرْدِ
بِوِرْدِ المَطايَا مَنْهَلَ المُدْمِعِ الوَرْدِ
فَفِى مِثْلِ هَذَا السَّفْحِ يُبْرِدُ عَاشِقٌ
حَشَاهُ بِسَفْحِ الدَّمْعِ فِى مَسْحَبِ البُرْدِ
وَقَفْنَا بِرَبْعِ العَامِرِيَّةِ مَوْقِفًا
بِهِ الحُرُّ مَبْذُولُ الحَشَاشَةِ كَالعَبْدِ
سُكَارَى حَيَارَى أَعْيُنٍ فَكَأَنَّمَا
أَضَلَّ بِنا حادٍ مُجِدٌّ عَنِ القَصْدِ
٥ وَفِى الحَىِّ غَيْرَانُونَ كَادَتْ نُفُوسُهُمْ
تَمَيَّزُ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْنا وَمِنْ حِقْدِ
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ غَيْرَةً مِنْ حُلُولِنَا
بِلَيْلَى مَحَلَّ المُكْرَمِينَ مِنَ الوَفْدِ
وَلَمَّا عَرَفْنا عَرْفَهَا نَزَّهَ الهَوَى
شَذَا عَرْفِهَا النَّدِىِّ عَنْ وِجْهَةِ النِّدِّ
فَلَمْ[١] نَرَ إِلاَّ أَوْجُهًا عَرَبِيَّةً
عَلَى العُرْبِ عُجْمَ اللَّفْظِ مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) الأبيات التالية غير واضحة فى الأصل، ويزيد من صعوبة قراءتها كونها غير منقوطة فى معظم الأحيان!

www.alkottob.com

وَكَمْ كَبِدٍ حَرَّى تُكَابِدُ مَا بِهَا
وَصَفْحَةِ خَدٍّ فِيهِ لِلدَّمْعِ كَمْ خَدِّ
وَكَمْ ثَمَّ جِيدٍ لِلرَّنَا[1] لَيْسَ عَاطِلاً
ضَمَمْنَا عَلَيْهِ اللَّثْمَ عِقْدًا عَلَى عِقْدِ
وَلَمْ يَدَعِ الوَرْقَاءَ لِلنَّوحِ وَحْدَهَا
فَتَىً قَائِلاً: إِنِّي المُعَنَّى بِهَا وَحْدِي
وَمِتْنَا لَهَا طولَ الحَيَاةِ[2] وَقَدْ بَدَتْ
عَلَى عَهْدِهَا وَالرَّسْمُ فِي الرَّسْمِ وَالعَهْدِ
فَمَنْ يَرَ بُدّاً مِنْ فَنَاهُ فَلَيْسَ مِنْ
فَنَاءٍ ـ رَعَاكَ اللَّهُ يَا سَعْدُ ـ مِنْ بُدِّ
وَمَنْ يَرَ عَنْهَا البُعْدَ يَقْتُلُ فَالَّذِي
أَرَى أَنَّ قَتْلَ القُرْبِ أَرْجَى مِنَ البُعْدِ
فَيَبْقَى الَّذِي مَعْنَى البَقَاءِ لِوَجْهِهِ
دَوَامًا وَيَفْنَى مَنْ بَقَاهُ إِلَى حَدِّ[3]

---

(١) فى الأصل: الرنى.. والرنا؛ المنظور إليه (انظر: لسان العرب ١/ ١٢٣٦).

(٢) فى الأصل: الحيوة.. والإشارة هنا إلى المعنى الصوفى القائل: موتوا قبل أن تموتوا (الموت هنا بمفهومه الصوفى الذى عرضنا له فيما سبق).

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: «كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الإجلال والإكرام..» (الرحمن: ٢٧).

www.alkottob.com

[الطويل]

١ نَسِيمَ[١] الصِّبَا، أَذْكَرْتَنِى العَهْدَ بالوَادِى
وَهَيَّجْتَ أَشْوَاقًا شَقَقْنَ فُؤَادِى

فَإِنْ كُنْتَ تُحْيِى مَيِّتَ الهَجْرِ وَالجَوَى
بِقَتْلِ[٢] الهَوَى، أَحْيَيْتَنِى بِمُرَادِى

فَإِنَّىَ مُذْ فَارَقْتُ أَحْبَابَ مُهْجَتِى
وَعُوِّضْتُ مِنْ قُرْبٍ لَهُمْ بِبِعَادِ

جُفُونِى جَفَتْ نَوْمَ الدُّجَى لِمَضَاجِعِى
وَصِرْتُ جَلِيسًا لِلسُّهَا بِسُهَادِى

٥ فَيَا ذَلِكَ الدَّانِى إِلَىَ ذَلِكَ الحِمَى
إِذَا مَا أَنَخْتَ العِيسَ فِى ذَلِكَ الوَادِى

فَنَادِ بِهِ السُّكَّانَ: أَسْكَنْتُمُ الحَشَا
وَقُودَ لَظَىً، فَالجَمْرُ صَارَ مِهَادِى

فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِى اللَّيْلِ مَيْلاً لِمَضْجَعِى
أَأَهْجَعُ وَالنِّيرَانُ حَشْوُ وِسَادِى

رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى[٣]
وَلَيْلاً نَفَى فِيهِ الوِصَالُ رُقَادِى

---

(١) الأبيات فى أ فقط.

(٢) فى الأصل: قتيل.

(٣) منعرج اللوى: موضع يشير به التلمسانى إلى زمن القرب.

www.alkottob.com

[الطويل]

١ كَـــأنَّ عِـــذارَ[١] مَـنْ أحِبُّ بِـخَـــدِّهِ
رِضَـــاهُ[٢] وَفِـــيـهِ بعْـضُ آثَارِ[٣] صَـــدِّهِ
رَشِـيـقُ التَّـثَـنِّي[٤] رَاشِقُ الجَـفْنِ فَـاتِكٌ
جُـيُـوشُ الهَـوَى مِنْ تَحْتِ رَايَةِ قَـصْـدِهِ[٥]
يُكَلِّفُ رِدْفَـيْـهِ مِـنَ الثِّـقْلِ مِـثْلَ[٦] مَـا
يُكَـلِّفُ مِنْ ثُـقْلِ الهَـوَى قَلْبَ عَـبْـدِهِ
يَمُـوجُ غَـدِيرٌ[٧] تَحْتَ غُـصْنِ قَـوَامِـهِ
وَتُعْـبَـانُ ذَاكَ الشَّـعْـرِ ظَامٍ[٨] لِوِرْدِهِ
٥ تَوَلَّى[٩] قَـضَـايَا الحَلِّ وَالعَـقْـدِ بَـنْدُهُ
فَـضَاقَ مَـجَـالُ الخُـصْـرِ مِنْ عَـقْـدِ بَنْدِهِ[١٠]
فَـإِنْ كَـانَ مِـنْ خَـدَّيْهِ نَارٌ دُخَـانُهَـا
بِصُـدْغَـيْـهِ[١١] فَـالجَنَّاتُ مِنْ تَحْتِ بُرْدِهِ

---

(١) ب، ج: عذارى.
(٢) ب: رضاء.
(٣) ج: من بقية.
(٤) ب: التجنى.
(٥) ب: آثار بنده، ج: نحف قده.
(٦) أ: يكلف رد فيه من الأثل مثل ما.
ب: يكلف عطفيه من الحمل مثل ما.
جـ: يحمل عطفيه من الالات ثقل ما.
(٧) ج: عديدا.
(٨) ب: ضام.
(٩) = ج.
(١٠) البند؛ العلم الكبير من أعلام الروم. . وهو أيضا: الذى يسكر من الماء!
(١١) أ، ضرامها بقلبى.

www.alkottob.com

فَلا تَلْتَمِسْ إنْجَازَ مَوْعِدِ جَفْنِه[1]

فَفِيهِ فُتُورٌ فَالْتَمِسْ[2] خُلْفَ وَعْدِهِ

فَإنْ[3] كَانَ يَهْوَى الخُلْفَ ـ أَفْدِيهِ ـ مَالَهُ

يُوَافِقُ فِى قَتْلِ[4] المُحِبِّ بِجَهْدِهِ

فَخَرْتُ[5] بِحُسْنِ النَّظْمِ فِيهِ فَقَالَ لِى

تَعَلَّمْتَهُ مِنْ نَظْمِ ثَغْرِى وَعِقْدِهِ

وَلَمَّا رَأَى دَمْعِى دَمًا ظَنَّ خَدَّهُ

تَرَاءَى[6] لِدَمْعِى فَاكْتَسَى لَوْنَ وَرْدِهِ[7]

وَلَوْ[8] أَنَّ قَلْبِى حَازَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ

سَلَوْتُ، وَلَكِنْ حَازَ رِقَّةَ خَدِّهِ

وَقَدَّمْتُ دَمْعِى رَشْوَةً وَهْوَ لُؤْلُؤٌ

فَمَا جَادَ لِى، يَالَيْتَ[9] جَادَ بِرَدِّهِ

أُحَيِبَابَنَا[10] أَنْتُمْ لَنَا[11] القَصْدُ وَالمُنَى

أَيَرْغَبُ صَبٌّ عَنْ مُنَاهُ وَقَصْدِهِ

---

(١) ب: وعد جفونه.

(٢) أ: والتمس. (٣) ج: وإن.

(٤) ج: فتك. (٥) ب: فجزت.

(٦) ب: براء، ج: ترا آى!

(٧) ب: خده.

(٨) = ب، أ: فلو.

(٩) أ: فياليت إذ لم يجد.

(١٠) ب: أحبابنا.

(١١) أ: هم.

www.alkottob.com

حَلَلْتُمْ مِنَ القَصْرَيْنِ قَلْبِى وَنَاظِرِى
وَمَا أَحْكَمَ المَوْلَى عَلَى مِلْكِ[1] عَبْدِهِ

١٥ فَإِنْ قُلْتُمُ مَا الشَّامُ مِصْرٌ فَذُو[2] الصَّفَا
يَرَى القُرْبَ[3] فى التَّوْحِيدِ[4] من غَيْرِ بُعْدِهِ

[الرمل]

١ بِذِمَامِ[5] الحُبِّ[6] يَا أَهْلَ زَرُود
مَنْ تُرَى عَلَّمَكُمْ نَقْضَ العُهُودِ[7]
أَتُرَاكُمْ قَدْ مَلَلْتُمْ[8] عَبْدَكُمْ
أَمْ سَمِعْتُمْ فِيهِ أَقْوَالَ الحَسُودِ
هَكَذَا كُلُّ مُحِبٍّ لَكُمْ
أَمْ أَنَا المخْصُوصُ وَحْدِى بِالصُّدُودِ
كَيْفَ مَا شِئتُ[9] فَكُونُوا سَادَتِى
أَنَا فى حُبِّى لَكُمْ بَعْضُ الْعَبِيدِ

٥ وَلَكُمْ عُهْدَةُ رِقِّى كُتِبَتْ[10]
بِمِدَادِ الدَّمْعِ فى رَقِّ الخُدُودِ

---

(١) أ: قلب، ب: حكم.
(٢) ب: ما السماء وذا الصفا، أ: فذو صفا.
(٣) ب: القلب.
(٤) التوحيد هنا، إشارة إلى الوحدة بمفهومها الصوفى.
(٥) الأبيات فى أ، ب وساقطة من ج.
(٦) بذمام الحب هنا، أمر يستخلف به العاشق أحبته.
(٧) ب: العهودى.. وكذا الحال فى بقية الأبيات!
(٨) ب: ملكتم. (٩) أ: كنتم. (١٠) ب: كتب.

www.alkottob.com

كُلَّمَا رُمْتُ تَقَاضِى وَصْلِكُمْ
وَقَفَ الإِجْلاَلُ بِى دُونَ وُرُودِ[1]

[الكامل]

١ لَوْ كُنْتُ فِيهِ هَائِمًا وَحْدِى
لَعَذَرْتُ[2] عُذَّالِى عَلَى وَجْدِى
أَمَا[3] وَكُلُّ الكَوْنِ يَعْشَقُهُ
فَعَلاَمَ أُخْفِى فِيهِ مَا عِنْدِى[4]
هَامَ النَّسِيمُ بِلُطْفِهِ فَلِذَا
ظَهَرَ اعْتِلاَلٌ[5] فِى صَبَا نَجْدِ
وَلَهُ عُيُونُ الزَّهْرِ رَامِقَةٌ
بِنَوَاظِرٍ مُلِئَتْ مِنَ الشُّهْدِ
١ وَأَبِيكَ، لَوْلاَ لِينُ قَامَتِهِ
مَا اشْتَقْتُ[6] لِينَ مَعَاطِفِ الرَّنْدِ
يَا قَاتِلِي وَجَوَانِحِي أَبَدًا
تَشْتَاقُهُ فِى القُرْبِ وَالبُعْدِ

---

(١) فى أ: دون وجودى. . ثم التحقت فى النسخ أ، بتلك الأبيات الثلاثة التى وردت قبل ذلك منفصلة فى أ، والتى يقول مطلعها: يا أهيل الحى من ذاك الحمى!

(٢) ب: لعذلت. (٣) أ: أنا.

(٤) عشق الكون لله تعالى، مشهد يعرج إليه الصوفى فى رحلة ترقِّيه من الخلق إلى الحق. . فيرى حقائق الأشياء ـ بعين قلبه ـ منجذبة إلى الخالق عزو وجل. وهنا يتساءل التلمسانى: إذا كانت أجزاء الكون منجذبة إلى الله، فلماذا يخفى هو انجذابه إليه تعالى!

(٥) أ، ب: اعتدال. (٦): ما شتقت، ج: ما شقت

www.alkottob.com

لَكَ أنْ تَجُورَ عَلَيَّ يَا أمَلى
وَعَلَيَّ أَنْ أَرْضَى بِمَا تُبْدِى
وَلَئِنْ[1] أَرَاقَ دَمِى هَوَاكَ[2] فَيَا
شَرَفى وَيَا حَظِّى وَيا سَعْدى
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ إذْ خَفِيتَ ضَنًا
فَكَأَنَّنا كُنَّا[3] عَلَى وَعْدِ
لَكَ نَاظِرٌ أبَدًا لِحَاجِبِهِ[4]
يَشْكُو ظُلَامَةَ عَامِلِ الْقَدِّ
لَكَ عَارِضٌ[5] لَمَّا اعْتَرَضْتُ رَأى
إطْلَاقَ جَارِى الدَّمْعِ فى نَقْدِى[6]

[الخفيف]

مَا أضَا البَرْقُ[7] اللَّمُوعُ بِنَجْدِ
إنَمَا ذَاكَ مِنْ تَبَسُّمِ هِنْدِ
وَإذَا[8] قَارَنَ[9] الغَمَامَ بُرُوقٌ[10]
فَهْىَ لَوْ تَعْلَمُونَ مِنْ نَارِ وَجْدِى

---

(١) أ، ب: لين.
(٢) ب، ج: هواك دمى.
(٣) أ: فكأنما كانا، ج: فكأنما كنا.
(٤) ب: لواحظه.
(٥) ب، ج: ولعارض.
(٦) أ، ج: نقد.
(٧) ج: البرق.
(٨) أ، ج: فإذا.
(٩) ب: ما علا، ج: فارق.
(١٠) أ: الغمائم برق، ب: الغرام برق.

www.alkottob.com

سَـــامَحَ اللـه مُـــقْلَةً فَـــتَكَتْ بى[1]

إنَّ قَـتْلِى مَـا كَـانَ[2] مِنْهَـا بِقَـصْـدِ

مَـــادَرَتْ إذْ رَنَـتْ بِجَـــفْنٍ[3] سَـقِـــيم

فَـــاترٍ[4] أَنْ ذَلِكَ السُّـــقْمَ يُـعْـــدِى

لَيْـــتَـــهُ[5] بَاعَنِى نُعَـــاسًـــا[6] تَشَكَّى

ثُقْلَهُ وَاشْـتَـرَى بِـهِ بَعْضَ سُـهْـــدِى

يَـا رَشِـيقَ القَـــوَامِ كَـيْفَ[7] بِرُشْـدِى

وَتَـثَنِّـى عِـطْفَـــيْكَ أَتْـلَـفَ رُشْـــدِى

هَاتِ كَـــأسِى فِى حُـــبِّـــهِ يَـا نَدِيمِى

فَـــهْىَ تُـعْـزَى مِنْهُ لِـثَـغْـــرٍ وَخَـــدِّ

وَاجْلِـهَـــا فِـى غِـــلاَلَـةٍ مِنْ[8] نُضَـــارٍ

دَرَزَتْهَـــا[9] يَدُ الـمِـــزَاجِ بِـعِـــقْـــدِ

---

(١) ج: قتلتنى، ب: فتكت فى.

(٢) + أ.

(٣) ب: بطرف.

(٤) ـ ب.

(٥) الأبيات الأربعة التالية وردت قبل ذلك منفردة فى المخطوطة أ، ثم تكرر ورودها هنا.. وفى ب بدأ الناسخ بها صفحة جديدة، فبدت منفصلة! أما فى ج فقد اتصل التسلسل الخاص بالأبيات.

(٦) ب: نعاس.

(٧) ج: لبس.

(٨) ج: غلالتين.

(٩) الدرز، الخياطة والحياكة.. وهى كلمة فارسية معربة (لسان العرب ١/ ٩٦٨) ويبدو أن الكلمة لم تعجب ناسخ ب فكتبها: طرزتها!

www.alkottob.com

[المتقارب]

١ تَـذَكَّـــرْتُ مِـنْ رَامَـــةٍ مَـــوْرِدا
إلى مَـــائِهِ الـعَـــذْبِ أَشْكُو[١] الصَّـــدا
مَنَـازِلُ قَـــدْ نَزَلَتْـــهَـــا سُـــعَـــادُ
وَإِلاَّ فَـمَـــا الطَّيْـــرُ فِـــيـهِـــا شَـــدا[٢]
لَثَـــمْتُ ثَـرَى أَرْضِـــهَـــا بِالجُـــفُـــونِ
وَمِنْ شَـــغَـــفِى خِلْتُـــهَـــا أَثْمَـــدا
وَصَـــوَّرَهَا الـوَجْـــدُ[٣] لِى كَـــعْـــبَـــةً
فَـــأَلْزَمَنِى الشَّـــوْقُ[٤] أَنْ أَسْـــجُـــدا
أُقَـــبِّـــلُ مُـــبْـــيَضَّ أَرْكَـــانِـهَـــا
كَـــتَـــقْـــبِـيلِى الحَـــجَـــرَ الأَسْـــوَدا

[السريع]

١ قِـــمْـــرِيَّةُ الأَسْـــحَـــارِ لِى تُسْـــعِـــدُ[٥]
أُنْشِـــدُ فِى غُـــصْـنِى[٦] كَـــمَـــا تُنْشِـــدُ
بِى شَـــــادِنٌ[٧] قَـلْـبِى شَـــــقِـىٌّ بِـهِ
وَجْـــدًا وَطَرْفِى نَظَـرًا[٨] يَـسْـــعَـــدُ

---

(١) جـ: شكو.
(٢) ب، جـ: الطيب فيها سدا.
(٣) ب: الشوق. (٤) جـ: الوجد.
(٥) ب: قمرى به الأشجار لا تسعد!
(٦) ب: الغصن. (٧) أ: وشادن. (٨) ب: ناظرا.

www.alkottob.com

وَاعَـــجَـــبًـــا[1] مِـنْ رَمَـــد نَالَـهُ
وَخِـلْـتُ أَن الـبَـــــدْرَ لاَ يَـرْمَـــــدُ
كَـيْفَ اكْـتَـسَتْ مُـقْـلَتُـهُ حُـمْـرَةً
وَالنَّـرْجِسُ الأَحْـمَـــرُ لاَ يُعْـهَـــدُ[2]
٥ هَارُوتُـهَـــا أَضْـحَى وَمَـــارُوتُهَـــا[3]
عِلْـمَـهُـمَـــا بِالسِّـحْـرِ لاَ يُـجْـحَـدُ

[الطويل]

١ وُجُـودٌ وَحَـسْـبِـى أَنْ أَقُـولَ[4] وُجُـودُ
لَـهُ كَـــرَمٌ مِنْـهُ عَلَيْـــهِ وَجُـــودُ[5]
تَـنَـزَّهَ عَـنْ نَـعْـتِ الـكَـمَـــــالِ لأَنَّـهُ
بِمَـعْنَى[6] اعْـتِـبَـارِ النَّقْصِ فِـيـهِ يَعُـودُ[7]
وَلَكِـنَّهُ[8] فِـــيـــهِ الكَـمَـــالُ وَضِـــدُّهُ
لَهُ مِنْهُ وَالـمُـجْـمُـوعُ[9] فِـيـهِ صُـمُـودُ[10]

---

(١) ب: عجب. (٢) أ: يوجد.
(٣) الإشارة إلى سحر هاروت وماروت
(٤) ب: يقال. (٥) ب: يجود.
(٦) ب: معنا، جـ: لمعنى. (٧) أ: يود.
(٨) × أ. (٩) ب: لما بدأ منه الجموع.
(١٠) يرى الصوفية أن مرتبة الألوهية تجمع الأجزاء جميعا، فهى الرتبة الجامعة المشتملة على سائر حقائق الوجود الحقى والخلقى. . يقول الجيلى: اعلم أن جمع مراتب الوجود وحفظها فى مراتبها، تسمى الألوهية! والوجود والعدم متقابلان، وتلك الألوهية محيطة بهما، لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث والحق والخلق والوجود والعدم [الإنسان الكامل ١/ ٢٣] ومن هنا قال التلمسانى إن الوجود، الذى هو المجلى التام للألوهية، فيه الكمال وضده. . يعنى الكمال والنقص باعتبارهما من متقابلات الوجود! وقوله عقب ذلك [المجموع فيه صمود] إشارة إلى رتبة الإحاطة.

www.alkottob.com

وَأَشْـــرَفُ أَشْكَالِ الكَنَائِفِ مَـــا بِهِ [م]
اسْتَدَارَتْ كُرَاهُ(١) فَهْيَ مِنْهُ سُعُودُ(٢)

٥ لِحَيْطَتِهَا(٣) الأَشْكَالُ فِيهَا بِأَسْرِهَا
وَمِنْهَا إِلَيْهَا تَبْتَدِي وَتَعُودُ
وَقُوَّتُهَا تُعْطِي التَّنَوُّعَ كُلَّهُ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا فِي الكَمَالِ مَزِيدُ
سِوَى قُوَّةِ الإِطْلَاقِ فَهْيَ مُحِيطَةٌ
بِسَطْوَتِهَا كُلُّ الكُرَاتِ تَبِيدُ(٤)
كَذَا حَرَكَاتُ الدَّوْرِ أَشْرَفُ مَا بِهِ
تَحَرُّكُ جِسْمٍ كَيْ يَنَالَ قُصُودُ
فَتَشْمَلُ أَنْوَاعَ التَّحَرُّكِ كُلِّهِ
فَفِي كُلِّ آنٍ خَلْقُهُنَّ جَدِيدُ(٥)

---

(١) ب: كياه!!

(٢) أ: وهى فيه صعود، ٣ج: وهن سعود.

(٣) يقول ابن سبعين فى رتبة الإحاطة التى يتحدث عنها التلمسانى هنا: إن الخارج عن الإحاطة ممنوع ومعدوم، والداخل فيها قد أحاطت به، وليست هى كالمكان، ولا يمكن فيها المكان والزمان ولا العدد ولا الإضافة.. فهى إحاطة تحيل العدد إلى واحد، ثم تمنع زمن الإحاطة وزمان الجمع وزمان التفرقة! وهى الله فى الحقيقة! فالإحاطة شبه مغناطيس، والموجودات كالحديد، والنسبة الجامعة بينها هوية الوجود، والذى فرق بينهما هو وهم الموجود [ابن سبعين: رسالة الإحاطة ـ مخطوط ـ عن ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور/ أبو الوفا التفتازانى ص ٢٢٠ وما بعدها] ولا يخرج التلمسانى هنا عن كونه ناظما لهذه الفكرة السبعينية شعرا.

(٤) إشارة إلى دخول كل دوائر الوجود الخلقى فى رتبة الإحاطة التامة، إذ إن سطعات الوحدة تتلاشى معها كل ظلمات الموجودات.

(٥) الآية: بل هم فى لبس من خلق جديد.. (ق: ١٥).

www.alkottob.com

١٠ مَعَانٍ بِهَا مِنْهَا عَلَيْهَا أَدِلَّةٌ
وَفِيهَا لَهَا فِيمَا تَرُومُ شُهُودُ[١]
وَلَوْلاَ انْخِرَامُ الكُلِّ بِالقُوَّةِ الَّتِى
لإِطْلاَقِهَا فِى جَمْعِهِنَّ قُيُودُ
لَمَا عُدِمَ المَوْجُودُ يَوْمًا وَلاَ انْقَضَتْ
رُسُومٌ بِأَنْوَاعِ البَلاَ[٢] وَحُدُودُ
وَلَكِنَّهَا تَأْتِى النِّهَايَةَ وَصْفُهَا[٣]
فَلَيْسَ لَهَا فِى الدَّوْرِ قَطُّ جُمُودُ[٤]
وَلَوْ وَقَفَتْ يَوْمًا بِحَدِّ لَنَالَهَا[٥]
بِهِ عَدَمٌ هَيْهَاتَ وَهْىَ وجُودُ[٦]

[الطويل]

١ إِذَا كُنْتِ بَعْدَ المَحْوِ[٧] فِى الصَّحْوِ[٨] سَيِّدًا
إِمَامًا مُثَنَّى[٩] النَّعْتِ بِالذَّاتِ مُفْرَدَا

---

(١) الآية: شهد الله أنه لا إله إلا هو . . (آل عمران: ١٨).
(٢) ب: البكاء . . والإشارة إلى فناء عالم الأجسام. (٣) ب: نهاية وضعها.
(٤) الدور هنا: إشارة إلى دوام الإيجاد بترادف التجليات الإلهية التى تتوالى فلا تتوانى، وتتنوع ولا تنقطع . . فهى كل يوم فى شأن جديد، ولها فى كل شأن مظاهر وجود شاهدة بالمتجلى عز وجل! وبخصوص تفصيل هذه النقطة، يمكن الرجوع إلى فصوص الحكم لابن عربى [الفص الآدمى].
(٥) ب: لما لها. (٦) إشارة إلى تنوع التجليات الإلهية ودوامها بلا انقطاع.
(٧) للمحو عند الصوفية عدة مراتب يوضحها القاشانى فى [اصطلاحات الصوفية ص ٧٩] على النحو التالى:
- محو أرباب الظواهر: رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة، ويقابله الإثبات الذى هو إقامة أحكام العبادة واكتساب الأخلاق الحميدة.
- محو أرباب السرائر: إزالة العلل والآفات، ويقابله إثبات المواصلات؛ وذلك برفع أوصاف العبد ورسم أخلاقه وأفعاله بتجليات صفات الحق وأفعاله وأخلاقه، كما قال: كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به.
- محو الجمع الحقيقى: فناء الكثرة فى الوحدة.
- محو العبودية ومحو عين العبد: إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان . . ومعرفة أن الوجود ليس إلا عين الحق تعالى، والإضافة نسبة ليست لها وجود فى الخارج.
(٨) انظر معنى الصحو، فيما سبق. (٩) ب: مبين.

www.alkottob.com

فَمَا الرَّسْمُ إلاَّ مَانِعٌ غَيْرُ[1] حَاجِزٍ
حَصِينٍ[2] بِهِ[3] الإطْلاَقُ لَنْ[4] يَتَقَيَّدا

وَذَاكَ لأنَّ الفَرْقَ[5] صَارَ تَوَهُّمَا
بِهَيْئَتِهِ وَالجَمْعُ[6] فَرْدًا[7] كَمَا بَدا

وَمِنْ[8] قَوْلِهِمْ: مَا قَامَ إلاَّ مُحَمَّدٌ[9]
دَلِيلٌ بِهِ حُكْمُ الصَّوَابِ تَأَيَّدا[10]

رَفَعْنَا[11] عَنِ[12] الإعْرَابِ رَفْعَ مُحَمَّدٍ
لِقَامَ، وإلاَّ[13] عَنْهُ تَنْفِي مُحَمَّدا[14]

وَإذْ[15] لَمْ يَكُنْ مَا قَامَ، يَطْلُبُ فَاعِلا
سِوَاهُ رَفَعْنَاهُ بِهِ[16] فَتَأَكَّدا

---

(١) ب: دون.
(٢) جـ: خضير.
(٣) ب: بها.
(٤) ب: لم.
(٥) فى الدلالة الصوفية للفرق، يقول القاشانى: الفرق الأول الاحتجابَ بالخلق عن الحق، وبقاء الرسوم الخلقية بحالها. والفرق الثانى هو شهود قيام الخلق، ورؤية الوحدة فى الكثرة والكثرة فى الوحدة من غير احتجاب [اصطلاحات الصوفية ص ١٣٦].
(٦) الجمع عند الصوفية: شهود الحق بلا خلق.. وجمع، الجمع: شهود الخلق قائما بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع [اصطلاحات الصوفية ص ٤١].
والتلمسانى هنا يشير إلى سقوط مفاهيم الفرق والجمع بعد التحقق التام بالإحاطة والوحدة المطلقة.
(٧) ب: والفرد جمعا. (٨) = جـ.
(٩) فى جـ: محمداً.. وسوف يسعى التلمسانى لتحليل القواعد النحوية فى هذه العبارة مازجا بين قواعد النحو واصطلاح الصوفية، ومستغلا كل إمكانيات التعبير الشعرى؛ كى يؤكد على نظريته فى الوحدة.
(١٠) عجز البيت ساقط من ب. (١١) صدر البيت ساقط من ب.
(١٢) أ: على. (١٣ جـ: ولما.
(١٤) ب: ولاء عنه يبقى مخلدا! (١٥) جـ: إذا.
(١٦) ب: بها.

www.alkottob.com

فـــإلاَّ، وَإنْ دلَّتْ عَـلَى الـفَـــرْقِ ظَاهِـرًا

فَـتَحْـقِـيقُ حُكْمِ الرَّفْعِ[1] يَجْـعَلُهَا سُـدَى[2]

فـــلاَ تُطِعِ الإيجَـــابَ إلاَّ تَـقِـــيَّـــةً[3]

بِهَـا وَاعْـتَمِـدْ فِى سَلْبِ إيـجَابِهَـا الهُـدَى[4]

كَـــذَلِكَ[5] وَالسَّلْبُ[6] الَّذِى ابْتَـــدَأْتَ بِه

شَـهَـادَتُنَا[7] مَـا كَـانَ شيءٌ فَـيُـجْـحَـدا

١٠ فَـتَـحْـقِـيقُ ذَاكَ النَّفْيِ إثْـبَـاتُ وَاحِـدٍ

وَمَنْ وَجَدَ[8] الإثْبَاتَ فِى نَفْيِـهِ اهْتَـدَى[9]

[البسيط]

١ لِلْقُـضْبِ بِالزَّهْرِ أَجْـيَـابٌ وَأَجْـيَـادُ[10]

تَـدْنُـو إلَيْـكَ وَتَـنْـأَى[11] حِـينَ تَـنْـآدُ[12]

---

(١) ب: الفرق.

(٢) . . سدا.

(٣) أ، جـ: بقية. . والتقية: هى إظهار الإنسان خلاف ما يعتقده، خوفا من بطش الآخرين به، خاصة إن كانوا على غير مذهبه. وهى أصل من أصول التشيع، لجأ إليه الشيعة هربا من بطش السُّنة بهم.

(٤) ب: الهدا.

(٥) = ب.

(٦) جـ: لذلك أسباب.

(٧) الإشارة إلى شهادة: لا إله إلا الله.

(٨) جـ: وحد.

(٩) ب: الأسباب فى فعله هذا.

(١٠) ب: للغصن بالدوح أحباب وأجناد!

(١١) ب: ثناء.

(١٢) أ، ب: تنقاد.

www.alkottob.com

وَلِلْحَبَابِ عَلَى[1] سُقْمَى[2] جَدَاوِلِهَا
لِلسَّيْفِ[3] وَالعِقْدِ نَضَّاءٌ[4] وَنَضَّادُ[5]

وَلِلنَّسِيمِ عَلَى الآفَاقِ[6] زَمْزَمَةٌ
وَلِلحَمَائِمِ بِالأَعْوَادِ[7] أَعْوَادُ[8]

فَهَاتِ كَأْسَكَ أَوْ[9] لُطْفًا يَقُومُ لَنَا
مَقَامَ كَأْسِكَ يَبْقَى حِينَ تَنْقَادُ[10]

٥ فَمَا[11] المُدَامَةُ أَحْلَى مِنْ حَدِيثِكَ إِذْ
يَجْلُوهُ لِلسَّمْعِ إِنْشَاءٌ[12] وَإِنْشَادُ

أَوْ خُذْ[13] حَدِيثَ غَرَامِي فَاتَّخِذْ سَمَرًا[14]
فَفِيهِ لِلسَّمْعِ إِسْعَافٌ وَإِسْعَادُ

بِي شَادِنٌ لِغَرَامِي شَارِدًا[15] أَبَدًا
وَلِلتَّصَبُّرِ نَقَّاءٌ وَنَقَّادُ

---

(١) جـ: وللجنان على . . وباقى الشطر ساقط!
(٢) غير واضحة فى أ.
(٣) أ: للسبق. (٤) ب: الدر نضام.
(٥) النضو؛ التجريد والخلع . . يقال: نضا السيف، إذا سلَّه من غمده [لسان العرب ٣/ ٦٥٩] والنضد، التركيب والتنسيق . . يقال: نضد العقد، إذا نظمه.
(٦) جـ: الأوقاف. (٧) ب: بالأغوار.
(٨) ب: أعياد، جـ: عواد . . وأعواد التى اخترناها من أ: جمع عود.
(٩) ب: إذ. (١٠) أ: تناد.
(١١) = جـ. (١٢) أ: إفشاء.
(١٣) ب، جـ: وخذ.
(١٤) ب: واتخذ سكر، جـ: واتخذ سكنا.
(١٥) أ: شايد.

www.alkottob.com

كَمْ فِى غَـــرَامِى بِـهِ وَاشٍ وَوَاشِـيَـــةٌ
وَكَمْ مَعَ الدَّهْرِ حُسَّـابٌ[1] وَحَسَّـادُ
وَكَمْ عَلَىَّ إِذَا مَـــا غِـــبْتُ عَنْهُ وَكَمْ
فِى حِينِ أَحْـضُـــرُ نَقَّـــالُ وَنَقَّـــادُ

[الكامل]

١ لاَ تَطْـمَـــعَنَّ[2] فَـــمَـــا سُلُوٌّ فُـــؤَادِه
فِى وُسْعِ طَاقَـتِـهِ[3] وَلاَ اسْـتِـعْـدَادِه
هَيْـهَـاتَ أَنْ يُصْـغِى إِلى غَـيْـرِ الهَـوَى
قَلْبُ الـمُـحِبِّ فَـإِنْ[4] شَكَكْتَ فَنَادِه
أَعْطَى هَوَى لَيْـلَى جَـمِـيعَ رُسُـومِـهِ
إِلاَّ[5] مُـنَـيْـزِلَـةَ الَّـذِى بَـفُـؤَادِه
لَوْ كُـنْتُ أَمْـلِكُ وَصْـلَهُ عَـانَـقْـتُـهُ
حَـتَّى أَرَى[6] التَّـوْحِـيـدَ فِى تَعْـدَادِه
٥ لَكِـنَّنِى مَـارُمْتُ أَشْـهَـدُ حُـسْـنَهُ
إِلاَّ فَنِيتُ فَـغِـبْتُ عَنْ[7] إِشْـهَـادِه

---

(١) ب: حسام.
(٢) الأبيات فى ب، جـ.
(٣) ب: طاعته.
(٤) ب: قلب وإلا أن.
(٥) عجز البيت ساقط من ج.
(٦) جـ: لذا.
(٧) ب: فى.

www.alkottob.com

[الوافر]

١ صَبَا[١] لِرُبَا[٢] الأَرَاكِ[٣] وَحَيِّ هِنْدِ
طَرِيحُ صَبَابَةٍ وَحَلِيفُ وَجْدِ
وَهَاجَتْهُ البُرُوقُ فَحَنَّ شَوْقًا
إِلَى رَشْفِ اللَّمَى مِنْ ثَغْرِ هِنْدِ[٤]
سَكِرْتُ وَمِنْ شَمَائِلِهَا شَمُولِى
وَمِنْ وَجَنَاتِهَا آسِى وَوَرْدِى
مُحَجَّبَةٌ وَلَكِنْ فِى ضَمِيرِى
بِمَوْطِنِ[٥] صَبْوَتِى وَمَحَلِّ وُدِّى
٥ وَأَشْهَدَنِى تَذَكُّرُهَا جَمَالاً
أُنَزِّهُ وَصْفَهُ عَنْ كُلِّ حَدِّ
إِذَا[٦] أَبْدَى التَّبَسُّمُ نَظْمُ عِقْدِ
أُعَانِقُهُ فَأَنْثُرُ كُلَّ عِقْدِى
وَبِتُّ فَلاَ تَسَلْ عَنْ عَيْشِ صَبٍّ
حَظَى بِالوَصْلِ بَعْدَ جَفًا وَصَدِّ[٧]

---

(١) الأبيات فى ب، ج.
(٢) ب: لربا.
(٣) الأراك، شجر طويل أخضر، تتخذ من فروعه المساوك (لسان العرب ١/ ٤٩).
(٤) ج: إلى الهيفاء لا عرب بنجد!
(٥) ب: لموطن.
(٦) = ج.
(٧) ج: تملأ بالحبيب بغير رد!

www.alkottob.com

[الخفيف]

١ يَا زَمَـــانَ[١] الرِّضَـــا لَنَا هَلْ تَعُـــودُ
وَلأَيَّامِ وَصْلِنَا هَلْ تُعِـــيـــــدُ
وَعُهُـودُ الحِـمَى كَـمَـا قَـدْ عَـهِـدْنَا
حَـبَّـــذا لَوْ تَكُونُ تِلْكَ العُـــهُـــودُ
كَمْ نَعِـيـمٍ لَنَا بِنُعْـــمَى[٢] تَقَـــضَّى
بِوِصَـــالٍ قَـدْ غَـــابَ عَنْهُ الحَـــسُـــودُ
يَا أُهَيْلَ الحِـــمَى حَلَلْتُمْ بِقَلْبِى
جَنَّةً لِلغَـــرَامِ[٣] فِـيـهَـــا وَقُـــودُ

[المنسرح]

١ يَا عَـــرَبَ[٤] الحَىِّ عُـــذِّلِى عَـــدَدُ
وَيْلاَهُ أَيْنَ الرِّجَـــالُ وَالعُـــدَدُ
مَـــا صَحَّ فِى حُـبِّـهِ سِوَى سَـقَـمِى
بِكُمْ وَمَـــاتَ السُّـــلُو وَالجَلَدُ
عَـهْـدِى وَجِـيـدُ الكَثِـيبِ طَوَّقَـهُ
مِنْكُمْ بِطَوْقٍ كَـالعِـقْـدِ يَنْتَـضِـدُ

---

(١) الأبيات فى ب فقط وساقطة من أ، جـ.

(٢) فى الأصل: بنعم.

(٣) الغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم، والبلاء والحب والعشق ومالا يستطاع تجنبه.. وهو فى اللغة: أشد العذاب، قال تعالى «إن عذابها كان غراما» أى ملحا دائمًا ملازما (لسان العرب ٢/ ٩٨١).

(٤) الأبيات فى ب فقط وساقطة من أ، ج.

www.alkottob.com

يَـزْدَادُ مِـنْ مَـــــاءِ وِرْدِهِ عَـطَـشًـــــا
لِحِـــــــــسُـنْـهِ كُـلُّ وَارِدٍ يَـرِدُ

٥ مِنْ كُـلِّ رَامِي[١] العُـيُـونِ مَـعْـرَكَـةٌ
مَعْ وَجْـنَـتَـيْـهِ وَصُـدْغُـهُ الزَّرَدُ

[الكامل]

١ يَا سَـيْفُ[٢] مُـقْـلَـتِـه سَكِرْتَ فَـعَـرْبِدِ
كَـيْفَ اشْـتَـهَـرْتَ عَلَى الـمُـحِبِّ الـمُكْمَدِ
وَرَمَـيْـتَ عَنْ قَـوْسِ الفُـتُـورِ فَـأَصْـبَـحَتْ
غَـرَضًـا لأَسْـهُـمِكَ القُلُوبُ فَـسَـدِّدِ[٣]
مَنْ لَـمْ يَمُتْ بِعَـذَابِ حُـرْقَـةِ[٤] قَلْبِـه
مُـتَـنَعِّـمًـا لاَ فَـازَ مِنْكَ بِـمَـوْعِـدِ
لِـلصَّـبِّ أُسْـوَةُ خَـالِ خَـدِّكَ إِنَّـهُ
مُـتَـمَـتِّعٌ[٥] فِي جَـمْـرِهِ الـمُـتَـوَقِّـدِ

[مجزوء الكامل]

١ وَصْلٌ[٦] عَـلَـى رَغْمِ الحَـسُـودِ [م]
إِلَـيْكَ سَـعْـدًا يَـا سَـعِـيـدُ

---

(١) فى الأصل: من للعيون.
(٢) الأبيات فى ب: فقط.
(٣) فى الأصل: فشددى.
(٤) فى الأصل: يمن بعذاب.
(٥) فى الأصل: متمتعا.
(٦) الأبيات فى ج فقط.

www.alkottob.com

فَـــدَنَا البَـــعِـــيـــدُ وَيَا هَـنَـا [م]

الـمُـشْ تَاقِ إِذْ يَـدْنُو الـبَـــعِـــيـــدُ

[المتقارب]

فَـــؤَادِى[1] حَـــقِـــيـــقَـــةُ نَادِيكُمُ

فَكَـيْـفَ بِـنَـجْـــــــدٍ أُنَـادِيـكُـمُ ١

وَأَنْـتُـمْ لأَسْـــــوَدِ عَـــــيْـنِى سَنَـا

فَـــإِنْسَـــانُـهَـــا[2] مِنْ أَيَـادِيكُـمُ

[الطويل]

دُمُـــوعِى[3] أَبَتْ إِلاَّ انْسِكَابًا لَـعَلَّهَـــا

بِمَكْنُونِ حُـبِّى عِنْدَ حِـبِّى[4] تَشْـهَـدُ ١

دَنَوْتُ فَـأَقْـصَـانِى فَـعُـدْتُ فَـرَدَّنِى

فَـــلاَ هُـوَ يُـدْنِـينِى وَلاَ أَنَـا أَبْـعُـــدُ

دُهِيتُ بِفُـقْـــدانٍ لِـمَنْ قَـدْ وَجَـــدْتُهُ

فَـــلاَ مَـدْمَعٌ يَـرْقَـا وَلاَ وَجْـدُ يُحْـمَـدُ

دَبِيبُ الهَـــوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ مُـــؤَجَّجٌ

لَهِـيبُ اشْـتِـيَـاقِى فِـيـهِ لِلقَلْبِ مُـورِدُ

---

(١) البيتان فى ج فقط.

(٢) إنسان العين، المثال الذى يرى فى السواد.. وهو أيضا: ناظر العين (لسان العرب ١/ ١١٣).

(٣) الأبيات فى ج فقط.

(٤) فى الأصل: خلى.

www.alkottob.com

دَعَـانِى، فَـمَنْ ذَاقَ الهَـوَى ثُمَّ لَمْ يَنَلْ
وِصَـالَ حَـبِـيبٍ كَـيْفَ لاَ يَتَنَهَّـدُ

دَعَـاوِىَ الأَسَى عِنْدِى عَلَيْكَ صَحِيحَةٌ
فَـقَلْبِىَ خَـفَّـاقٌ وَجَـفْنِى مُـسَـهَّـدُ

دَمِى بِكَ مَسْـفُوكٌ وَدَمْـعِى مُـسَـفَّحٌ[1]
فَـيَصْلُحُ قَلْبِى فِـيكَ مِنْ حَـيْثُ يَـفْسَـدُ

دَفَـائِنُ حُبٍّ فِى لُحُـودِ جَـوَانِحٍ
لَهَـا بِكَ حَـشْـرٌ - كُلَّ يَوْمٍ - وَمَـوْعِـدُ

دُجَـاىَ[2] إِذَا وَاصَلْتَ يَـوْمٌ مُـؤَبَّـدٌ
وَيَوْمِى إِذَا أُبْعِـدْتُ لَيْلٌ مُـسَـرْمَـدُ

دُنُوُّكَ أَقْـصَى مَـا أَحِبُّ وَأَشْـتَـهِى
فَـإِنْ نِلْتُـهُ فَـهُـوَ النَّعِـيمُ الـمُـخَلَّدُ

* * *

(١) فى الأصل: سفوح ودمعى بسفكه!
(٢) فى الأصل: رجائى!

www.alkottob.com

قافية الـــذال

www.alkottob.com

[مجزوء الكامل]

١ بَـــرْقُ[١] الحِـــمَى[٢] أَنْتَ الَّـــذِى
أَذْكَـــيْتَ عَـنْبَـــرَهُ الشَّـــــذِى
وأَخَـــذْتَ[٣] فِى شِـــبْـــهِ الثُّـــغُـــورِ
الـغُـــــرِّ أَحْـــسَـنَ مَـــأخَـــذِ
مَنْ لِـــى بِنُـــوقِ[٤] الـعَـــامِـــرِيَّةِ
لَـوْ بِخَـــدِّى تَـحْـــتَـــذِى [م]
يَـا سَـــهْمَ مُـــقْلَتِـــهَـــا إِلَى
قَـلْبِى وَصُـــولُكَ فَـــانْـفُـــذِ
٥ مَـنْ مُـنْقِـــذِى[٥]، كَـــلاَّ غَـلِـطْتُ
وَمِـنْـك أطـلـبُ مُـنـقِـــــذِى [م]

---

(١) الأبيات فى أ، ب.
(٢) ب: بروق الحما.
(٣) ب: واحدث.
(٤) ب: بريق.
(٥) أ: مسعدى.

www.alkottob.com

أَبَـدًا بِـوِسْـــــــــــوَاسٍ عَـلَـيْـكَ
مِـنَ الـعَـــــذُولِ[1] تَـعَـــــوُّذِى [م]

[الطويل]

١ ذَكَـــرْتُكَ فَـــارْتَـاعَ الفُـــؤادُ صَـبَـــابَةً
إلَيْـكَ وَمَـــالِى مِـنْ إسَـــارِكَ مَنْفَـــذُ
ذُعِـــرْتُ لِـفُـــقْـــدَانِ الوِصَـــالِ بِـغُـــرَّةٍ
وَذَلِـكَ ذُعْـــــرٌ لَـيْسَ مِـنْـهُ تَـعَـــــوُّذُ
ذَمَـائِى[2] مَـسْـفُـوحٌ بِمِـدْرَجَـةِ[3] الهَـوَى
وَقَـلْـبِى بِـنِيـــرَانِ الـصَّـــبَـــابَـةِ يُـنْـبَـــذُ
ذَوَارِفُ[4] دَمْـعِى بِـالدِّمَـاءِ[5] مَـشُـوبَةٌ
وَمَـــــاذَاكَ إلاَّ أنَّ قَـلْـبِى مَـــــجَـــذَّذُ
٥ ذَهَـلْـتُ عَـنِ الـسُّـلْـوَانِ وَالـحُـبُّ آفَـــــةٌ
يَحَـارُ بِـهَـا النِّحْـرِيرُ وَهْوَ مُـجَـهْـبَـذُ
ذَرَانِى، فَـمَـا عَـرَّضْتُ لِـلـحُـبِّ مُـهْـجَـتِى
وَلَـكِـنْ سَـهَـــامُ الحُبِّ فِى الـقَـلْـبِ نُـفَّـــذُ

---

(١) ب: العدو.
(٢) الذماء؛ بقية الروح فى المذبوح.. يقال «ذمى العليل» إذا أخذه النزع فطال عليه خروج الروح (لسان العرب ١/ ١٠٧٨).
(٣) المدرجة: درج السيل، ومنحدره فى الأودية.. وهى أيضا: المسلك والمذهب (لسان العرب ١/ ٩٦٣).
(٤) فى الأصل: ذوارق.
(٥) فى الأصل: بالدناء!

www.alkottob.com

ذَوَى[1] زُهْدِىَ اللَّذَاتِ[2] فِيكَ صَبَابَةً
كَأَنَّ انْسِكَابَ المُزْنِ مِنِّىَ يُؤْخَذُ
ذُؤَابُ[3] الأسَى بَيْنَ الجَوَانِحِ لاَمِعٌ
وَلَيْسَ بَقَلْبِى مِنْ عِذَارَيْهِ مُنْقِذُ
ذَلَلْتُ لِمَحْبُوبٍ هُوَ العِزُّ[4] كُلُّهُ
عَلَى أَنَّنِى فِى ذِلَّتِى أَتَلَذَّذُ
ذِمَامُكَ مَحْفُوظٌ وَحَقُّكَ وَاجِبٌ
وَحُبُّكَ مَحْتُومٌ وَأَنْتَ المُنَفِّذُ

* * *

(تم الجزء الأول من الديوان)

---

(٦) الذوى: الذبول.
(٦) فى الأصل: زهد واللذات.
(٣) فى الأصل: ذباب.. والذؤاب؛ جمع «ذؤابة» وهى طرف السيف.
(٤) فى الأصل: القلب.

www.alkottob.com

أعمال د. يوسف زيدان

(١) المقدمة فى التصوف، لأبى عبد الرحمن السُّلَّمى (تقديم وتحقيق)

الطبعة الأولى: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٧.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت ١٩٩٩.

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٢) عبد الكريم الجيلى فيلسوف الصوفية (تأليف).

الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة أعلام العرب، ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

(٣) الفكر الصوفى (تأليف).

الطبعة الأولى: دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦.

الطبعة الثالثة: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨.

الطبعة الرابعة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٤) شرح فصول أبقراط لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى: دار العلوم العربية، بيروت ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٠.

الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(٥) شعراء الصوفية المجهولون (تأليف).

الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت ١٩٩٦ (طبعة مزيدة منقَّحة).

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

www.alkottob.com

(٦) ديوان عبد القادر الجيلانى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١.

الطبعة الثانية: دار الجيل، بيروت ١٩٩٩.

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٧) ديوان عفيف الدين التلمسانى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى: مؤسسة الأخبار، القاهرة ١٩٩١ (الجزء الأول).

الطبعة الثانية: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٨) قصيدة النادرات العينية للجيلى، مع شرح النابلسى (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى: دار الجيل، بيروت ١٩٨٨.

الطبعة الثانية: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٩) الطريق الصوفى وفروع القادرية بمصر (تأليف).

الطبعة الأولى: دار الجيل، بيروت ١٩٩١.

(١٠) عبد القادر الجيلانى، باز الله الأشهب (تأليف).

دار الجيل، بيروت ١٩٩١.

(١١) رسالة الأعضاء، لابن النفيس (دراسة ـ تحقيق)

الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩١.

الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(١٢) المختصر فى علم الحديث النبوى، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩١.

الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(١٣) المختار من الأغذية، لابن النفيس (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٢.

الطبعة الثانية: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(١٤) شرح مشكلات الفتوحات المكية، للجيلى (دراسة وتحقيق)

الطبعة الأولى: دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٢.

الطبعة الثانية: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٨.

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

www.alkottob.com

(١٥) فوائح الجمال وفوائح الجلال، لنجم الدين كُبْرى (دراسة وتحقيق).

الطبعة الأولى: دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٣ .

الطبعة الثانية: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٨ .

الطبعة الثالثة: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٦) التراث المجهول، إطلالة على عالم المخطوطات (تأليف).

الطبعة الأولى: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٤ .

الطبعة الثانية: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٥ (طبعة جامعية خاصة).

الطبعة الثالثة: دار الأمين، القاهرة ١٩٩٧ .

الطبعة الرابعة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٧) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الأول).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤ .

(١٨) فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية (الجزء الثانى).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٥ .

(١٩) نوادر المخطوطات بمكتبة بلدية الإسكندرية.

برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP / الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٥ .

(٢٠) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الزول).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٦ .

(٢١) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الثانى).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٧ .

(٢٢) فهرس مخطوطات رفاعة الطهطاوى (الجزء الثالث).

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٨ .

(٢٣) فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الأول: المخطوطات العلمية).

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .

(٢٤) بدائع المخطوطات القرآنية بالإسكندرية.

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٦ .

(٢٥) التقاء البحرين (نصوص نقدية).

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة وبيروت ١٩٩٧ .

www.alkottob.com

(٢٦) **فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الأول: التصرف، التفسير، السيرة، الحديث).**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٧ .

(٢٧) **حى بن يقظان، النصوص الأربعة ومبدعوها.**

الطبعة الأولى : الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم ١٩٩٧ .

الطبعة الثانية : دار الأمين ١٩٩٨ (طبعة مزيدة منقَّحة).

الطبعة الثالثة : دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٢٨) **المتواليات (دراسات فى التصوف).**

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٨ .

(٢٩) **المتواليات (فصول فى المتصل التراثى المعاصر).**

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة / بيروت ١٩٩٨ .

(٣٠) **فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثانى: التصوف وملحقاته).**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٨ .

(٣١) **فهرس مخطوطات رشيد ودمنهور.**

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ١٩٩٨ .

(٣٢) **فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الثالث: التاريخ والجغرافيا).**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ١٩٩٩ .

(٣٣) **ابن النفيس، إعادة اكتشاف.**

الطبعة الأولى : المجمع الثقافى، أبو ظبى ١٩٩٩ .

الطبعة الثانية : نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٣٤) **فهرس مخطوطات شبين الكوم.**

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ٢٠٠٠ .

(٣٥) **فهرس مخطوطات المعهد الدينى بسموحة.**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٠ .

(٣٦) **فهرس مخطوطات أبى العباس المرسى (الجزء الثانى: أصول الفقه وفروعه).**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٠ .

(٣٧) **فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الرابع: المنطق).**

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١ .

www.alkottob.com

(٣٨) **فهرس مخطوطات بلدية الإسكندرية (الجزء الخامس: الحديث الشريف).**

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١.

(٣٩) **فهرس مخطوطات دار الكتب بطنطا.**

معهد المخطوطات العربية، القاهرة ٢٠٠١.

(٤٠) **فهرس مخطوطات دير الاسكوريال (أسبانيا).**

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢.

(٤١) **ماهية الأثر الذى فى وجه القمر، لابن الهيثم (دراسة وتحقيق).**

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٢.

(٤٢) **مقالة فى النقرس، للرازى (دراسة وتحقيق).**

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣.

(٤٣) **مختارات من نوادر مقتنيات مكتبة الإسكندرية.**

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣.

(٤٤) **التصوف**

الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤.

(٤٥) **المخطوطات الألفية.**

الطبعة الأولى: دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٤.

الطبعة الثانية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٤ (إصدار خاص).

الطبعة الثالثة: نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

(٤٦) **الشامل فى الصناعة الطبية، لابن النفيس (ثلاثون جزءاً).**

المجمع الثقافى، أبو ظبى (١٩٩٨ـ٢٠٠٣).

(٤٧) **كنوز المخطوطات فى مدن العالم (طشقند) برنامج تفاعلى.**

الإصدار الأول: وزارة الخارجية المصرية ١٩٩٨.

الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨.

(٤٨) **كنوز المخطوطات فى مدن العالم (الإسكندرية) برنامج تفاعلى.**

الإصدار الأول: وزارة الدفاع ١٩٩٩.

الإصدار الثانى: نهضة مصر ٢٠٠٨.

(٤٩) **مخطوطات الطب والصيدلة بالإسكندرية.**

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت ٢٠٠٥.

www.alkottob.com

(٥٠) ظل الأفعى (رواية).

الطبعة الأولى: دار الهلال، القاهرة ٢٠٠٦.

الطبعة الثانية: دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٥١) أعمال مؤتمر المخطوطات الألفية.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٦.

(٥٢) أعمال مؤتمر المخطوطات الموقَّعة.

مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٨.

(٥٣) عزازيل (رواية).

دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٨.

(٥٤) كلمات (التقاط الألماس من كلام الناس).

نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٨.

موقع د. يوسف زيدان للتراث والمخطوطات

www. Ziedan. com

www.alkottob.com